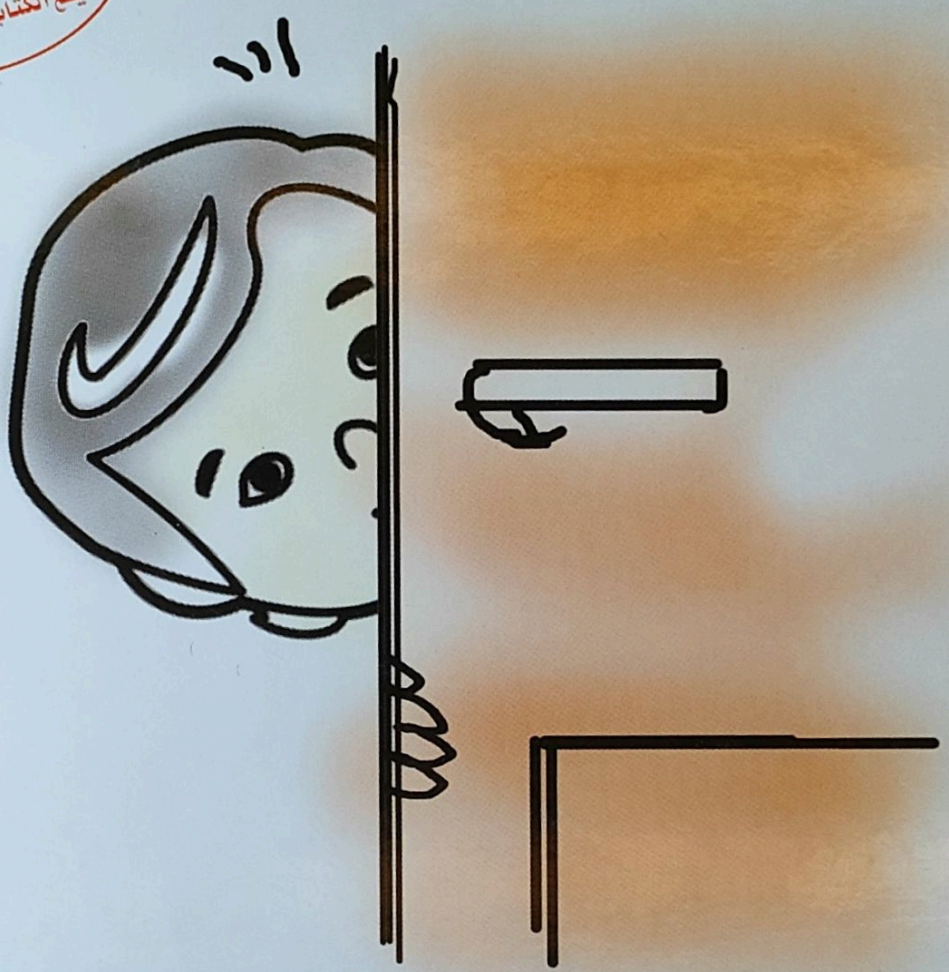
التربية الجنسية

أصول شرعية وقصص واقعية

للكبار فقط
احذر أن
يقع الكتاب في يد أولادك



الخبير التربوي
د. عبد الله محمد عبد المعطي

مركز إبصار للنشر والتوزيع
القاهرة - العجوزة - شارع الملتصر
ebsar2015@gmail.com
00201062532813

للكبار فقط
احذر أن
يقع الكتاب في يد أولادك

التربية الجنسية

أصول شرعية.. وقصص واقعية

الخبير التربوي
د. عبدالله محمد عبدالمعطي
Email: atfallna@yahoo.com



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع: ٢٠١٦/١٥٩٦٠

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٠٦٩٦٢٦٤٧

مركز إبصار للنشر والتوزيع
القاهرة - العجوزة - شارع المنتصر
محمول: ٠٠٢٠١٠٦٢٥٣٢٨١٣
E.mail: ebsar2015@gmail.com

المقدمـــــة

أيها القارئ الكريم...

هذا الكتاب كان من أصعب الكتب في حياتي؛ لأن كل موضوع فيه يجب أن يكون له أصل شرعي (من الكتاب والسنة) تنطلق منه، وأساس علمي يستند عليه، وفكرة عملية واقعية تنتج عنه..

ومن الطرائف أنني في أول يوم أبدأ فيه هذا الكتاب، جلس بجواري ابني البالغ من العمر ١٣ سنة، ورأى عنوان الكتاب مكتوبًا أمامه بخط عريض «التربية الجنسية »، فقرأه ثم سألني: بابا؛ ماذا تكتب؟

فقلت في نفسي: آه، هذه هي البداية... ولم يكن هناك مفر من الإجابة عن سؤال ابني، فقلت له: أكتب عن التربية الجنسية.

فابتسم ابني وسكت، لكنني خفت أن يفهم الأمر خطأ، فقلت له: التربية الجنسية هذه تشمل: كيفية تدريب الأبناء على ستر العورات، وحدود لبس الأم أمام ابنها، وآداب الاستئذان، وعدم الاستحمام مع أخيك الصغير، وكيف تتعامل مع الأمور الجنسية على الإنترنت؟ وكيف يحمي الطفل نفسه من التحرش؟ وغض البصر عن المشاهد السيئة...

ففرح ابني بإجابتي، وانصرف مبتسما، وعلى مدار شهور كان يجلس

بجواري وأنا أكتب، ويسألني: أما زلت تكتب في التربية الجنسية؟

فأقول له: نعم، وأحاول أن أخبره بشيء جديد يناسب سنه، وطبعًا أخفي عنه بعض الأشياء التي لا تناسب سنه، فكنت أكتب في التربية الجنسية وأطبقها في الوقت نفسه on line...

وفي اليوم التالي للبدء في هذا الكتاب، سألني أخي: ما الكتاب الجديد الذي تكتب فيه هذه الأيام؟

فقلت في نفسي: لماذا يسألني الجميع عن هذا الكتاب بالذات؟

ثم انتبهت على صوت أخي وهو يعيد سؤاله: ما الكتاب الجديد؟

فقلت له: التربية الجنسية.

فضحك أخي ضحكة مدوية، ثم قال: هذه هي الكتب.

فقلت له: أتمزح؟

فقال: لا والله، فالموضوع مهم جدًّا، ولكي أثبت لك ذلك، سأحكي لك ما حدث لي بالأمس...

لقد كنت جالسًا مع ابني ذي العشر سنوات أراجع معه كتابة الأرقام باللغة الإنجليزية، وجئنا لرقم ٦، فقلت له: عليك أن تلاحظ أن ٦ تكتب Six بحرف الآي، وليس بحرف E، فيكون رقم ٦ هو Six وليس Sex...

ثم قلت لابني: هل تعرف معنى الكلمة الثانية sex؟

فابتسم ابني وقال: نعم أعرف.. إنها تعني (جنس)، ولقد كنت ألعب مع

ابن عمي على الإنترنت، وبحثنا عن هذه الكلمة، فخرجت لنا امرأة عارية الصدر، فأغلقنا الصفحة سريعًا...

فقلت له: يا بني، حينما تجلس على الإنترنت، سيظهر أمامك أشياء سيئة، وأمامك طريقان: إما أن تغض بصرك وتغلق هذه الصفحات ويسعدك الله تعالى في الدنيا والآخرة، وإما أن تراها ولن تستفيد شيئًا، وفي الآخرة تلقى عقابك...

أيها المربي الكريم...

لقد انقسم الناس حول موضوع التربية الجنسية إلى فريقين:

فريق تجنب الكلام حول هذا الموضوع؛ خوفًا من أن يقع في مخالفة شرعية، وظنًا منه أن التربية الجنسية قد تفتح عيون الصغار على ما يضرهم ولا ينفعهم.

وقريق آخر تكلم في التربية الجنسية بلا حدود، دون أن تكن هناك آداب يراعيها، ولا أخلاق يحافظ عليها.

ونحن في هذا الكتاب نريد أن نكون من الفريق الثالث، الذي يتكلم عن التربية الجنسية للأولاد والبنات، مع مراعاة الأصول الشرعية، ورصد التجارب الواقعية، ووضع حلول عملية للمشكلات التربوية التي تتعلق بموضوع التربية الجنسية..

ومن هذا المنطلق فإن هذا الكتاب يقوم على عشرة أصول شرعية، وهذه الأصول عبارة عن آيات قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة، ولكي لا نحلق بعيدًا عن الواقع المعاصر، فقد احتوى هذا الكتاب على أكثر من ١٠٠ قصة

وتجربة واقعية، وهذه القصص تصف واقعنا بعناية، وتحمل في ثناياها أفكارًا عملية تنفع الآباء والأمهات...

وهذا الكتاب – بإذن الله – ينفع الشباب والفتيات المقبلين على الزواج إن قاموا بشرائه، لأنه يضع لهم عشر قواعد شرعية يخططون لتطبيقها في بيوتهم بعد الزواج، فتضمن لهم سعادة أسرية، وحماية جنسية لأولادهم وبناتهم في المستقبل بإذن الله...

أيها المربي الكريم...

هناك فارق كبير بين الثقافة الجنسية والتربية الجنسية...

فالثقافة الجنسية تشمل: العلاقات الجنسية، وطرق الإشباع الجنسي، وكيفية الحماية من الأمراض الجنسية، وغيرها من الموضوعات التي تهم الزوجين، وهذا ليس موضوع هذا الكتاب، ولا تخص المؤلف.

أما التربية الجنسية فهي عملية تربوية مستمرة، تبدأ من سن عام إلى ما بعد البلوغ، وتشمل إمداد الأبناء بالمعلومات العلمية والأصول الشرعية والتجارب الجيدة المتعلقة بالمسائل الجنسية، بما يناسب قدراتهم العقلية والنفسية والجنسية، وبما يؤهلهم لمواجهة المشكلات الجنسية في الحاضر والمستقبل... وهذا بإذن الله موضوع هذا الكتاب...

أيها المربي الكريم...

إننا نعيش في زماننا هذا معركة كبيرة، ساحتها عقول أبنائنا وقلوبهم، وأهل الباطل يريدون كسب أكبر مساحة ممكنة من حياة أولادنا ليفسدوها

بالأفلام الإباحية والأفكار غير الأخلاقية، ويسعون جاهدين ليكون الجنس هدف أبنائنا الأول في الحياة، فهم يريدون شخصًا شهوانيًّا، دون أخلاق ولا آداب ولا دين، فهل نترك أبناءنا فريسة بين أيديهم؟

يقول أحد الخبراء:



دخلت مدرسة إعدادية (متوسطة)، فسألت الأولاد: كم واحدًا معه جوال (موبايل)؟

فرفع الجميع يده بالموافقة.

فسألتهم: كم واحدًا في جواله أشياء لا يحب أن يراها والداه؟

٩٥ ٪ منهم رفعوا أيديهم... و٥ ٪ فقط قالوا: جوالاتنا نظيفة... وما دفع الأولاد لذلك هو الفراغ المعرفي، فقد سألوا والديهم عن الأمور الجنسية فكانت الإجابة: عيب، أو أنت صغير، كما أن الآباء والأمهات انشغلوا عن أبنائهم، وتركوهم فريسة للمواقع الإباحية وأصدقاء السوء...

إن المعركة ليست سهلة، فإذا كانت امرأة العزيز قالت لسيدنا يوسف: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، فاليوم مئات النساء على الإنترنت وغيره يقلن لأبنائنا: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، ودورنا كآباء وأمهات أن نحمي أبناءنا، ولا نتركهم فريسة لبائعي الشهوات، ونحصنهم منذ طفولتهم، ونربيهم على الآداب والأخلاق، فيكبر

الواحد منهم وهو يستطيع أن يقول لأهل الباطل جميعًا ﴿مَعَاذَ اللهِ﴾، وهذا الكتاب هو محاولة جادة وعملية تمكننا بإذن الله من كسب المعركة، وخاصة أننا نستعين بالله تعالى أولاً، ونسعى لتطبيق الأصول الشرعية في بيوتنا ومع أبنائنا؛ لتكون عونًا لهم على الثبات على الحق في هذا الزمن الصعب...

وبقي أن نقول لك أيها المربي الكريم: إن هذا الكتاب يشمل قصصًا جنسية صريحة، قد تضر أبناءك حين يقرءوها، لذلك وضعنا تحذيرًا على الغلاف يوضح أن هذا الكتاب للكبار فقط، فاحذر أن يقع في أيدي أبنائك، وعندما تقرأ ستعرف السبب، وعندها لا تنساني بدعوة في ظهر الغيب، فلقد اجتهدت شهورًا حتى يكون هذا الكتاب دليلًا عمليًّا للآباء والأمهات والمقبلين على الزواج، نسأل الله القبول، ولا حول ولا قوة إلا بالله...

عبدالله محمد عبدالمعطي

الجمعة ٢١ من ربيع أول ١٤٣٧ هـ

١ من يناير ٢٠١٦ م



الأصل الأول

ثلاث عورات لكم

الأصل الأول: ثلاث عورات لكم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨]

يظن بعض الآباء والأمهات أنه لا توجد حدود للعورات بين الوالدين والأبناء؛ لأن الأبناء قطعة من الآباء، فتسمع إحدى الأمهات تقول: إن ابني قطعة مني، فلماذا أستر نفسي عنه؟ وفي هذا النوع من البيوت لا يهتم أحد بستر عورته، ما يتسبب في كثير من المصائب...

أما المربي العاقل، فيعلم أن هناك قوانين للبيت يجب الحفاظ عليها، وعندما يسمع قول الله تعالى: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾، يدرك أن هناك عورات للوالدين يجب سترها عن عيون الأبناء، وأن الاستئذان يجب أن يكون قانونًا من قوانين البيت المسلم، فيهتم بتعليم أطفاله الاستئذان قبل دخول غرفة نوم الوالدين، وخاصة في أوقات ثلاثة هي: قبل صلاة الفجر، وفي فترة الظهيرة حيث القيلولة، ومن بعد صلاة العشاء...

وعندما نسأل عن الحكمة من ضرورة استئذان الأطفال في هذه الأوقات الثلاث؟

نجد أن هذه أوقات يتخفف فيها الوالدان من ثيابهما؛ فتظهر عوراتهما، وهي أوقات يأوي فيها الزوج إلى زوجته، وهذه العلاقة (الحميمة) يجب سترها تمامًا عن أعين الأبناء، ومن هنا جاء الأمر الرباني بالاستئذان في هذه الأوقات؛ من أجل ستر عورات الوالدين، والحفاظ على قلوب الصغار طاهرة نقية...

إن من الواجب على الوالدين تعليم أطفالهم - الذين لم يبلغوا الحلم (٣ - ١٢ سنة تقريبًا) - ضرورة الاستئذان قبل دخول غرفة نوم الوالدين، بينما يعلمون المراهق والبالغ أن يستأذن في جميع الأوقات قبل دخول غرفة والديه؛ لأن وعي المراهق وتركيزه وفهمه للأمور (الجنسية) أصبح أعلى بكثير من الأطفال؛ لذلك أصبح الاستئذان في حقه واجبًا ليلًا ونهارًا وفي جميع الأوقات...

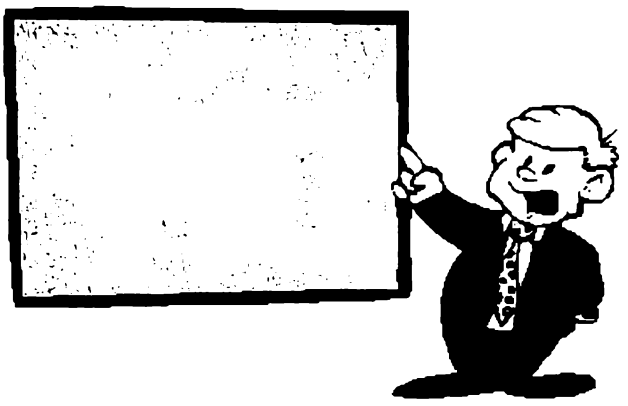
وانطلاقًا من هذا التوجيه الرباني يكون على الوالدين خمسة واجبات منزلية، هي:

- معرفة حدود عورة الوالدين أمام الأبناء، وسترها عنهم، فلا تقع عين أحد الأبناء على عورة والديه.
- يكون لغرفة نوم الوالدين قفل صغير من الداخل.
- تغلق الغرفة في أوقات النوم والقيلولة وعند لقاء الزوجين.
- يكون للطفل غرفة منفصلة ينام فيها (إن أمكن ذلك)، ويتم تدريبه على النوم بمفرده في سن مناسبة.
- تدريب الصغار على الاستئذان قبل دخول غرفة نوم الوالدين، وقبل دخول غرف بعضهم، وجعل الاستئذان قانونًا من قوانين البيت يلتزم به الكبار والصغار.

عندما يقوم المعلم
(الحكيم) بالتربية الجنسية

يقول أحد الخبراء:

ذات يوم اتصل بي مدير أحد المدارس الخاصة...



اتصل صارخًا ومستغيثًا...

وقال: أنقذنا يا دكتور، فعندنا مصيبة كبيرة، عندنا كارثة لم أرَ مثلها طوال حياتي، لقد ذهب أولياء أمور ثلاثين طالبًا إلى الشرطة، ويريدون إغلاق المدرسة، ومحاكمة مجلس الإدارة والمعلمين.

فقلت له: وما سبب هذا كله؟

قال: مدرس (حكيم) قام بتجربة « التربية الجنسية » لطلاب الصف الخامس الابتدائي؛ فارتكب جريمة كبرى، وأوقعنا في مصيبة.

فقلت له: كيف ذلك؟

قال: لقد بدأت الحكاية بسؤال بريء من أحد الأولاد: من أين يأتي المولود؟ وأجاب المدرس (الحكيم) محاولًا تقريب الصورة للأطفال، فتكلم عن الولادة، وأخبرهم أن المولود قد ينزل بصورة طبيعية عن طريق قناة خاصة بالولادة، وقد يحتاج لعملية جراحية يقوم فيها الطبيب بفتح بطن الأم بطريقة

خاصة يعرفها الطبيب، وهنا قاطعه طالب ذكي وسأله: وكيف يدخل الجنين بطن أمه؟ وكيف يحدث الحمل؟

فابتسم المدرس (الحكيم) وقال: يحدث الحمل عندما يدخل بابا وماما غرفة النوم ويغلقون على أنفسهم الباب.

فقال طالب آخر: وماذا يحدث عندما يغلقون باب الغرفة؟ أليسوا يخلدون للنوم؟

فابتسم المدرس ابتسامة المنتصر، وسخر من براءة الطالب المسكين، وبدأ يحكي بعض تفاصيل ما يحدث بين الزوجين في غرفة النوم بعد غلق الباب، وتكلم عن الجماع ومقدماته من خلع الملابس وغيرها...

وطبعًا رجع الأولاد إلى بيوتهم بوجوه غير التي خرجوا بها، عادوا إلى البيت وقد تلوثت نفوسهم البريئة بكلمات المعلم (المجرم)، بعضهم صرخ في وجه أمه: ماذا تفعلين مع بابا عندما تغلقون عليكم الغرفة؟ والبعض الآخر عاد صامتًا ورفض تناول الطعام ورفض النوم، وبدأ يراقب والديه وينتظر لحظة دخولهما الغرفة ليتجسس عليهما، ويرى بنفسه ماذا يحدث، بل إن أحدهم اختبأ تحت سرير والديه ليشاهد ما سيحدث عن قرب، ولك أن تتخيل لحظة اكتشاف والديه لوجوده، وعلى أي حال رأى والديه...

ولم تمر تلك الليلة بسلام، فقد اتصل أولياء الأمور ببعضهم، وحكى كل منهم تجربته للآخر، ومن كان ابنه صامتًا ويرفض الكلام عرف السبب وصدمه ما حدث، ولم يستطع أحدهم النوم تلك الليلة، واتفقوا جميعًا على

الذهاب للشرطة في اليوم التالي، وقد كان، وهناك أبلغوا عن المدرس (الحكيم)، ثم جاءوا إلى المدرسة صارخين، وكل منهم يحكي عن مصيبته، وكيف دمر المدرس (غير الحكيم) بيوتهم المطمئنة...

معلم (غير حكيم) تكلم مع الأطفال عن العلاقة بين الزوجين في غرفة النوم، وشرح لهم ما يفعله الوالدان بعد إغلاق غرفة النوم عليهما، فكشف للأولاد عورات والديهم بالكلام فقط، وفكر الأولاد في كلامه وأعملوا خيالهم؛ فحدثت ثورة في البيوت، وهذه المصيبة كانت نتيجة كلام (من المعلم) وتخيل (من الأطفال)، فما بالك لو دخل الطفل غرفة نوم والديه فجأة ورأى مشهدًا جنسيًّا، أو كان خارج الغرفة وسمع إيحاءات وكلمات جنسية؟ إن كان طفلاً في الروضة ماذا سيحدث له؟ وإن كان على وشك الدخول في المراهقة ماذا سيفعل؟



ماما.. هل أنا شاذ جنسيًّا؟

تقول إحدى الأمهات:

ذات يوم رجع ابني (١٣ سنة) من المدرسة متغير الشكل، صامتًا على غير عادته، وكان يتجنب النظر في وجهي، وعليه أثر حزن كبير...

فعلمت أن هناك مشكلة، وتركته يهدأ ويستحم، ثم جلست معه لأعرف ماذا حدث... وبعد حوار هادئ، وصبر جميل، انفجر ابني باكيًا وقال: ماما، لقد اكتشفت أنني شاذ جنسيًّا.

ونزلت كلماته عليّ كالصاعقة، ولم أستطع الكلام، وسادت لحظات من الصمت، ثم قاومت الصدمة بشدة وقلت له: كيف؟

فقال: عندما كنت في عمر ٥ سنوات، رأيتك في وضع جنسي مع أبي، هو فوقك وأنت تحته بدون ملابس، وعندها شعرت أنه يؤذيك، وتكررت مشاهدتي لكما أكثر من مرة، فأحسست أنني أكره أبي لأنه يؤذيك، وشعرت أنك تتحملين هذه المعاناة من أجلنا حتى لا ينهدم البيت...

وكانت النتيجة أنني كرهت أبي، وتعاملت معه بعنف، وبدأت أتهرب من الجلوس أو الحوار معه، ولم أكن أطيق لمسه لي...

ونتيجة لهذه المشاهد التي رأيتك فيها عارية مع أبي، كرهت العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة، فبدأت أبتعد عن المرأة بقدر المستطاع لكي لا أكون

مثل أبي، فتهربت من تقبيل خالتي لي (فقلتم: أصبح رجلاً)، وتجنبت اللعب مع أختي أو الجلوس معها... وبمرور الأيام ازدادت كراهيتي للجنس الآخر، وحكيت ذلك لزملائي منذ أيام، فقالوا: أنت شاذ جنسيًّا...

فلم أصدقهم، لكنهم اليوم جاءوا بالدليل، وأحضروا مقالًا تم نشره في موقع مجلة جنسية أجنبية، وقرأت المقال الذي يتحدث عن صفات الشواذ، وللأسف وجدت الصفات تنطبق عليّ تمامًا...

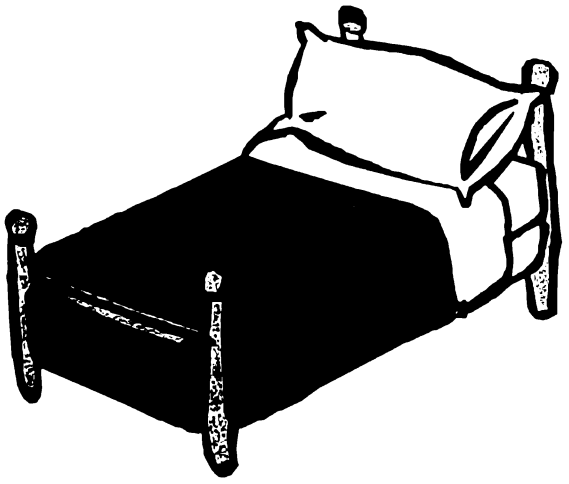
ولقد حاولت الانتحار خلال عودتي من المدرسة بأن أقذف نفسي أمام إحدى السيارات، حتى لا أجلب لكم العار، لكنني خفت من الموت وتراجعت في اللحظة الأخيرة...

تقول الأم: تركت ابني يحكي ويبكي كما يحب، وتعاطفت معه، وشعرت كم أنا مجرمة في حقه حين تركت باب الغرفة مفتوحًا خلال العلاقة الحميمة مع أبيه، ولكي أحل المشكلة استشرت طبيبة نفسية، فطلبت إقناع ابني بالجلوس معها، وقد كان، وتم علاج ابني (علاجًا معرفيًّا ونفسيًّا) حتى اقتنع أنه ليس بشاذ، وتحسن سلوكه تجاه أبيه، لكن إحساسي بالجريمة التي ارتكبتها جعلني أتجنب النظر في وجه ابني؛ لأن مكانتي في عينه قد اهتزت، ولم أعد أستطيع دخول غرفة النوم في وجوده أبدًا...

هل عرفت الآن كم يساوي قفل غرفة النوم الداخلي (التراس أو غيره)؟ قد يساوي جنيهين أو درهمين، لكنه يحمي أولادنا من المشكلات الجنسية أكثر من عشرين سنة، ويحفظ صورتنا في عقولهم بلا تلوث ولا تشويه، كل هذا يفعله قفل صغير لغرفة نوم الوالدين، وما أجمل أن نضع هذا القفل طاعة لله تعالى وامتثالاً لأمره جل شأنه...

كيف نتعامل مع غرفة نوم الوالدين؟

بعض الآباء والأمهات يعتقدون أنه لا توجد «عورات» للوالدين أمام الأبناء، ويتعاملون مع أبنائهم بتساهل كبير، فتسمع إحداهن تقول: إنه ابني وليس إنسانًا غريبًا؛ لذلك فهو يدخل غرفتي متى شاء وكيف شاء، وإن رأى شيئًا من عورة أمه فهذا شيء عادي، إنها أمه ولا داعي للقلق...



والبعض الآخر يرى أنه يجب عدم اقتراب الأولاد من غرفة نوم الوالدين؛ لأنها عورة ويجب ألا يدخلها الأولاد أبدًا، فتسمع أمًّا تقول لطفلها ذي العشر سنوات: لا تدخل غرفتي أبدًا؛ لأن فيها ملابس وأشياء خاصة، فيعاندها ابنها ويقول: وأنت أيضًا لا تدخلي غرفتي، ويصبح كل منهما متربصًا بالآخر، وينتظر لحظة دخوله إلى غرفته ليصرخ فيه: لماذا دخلت غرفتي؟ اخرج فورًا...

والسؤال الآن: أي الفريقين على صواب؟

إن الآية الكريمة تعلمنا الوسطية والاعتدال، فنحن كوالدين لنا أمام أولادنا عورات يجب سترها؛ إذ قال جل شأنه: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾، ولستر هذه

العورات كان للوالدين غرفة خاصة، بابها مغلق، ويستأذن الأطفال قبل دخولها في ثلاثة أوقات هي: بعد صلاة العشاء، وقبل صلاة الفجر، وفي الظهيرة، أما البالغون فيستأذنون قبل دخول غرفة الوالدين في جميع الأوقات...

والآية الكريمة تحمينا من الوقوع في خطأ المبالغة، فغرفة نوم الوالدين ليست منطقة محرمة، فقال جل شأنه: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، فالأولاد من حقهم دخول غرفة نوم الوالدين بعد الاستئذان، وعلى الوالدين وضع ملابسهما الداخلية (الخاصة) بعيدًا عن أعين الأولاد، ومن المهم جدًّا ألا يتركوا شيئًا من الملابس الخاصة في الحمام (بعد الاغتسال) أو على أرض الغرفة والسرير (بعد الجماع)...

تقول إحدى الأمهات:

عندما كنت في بداية المراهقة؛ حدث لي موقف غريب مع أمي، فقد كنت أساعدها في عمل البيت؛ لأنها سيدة عاملة، وذات يوم أمرتني أمي بتنظيف الغرفة الخاصة بها وبأبي، فدخلت كعادتي لأنظم السرير وأكنس الأرض وغيرها، وفجأة رأيت شيئًا ملونًا وجميلًا ملقى على الأرض، فرفعته لأرى ما هذا، فوجدته قميص نوم أحمر، وعليه آثار رطوبة ذات رائحة خاصة، لم أعرف حينها ما هذا، فذهبت إلى أمي والقميص في يدي وقلت لها: لقد وجدت هذا على الأرض وهو مبتل بالماء، فارتبكت أمي وقالت وهي محرجة: ضعيه في الغسالة، ومر الموقف بسلام، فقد كنت حينها فتاة طيبة ولا أفكر كثيرًا...

والغريب أن هذا الموقف تكرر أكثر من مرة، فكانت أمي تترك ملابسها (الخاصة جدًّا) ملقاة على الأرض وعليها آثار غريبة، ومرت السنوات، وبدأت

أفهم ما كان يحدث، فأدركت حجم الجريمة التي كانت أمي ترتكبها في حقي، لقد كانت تجعلني أنظف الغرفة وأرى ملابسها ملقاة هنا وهناك وعليها آثار الجماع، والحمد لله أنني لم أفهم حينها ما يحدث، ولو فهمت ذلك لحدثت لي أزمة نفسية كبيرة، واليوم أنصح جميع الأمهات بأخذ الحذر، وتنظيف غرفة النوم أولاً بأول، وعدم ترك أي متعلقات خاصة ملقاة داخل الغرفة هنا وهناك...

ويقول أحد الآباء:

ذات ليلة أيقظتني زوجتي وهي خائفة، وقالت: لقد كنت تبكي بشدة وأنت نائم، فماذا حدث لك؟

فقلت لها: لقد رأيت حلمًا مفزعًا، وهذا الحلم يراودني منذ أكثر من أربعين سنة.

فتعجبت زوجتي وقالت: نحن متزوجون منذ ٢٠ سنة، وهذه أول مرة أسمع منك هذا الأمر.

فقلت لها: سأحكي لك الحكاية، عندما كنت في العاشرة من عمري، استيقظت ذات مساء، فلم أجد أبي نائمًا بجواري، وبحثت عن أمي في غرفتها بجوار أختي فلم أجدها، فخفت كثيرًا، وظللت أبحث عنهما حتى سمعت صوتهما في الصالون، وحاولت فتح الباب لكنني وجدته مغلقًا، فوقفت على الباب أنتظر، وللأسف سمعت ما لم أكن أتخيله، سمعت كلمات وإيحاءات جنسية فهمت من خلالها ما يحدث، وبعد خمس دقائق وصل عندي الغضب منتهاه، فطرقت الباب بشدة، وتأخر أبي وأمي حتى فتحا الباب، فقلت لهما بغضب: لقد سمعتكما، وبكيت... فغضب أبي، وحاولت أمي تهدئتي، لكن أبي صرخ غاضبًا وأمرني أن أذهب للنوم...

واستجبت لأمره ونمت باكيًا وحزينًا، فرأيت في منامي هذا الحلم المزعج، رأيت نفسي واقفًا أمام باب مغلق، وأبي وأمي يداعبان بعضهما في الداخل، وأسمع منهما كلمات جنسية واضحة، فقمت مفزوعًا وباكيًا، وبدلًا من أن يتلطف أبي معي، صرخ فيّ للمرة الثانية حتى أنام...

ومن يومها وأنا أكره أبي وأمي، رغم أني لم أشاهد موقفًا جنسيًّا بينهما، لكنني سمعت من وراء الباب كلامًا ومداعبات جنسية صريحة تحدث بينهما، ومن يومها يراودني هذا الحلم المزعج من وقت لآخر.

فقالت زوجتي: الآن فهمت سبب حرصك على أن يكون الأولاد خارج البيت في وقت العلاقة الحميمة بيننا، ولقد كنت أتخيل أنك تبالغ في مراعاة مشاعر الأولاد، لكنني اكتشفت الآن أنك كنت محقًّا...

وتقول إحدى الأمهات:

عندما كنت في المرحلة الثانوية حدث لي موقف بسيط، لكنه آلمني لسنوات...

لقد كانت أختي الصغيرة تنام بجوار أبي وأمي، كانت يومها في الخامسة من عمرها، وذات يوم فوجئت بها تقول لي: في الليلة الماضية رأيت بابا يتعب ماما كثيرًا، ويؤذيها، وهي تتأوه وتطلب منه أن يتوقف...

ففهمت فورًا ما كان يحدث، لقد شعرت البنت الصغيرة بعلاقة جنسية بين والديها، وسقطت أمي من نظري؛ إذ كيف تترك هذه الطفلة المسكينة ترى ما يحدث بين الزوج وزوجته؟

وحاولت تهدئة أختي، فقلت لها: لعلك كنت تحلمين، بابا رجل طيب، وربما كان وهو نائم يضع رجله على ماما دون أن يقصد، فأوجعها ذلك، فطلبت منه أن يبعد رجله.

وحاولت المسكينة أن تشرح لي ما حدث، وأنه يختلف تمامًا عما أحكيه لها، لكنني صممت على روايتي، وحاولت إقناعها حتى سكتت، وتنسى...

وما إن رأيت أمي حتى انفجرت فيها صارخة وباكية، وقلت لها: ماذا تفعلين أنت وأبي؟ لقد رأتكم أختي بالأمس، كيف تتركونها ترى هذه المشاهد؟



فسكتت أمي ولم تجد كلمات تنقذها من هذه الورطة، ماذا ستقول؟ وكيف ستدافع عن نفسها؟

هذا ما حدث في بيتنا منذ سنوات طويلة، وتعلمت منه ألا ينام الصغار في غرفة الوالدين خلال الاتصال الجنسي مطلقًا، وبداية من عمر سنتين يكون للطفل غرفة نوم خاصة، وإن كانت الأم مضطرة لأن ينام الولد أو البنت مع الوالدين، فيجب أن يكون خارج الغرفة خلال لقاء الزوجين، حفاظًا على مشاعره، وحتى يظل في قلبه احترام لوالديه، ولقد اجتهدت في ذلك مع أبنائي، حتى لا أقف موقف أمي الضعيف بين يدي أحدهم، وحتى لا تعاتبني ابنتي يومًا على شيء رأته بيني وبين أبيها، أو تعاتبني بسبب شيء رأته أختها الصغيرة...

هذا ما سيحدث لابنك عندما يرى مشهدًا جنسيًّا داخل البيت

يسأل كثير من الآباء والأمهات:

ما الذي سيحدث للولد (أو البنت) عندما يرى مشهدًا حميميًّا (بسيطًا أو كبيرًا) بين أبيه وأمه؟

ويمكن تحديد رد فعل الولد أو البنت بناء على ما سيشعر به عندما يرى هذا المشهد .

وهذه المشاعر تختلف من ابن لآخر، وتختلف مشاعر الأولاد عن البنات، وهناك أربعة أشياء قد يشعر الأبناء بواحد منها عندما يرون مشهدًا جنسيًّا بين الوالدين:

(١) قد يكره الابن أباه فقط؛ لأنه يراه معتديًا على أمه.

(٢) ربما يكره أمه، لأنها تترك أباه يفعل معها ذلك، ويغار على أمه بشدة.

(٣) قد يكره والديه، ويسقطان من نظره.

(٤) ربما يكره الزواج ويهرب منه (وهذا الاحتمال بالنسبة للبنات أكبر).

ونتيجة لهذه المشاعر يتحدد رد فعل الولد أو البنت، فبعضهم يحول غضبه إلى عدوان وسوء أدب مع الطرف الذي يكرهه نتيجة ما رآه، فيهاجم أمه، ويصرخ في وجهها كثيرًا لأسباب تافهة، وهو لا يفعل ذلك نتيجة لسوء أدبه، ولكنه يعبر عن

غضبه مما رآه بين والديه، وقد يستمر هذا السلوك شهورًا وربما أكثر...

وقد ينسحب الطفل من الأنشطة الأسرية؛ فيصمت، ولا يشترك مع والديه في تناول الطعام أو الخروج من البيت، ويفضل الانعزال والوحدة...

وربما يحاول الطفل الانتقام من والديه، وقد يقوده ما رآه إلى الانحراف بأشكاله المختلفة...

أسئلة للنقاش مع الآباء والأمهات

ما شعور الطفل أو المراهق عندما يقف خارج الغرفة ويسمع - من خلف الباب - أصواتًا توحي بأن هناك علاقة حميمة بين والديه؟

بماذا يشعر الطفل أو المراهق عندما يرى مشهدًا جنسيًّا بين والديه؟

هل شاهدت يومًا مشهدًا جنسيًّا بين والديك؟ وما تأثير ذلك عليك إلى يومنا هذا؟

كيف تحمي طفلك من رؤية العلاقة الحميمة بينك وبين زوجتك؟ وهل رأى أحد أبنائك اتصالًا خاصًّا بينك وبين شريك حياتك؟ وكيف كان رد فعله؟



الأصل الثاني

فلا تخضعن بالقول
فيطمع الذي في قلبه مرض

الأصل الثاني: فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض

قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]

في هذه الآية الكريمة آداب ربانية أمر الله -تعالى- بها نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فالأمر في الآية موجه لنساء النبي ﷺ ولمن سار على طريقهن من المؤمنات، ورغم قصر هذه الآية إلا أنها تحتوي على أربع وقفات تربوية مهمة جدًّا...

الوقفة الأولى
يا نساء النبيّ لستن كأحد من النساء

قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]..

فزوجات النبي ﷺ أعلى النساء شرفًا وأعظمهن فضلاً، والمرأة كلما علا قدرها وعظم فضلها؛ وجب عليها أن تكون خارج بيتها أكثر عفة وطهارة...

وفي زماننا المعاصر أراد الإنجليز أن يرفعوا من شأن ملكتهم (إليزابيث)، فوضعوا قانونًا يمنع الناس من مصافحتها، ويسمح فقط لسبعة رجال أن يصافحوها، وهؤلاء السبعة هم المقربون منها فقط؛ لأنها ملكة، ولأن المرأة المسلمة ملكة، فلا يصافحها إلا محارمها (أبوها – أخوها – ابنها...).

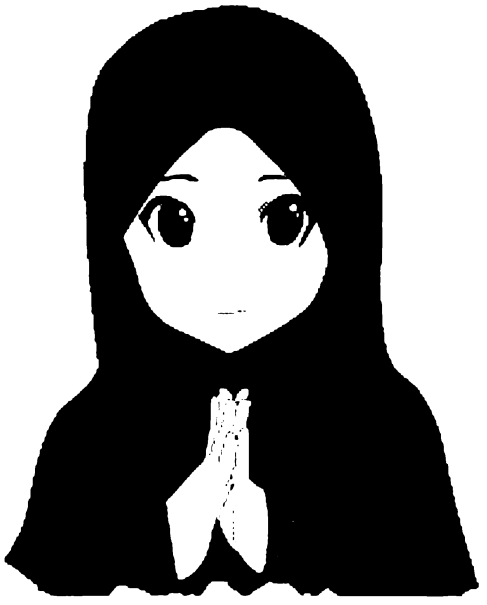
☺ يا ابنتي.. أنت لست كبقية البنات

أيها المربي الكريم...

عليك أن تتعلم من القرآن الكريم كيف تشعر ابنتك أنها متميزة (دينيا)، وأنها ليست مثل بقية الفتيات، وذلك انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾، فزوجات النبي أعظم شرفًا وقدرًا من بقية النساء، وكذلك هو حال المرأة المسلمة المتمسكة بدينها، فهي ليست كبقية النساء؛ لأنها تتميز عنهن بحفظها لدينها، واقتدائها بنبيها ﷺ...

إن البنت الملتزمة بدينها في زماننا قد تشعر بأحد أمرين:

أولاً: تشعر أنها مظلومة. فالدين يأمرها بأشياء ثقيلة على نفسها، ويحرمها أن تكون مثل بقية صديقاتها، وبذلك يكون تدينها ثقيلاً على نفسها؛ ولذلك تجدها كثيرًا ما تشتكي لوالديها وتقول: كل البنات يفعلن ذلك، لماذا تضيق عليّ أنا؟ كل البنات تكلم الأولاد، فلماذا لا أفعل مثلهن؟ كل البنات لديهن أصدقاء من الشباب على الفيس بوك، فلماذا لا أكون مثلهن؟ كل البنات يلبسن بناطيل، فلماذ ألبس أنا العباءة؟



ثانيًا: تشعر أنها متميزة. فالله - تعالى- أكرمها بمعرفة دينه، واختارها للسير في طريق الهدى، فهي ليست مثل بقية البنات، ولا ينبغي لها أن تفعل الحرام مثلهن، وعندما تشعر الفتاة بالتميز (الديني) عن بقية الفتيات، فإنها ستحافظ على نفسها أكثر، وستكون أكثر حياء.

أيها المربي الكريم...

لكي لا تقع ابنتك في فخ تقليد البنات في سلوكياتهن السيئة، عليك أن تغرس فيها منذ طفولتها أنها متميزة (دينيًّا) وليست مثل بقية البنات، فهي تصلي وتصوم وتطيع أمر ربها، ويمكنك أن تحكي لها قصص أمهات المؤمنين، والصحابيات الكرام، وتكلمها كثيرًا عن السيدة مريم عليها السلام، وبعد كل

حكاية تقول لها: أنت تشبهين هؤلاء الطاهرات...

ومن المهم جدًّا أن تبحث عن الأشياء الجميلة التي تفعلها ابنتك، وتختلف فيها عن البنات (غير الملتزمات)، ثم أخبر ابنتك أنك فخور بها لأنها تفعل هذا الخير، رغم أن كثيرًا من زميلاتها لا يفعلنه، وامدحها وكافئها، فتقول لها مثلاً: أنا سعيد جدًّا لأنك تلبسين الحجاب، في حين أن كثيرًا من البنات متبرجات، أو تقول: لقد رأيتك وأنت تمشين وسط زميلاتك وأنت مضيئة بحجابك، أنا فخور بك لأنك ابنتي، ويمكنك أن تقول لها بعد الصلاة: أنا سعيد جدًّا لأنك تصلين ولست تاركة للصلاة مثل كثير من البنات... وتمدحها حين تراها تقرأ القرآن، وتستمع لدرس علم، ولا تترك فرصة إلا وتمدحها وتثبت لها أنك سعيد؛ لأنها متميزة عن زميلاتها في التقوى والعفاف، حتى تشعر ابنتك بالتميز الإيماني الذي يقودها للتميز الأخلاقي والسلوكي...

ولو تعثرت ابنتك المتدينة دراسيًّا، فقل لها: لا يهمك، تفوقك الديني عندي أهم، يكفيني حجابك وعفتك، فهذا أغلى عندي بكثير، وتعالي نفكر كيف تكونين في الدراسة أفضل...

يقول أحد الآباء:

ابنتي بفضل الله فتاة محجبة، ومؤدبة، لكنَّ كثيرًا من فتيات الأقارب والجيران وزميلات ابنتي في المدرسة غير محجبات، وللأسف هناك قليل من الفتيات المحجبات لكن بعضهن يصاحب الأولاد في الواقع أو على الإنترنت، وهذا الواقع يسبب لابنتي (المتدينة) ألمًا نفسيًّا كبيرًا، إذ يراها كثير من الفتيات (غير الملتزمات) على أنها شاذة وغير طبيعية، وطبعًا تأتيني ابنتي شاكية وتقول:

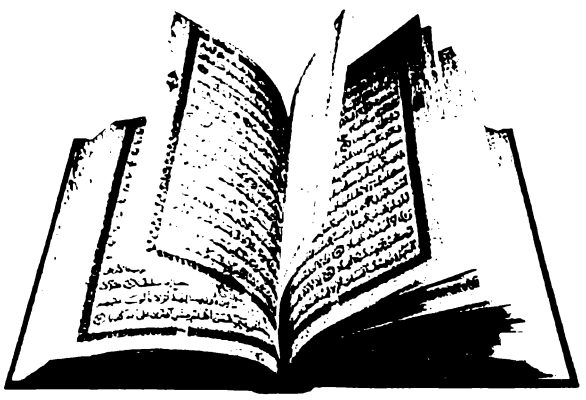
لماذا أنا الوحيدة التي لا تكلم أولادًا؟ لماذ ألبس الحجاب؟ لماذا لا أكون فتاة (عادية) مثل بقية زميلاتي وقريباتي؟ فكثير من البنات يلبسن بناطيل، ويضعن ماكياج خارج البيت، ويكلمن الأولاد على الفيس بوك، لماذا لا تسمحون لي أن أكون مثلهن؟

وحاولت كثيرًا أن أكلمها عن الصبر، فهي مستضعفة في مجتمع فاسد، كنت أواسيها لأجبر كسرها، وأدعو لها بالثبات...

وذات يوم أكرمني الله -تعالى- وذهبت إلى المسجد، وهناك سمعت محاضرة حول القليل والكثير في القرآن الكريم، وعلمت أن سنة الله -تعالى- في عباده أن يكون أصحاب الحق قليلين، بينما أهل الباطل كثير، وحين يشعر المؤمن بذلك يزداد ثباتًا، ولا يفتتن بكثرة الفاسدين حوله، كما قال أحدهم: اسلك طريق الحق ولا تيأسِ من قلة السالكين، ولا تمش في طريق الباطل وتنخدع بكثرة الهالكين...

وهنا قررت أن أتكلم مع ابنتي بطريقة جديدة تجعلها تعتز بتدينها، وتشعر من خلالها أنها متميزة، لقد قررت أن أترك خطاب الاستضعاف والمواساة؛ لأنه لم يعد ينفع، وقررت أن أتكلم مع ابنتي بخطاب التميز؛ لأن خطاب الاستضعاف ربما يواسيها لكنه لا يقوي ضعفها، أما خطاب التميز فإنه يقوي عزيمتها، ويجعلها أكثر قوة في مواجهة موجات التفلت والانحلال التي تحيط بها من كل اتجاه...

وجلست مع ابنتي، وقلت لها: لقد وجدت اليوم كنزًا سيمحو كل أحزانك، وسيشعرك بالسعادة والتميز بين زميلاتك، وأحضرت اللاب توب،



وقلت لها: تعالي نبحث عن القليل والكثير في القرآن الكريم، ونرى هل أصحاب الحق دائما كثير أم قليل؟

وجعلتها تقوم بالبحث على الإنترنت، وأحضرت أنا ورقة وقلمًا، وبدأت أكتب ما تجده ابنتي خلال بحثها، وجمعت آيات الكثير في ورقة، وآيات القليل في ورقة أخرى، لأرى مع ابنتي الفرق بينهما، ونعرف أين نحن من الفريقين...

وبعد بحث وحوار جميل مع ابنتي، وجدنا أن أهل الضلال والباطل دائمًا كثير، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وعلى المستوى الإيماني تجد الكفار كثيرين، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٣]، وقوله سبحانه: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠]، وقوله جل شأنه: ﴿آلمر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]

وعلى مستوى العلم وجدنا أن الجهلاء كثيرون؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

وعلى مستوى الذكاء والعقل والتفكير وجدنا أن أكثر الناس لا يفكرون

ولا يعقلون، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وفي المقابل وجدنا أن الله -تعالى- يثني على القليل، ويمدحهم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فقال جل شأنه عن الشاكرين: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال تعالى عن المؤمنين مع سيدنا نوح: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، وقال جل شأنه: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]

ولأن أهل الحق في القرآن دائمًا قليل، فقد وجدنا صحابيًّا يدعو لنفسه أن يكون من القليل؛ روي أن رجلاً قال عند عمر بن الخطاب: اللهم اجعلني من القليل، فقال عمر: ما هذا الذي تدعو به؟ فقال الرجل: سمعت الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، فأنا أدعو أن يجعلني من أولئك القليل، فقال عمر: كل الناس أعلم من عمر [(١)]..

وخلال بحثي مع ابنتي عن القليل والكثير وجدنا حديثًا نبويًّا جميلًا يصف حال المؤمنين في زماننا، وكيف أنهم غرباء بين الناس، فقد روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «بدأَ الإسلامُ غريبًا، وسيعودُ كما بدأَ غريبًا، فطوبى للغرباءِ»، فقيل: من هم يا رسولَ الله؟ قال ﷺ: «الذينَ يصلحونَ إذا فسدَ الناسُ»[(٢)]..

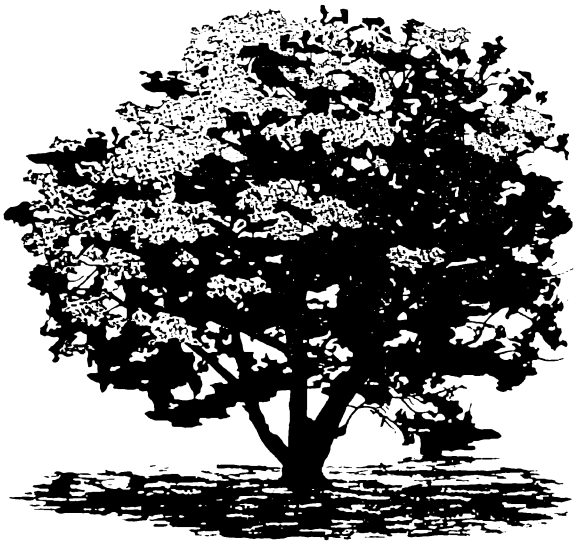
وفي رواية للإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قالَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ ونحنُ عندَهُ: طوبى للغُرباءِ، فقيلَ: منِ

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ١٠٥.

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني ح ر ١٢٧٣.

الغرباءُ يا رسولَ الله؟ قالَ ﷺ: « أُناسٌ صالِحونَ، في أُناسِ سوءٍ كثيرٍ، مَن يَعصيهم أَكْثرُ مِمَّن يطيعُهُم »[١]... فالمتميز في الإيمان والتقوى سيجد نفسه غريبًا بين الناس، وسيجد أهل الحق أنهم قليل بين كثير من أهل السوء...

وقول النبي ﷺ: «طوبى للغرباء»، يعني سيكون جزاؤهم دخول الجنة والتنعم بشجرة طوبى، ويصف النبي ﷺ هذه الشجرة بقوله: «طُوبى شجرةٌ في الجنةِ، مسيرةُ مائةِ عامٍ، ثيابُ أهلِ الجنةِ تخرجُ من أكمامها (أوراقها)»[٢]، وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: ذُكِرتْ عندَ النبيِّ ﷺ طُوبَى، فقال النبيُّ ﷺ: «يا أبا بكرٍ هل بلغَك ما طُوبى؟» قال أبو بكر: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال ﷺ: «طُوبى شجرةٌ في الجنَّةِ، لا يعلم طولَها إلا اللهُ عزَّ وجلَّ، يسيرُ الراكبُ تحتَ غصنٍ من أغصانِها سبعينَ خريفًا، ورَقُها الحُلَلُ (يعني ثياب أهل الجنة)، يقع عليها الطيرُ كأمثالِ البُختِ (مثل الجمل)، فقال أبو بكرٍ: إنَّ هناك لطيرًا ناعمًا، قال ﷺ: أنعمُ منه من يأكلُه، وأنت منهم إن شاء اللهُ تعالى»[٣]...



وفي نهاية بحثنا قالت

(١) مسند الإمام أحمد ١٠ / ١٣٦، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ح ر ١٦١٩.

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني ح ر ١٩٨٥.

(٣) السلسلة الصحيحة للألباني ٦ / ٥١.

ابنتي: هذه أسعد لحظة في حياتي، لقد علمت اليوم لماذا أنا غريبة بين زميلاتي، إنني بإذن الله واحدة من الغرباء الذين وعدهم الله -تعالى- بشجرة طوبى، ولأول مرة في حياتي أفرح لأنني من القليل، لقد كنت أعيش بين الفتيات في هم وحزن، ومن اليوم سأعيش بينهن في سعادة ورضا، وكلما وجدت نفسي غريبة عنهن، سأشعر أنني متميزة...

فقبلت رأسها، ودعوت لها بخير، ثم قلت لها: لقد كتبت كل ما وجدناه عن القليل والكثير في القرآن الكريم، والآن خذي ما كتبته، واكتبيه بخطك الجميل، واحتفظي به لتقرئيه حين تشعرين بالغربة بين الناس...

اجلس مع شريك حياتك، وأحضر ورقة وقلمًا، واكتبا عشرة أشياء تميز ابنتك (عشرة مميزات لكل بنت من بناتك)، ثم اجلس مع ابنتك، واسألها: ما الذي يميزك عن بقية البنات؟ وبعد أن تسمع منها، اذكر لها عشرة أشياء تميزها عن بقية البنات، والتي سيكون من بينها غالبًا: الصلاة والحجاب وغيرهما، وأخبرها كم أنت سعيد لأنها ابنتك...

الوقفة الثانية
إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول

قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]

بعد أن وصف الله -تعالى- أمهات المؤمنين بأنهن لسن كأحد من النساء شرفا وفضلاً، أمرهن ألا يخضعن بالقول أمام الرجال الأجانب (غير الزوج)، وخاطب الله -تعالى- أمهات المؤمنين بقوله: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ يعني إن أردتن السير في طريق التقوى ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾، والخضوع بالقول المنهي عنه هو: ترقيق الكلام أمام الرجال الغرباء، فتتكلم المرأة خارج بيتها بلين ودلال، وهذا يجذب أنظار الرجال نحوها، ويجعلهم يعجبون بها، وقد يقعون في عشقها ويتحرشون بها، فالرجل حين تكلمه امرأة بخضوع ودلال قد يظن أنها تتحبب إليه، ويرى أنها معجبة به، فيتجرأ على الطمع في مغازلتها، وإشباع شهوته منها...

ومن هنا فإن على المرأة المؤمنة أن يكون كلامها مع الرجال خارج البيت حازمًا ومختصرًا، وألا تخاطب الرجال الغرباء كما تخاطب زوجها، فيكون حظ زوجها الدلال واللين، بينما تتكلم مع الآخرين بحزم واختصار، فلا تخاطب الرجال الأجانب كما تخاطب زوجها، وهنا يقول ابن القيم رحمه الله: والمرأة ينبغي لها حين خاطبت الأجانب؛ أن تغلظ كلامها وتقويه ولا تلينه وتكسره،

فإن ذلك يبعد الريبة والطمع عنها [1]...

هذه يا ابنتي صور الخضوع بالقول:

كثير من بناتنا – للأسف – لا يعرفن معنى الخضوع بالقول، ولا يدركن خطورته، بل إن بعض الفتيات ترى أن الخضوع بالقول مع الغرباء شيء عادي؛ لأنها تعودت على رؤية الممثلات يتكلمن في المسلسلات والأفلام بخضوع ودلع، ومن كثرة المشاهدة تأصل في قلبها أن الخضوع بالقول وترقيقه وتزينه هو الطريقة الصحيحة التي يجب أن تتكلم بها الفتاة العصرية...

☺ بالفيديو المنزلي يتضح الفرق بين الحزم والخضوع

يقول أحد الآباء:

لاحظت ان ابنتي ذات العشر سنوات بدأت تتكلم بدلال وجاذبية مع الأقارب في بيت العائلة، فخفت أن تفعل الأمر نفسه في المدرسة والشارع وغيره، فجلست يومًا معها وقلت لها: لك عندي رسالة أريد أن أوصلها لك، هذه الرسالة هي من الله -تعالى- في قوله جل شأنه: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، والأمر في هذه الآية لنساء النبي ﷺ وللمسلمات من بعدهن، فالمطلوب منك يا ابنتي ألا تخضعي حين تتكلمين مع الشباب والرجال - الغرباء - في بيت العائلة والمدرسة وغيرها...

فقالت ابنتي: وما معنى الخضوع بالقول؟

---

(١) مفتاح دار السعادة ١ / ١١١.

فقلت لها: الأمر شبيه بالطبخ، لو طبخت بامية أو غيرها بطريقتك وطريقة أمك الجميلة، ووضعت عليها ملحًا فقط، ألن تكون جميلة؟

فقالت البنت: نعم، لكنها ستكون أجمل حين نضع عليها توابل إضافية (كالفلفل وغيره).

فقلت لها: أكرمك الله، فالخضوع بالقول يشبه تمامًا التوابل الإضافية، فالبنت بطبعها رقيقة وجميلة وكلامها ناعم، فلو أضافت على كلامها (الجميل) بعض الدلع والدلال، سيكون مثيرًا للرجال ومحركًا لشهواتهم، فالخضوع بالقول: (يعني تحسينه وتجميله وترقيقه)، فإن تكلمت البنت بهذه الطريقة الجميلة في بيتها ومع أبيها وأمها وزوجها في المستقبل كان جميلاً، أما إذا تكلمت بدلع ودلال خارج بيتها، فسيطمع فيها الأشرار، وقد يظن أحدهم أنها تحبه لأنه تتكلم معه بطريقة ناعمة...

ثم طلبت من ابنتي أن تحضر الموبايل، وتشغل كاميرا الفيديو؛ لنرى معًا الفرق بين طريقة الكلام الحازمة والخاضعة، وطلبت منها أن تتخيل أنها في المدرسة وأنني المعلم في فصلها، وأنا أشرح بعض المسائل الحسابية، وهي لم تفهم مسألة ما، وستطلب مني إعادة شرح هذه المسألة، وعليها أن تطلب مني ذلك بطريقة حازمة، وتطلبه مرة أخرى بطريقة فيها دلع ودلال، وسأقوم أنا بتصويرها في الحالتين...

والحق يقال لقد كانت ابنتي بارعة في التمثيل، وقمت بتصويرها في الحالتين، ثم شاهدنا الفيديو معًا، وكان الفارق بين الطريقتين واضحًا جدًّا، وبتلك الطريقة فهمت ابنتي الفرق بين الحزم في الكلام، وبين الخضوع في القول، وتم ذلك في جو من الضحك والمزاح الجميل...

وبعد ذلك سألتها: ماذا سيقول عنك المعلم حين تتكلمين معه بحزم؟ وماذا سيقول حين تتكلمين معه بدلال؟

فقالت: حين أتكلم بحزم سيقول: إنني مؤدبة، أما حين أتكلم بدلال ودلع؛ فسيرى أنني غير مؤدبة.

فقلت لها: وعندما تتكلمين أمام الشباب (بدلع ودلال)، سيكون من بينهم ولد شرير، يشعر خطأ أنك تحبينه وتقبلين مغازلته لك، فيتحرش بك ويؤذيك...

وحين تتكلمين بحزم؛ فإنك تطيعين الله تعالى، وتفعلين طاعة تثابين عليها مثل الصلاة تمامًا، فالله تعالى هو من أمرك بالصلاة، وهو جل شأنه من أمرك بعدم الخضوع بالقول، ومع طاعتك لله تعالى فأنت في الوقت نفسه تحمين نفسك ممن في قلبه مرض وشر....

☺ الضحكة الجريئة خضوع بالقول

دائمًا في الأفلام والمسلسلات تجد الراقصة والمرأة اللعوب لها ضحكة جريئة ومثيرة، وترتبط هذه الضحكة عادة بخداع الراقصة للرجال واللعب بعقولهن، فضحكة المرأة الجريئة دائمًا تثير قلوب الرجال المريضة والطامعة في الشهوات...

يقول أحد العلماء:

الخضوع بالقول لا يقتصر على الكلام وحده، بل يشمل أيضًا الضحكة الجريئة...

ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، فالقرآن الكريم يخبرنا أن مجرد النفخ من الفم تضجرًا هو «قول» لا ينبغي أن تقوله لوالديك، وقياسًا على ذلك فإن الضحك يعتبر

«قولا»، ومن هنا فإن على الفتاة أن تتجنب الضحك الجريء؛ لأنه خضوع بالقول، ويثير شهوة الشباب، ولو سألت أبناءك أو طلابك الذكور: ما رأيكم في الفتاة التي تضحك - ضحكة جريئة - أمام الشباب؟

فإن أغلبهم سيقول: إنها فتاة غير مؤدبة.



إنهم يحكمون عليها بأنها غير مؤدبة من خلال ضحكتها الجريئة فقط، مع أنها قد فتاة طيبة وتضحك ببراءة دون أن تقصد شيئًا، لكن ضحكتها الجريئة والجذابة أثارت شهوات الشباب، وجعلتهم يرونها فتاة غير مهذبة، وتدعوهم للتحرش بها...

يقول أحد الآباء:

كانت لنا جارة تضحك بطريقة جريئة ومثيرة جدًّا، وكنت أسمع ضحكها وأنا جالس في بيتنا، فأظن بها شرًّا، لقد كانت تضحك وهي في بيتها بصوت مرتفع يسمعه رجال الحارة جميعًا، وظن أحد الشباب أنها بضحكتها المثيرة تدعوه إلى الفاحشة، فبدأ يعاكسها من أعلى منزله المجاور لمنزلها، وأخذ يراقب تحركاتها في الشرفة، ويداعبها ببعض الكلمات، وعلم زوجها بالأمر، فحدثت مشكلة كبيرة، وتدخل العقلاء، وعاقبوا الشاب على ما فعله رغم أنه قد وقع فريسة لضحكة المرأة المثيرة...

ومرت الأيام، ولم تتعلم المرأة الدرس، وظلت تضحك في بيتها بصوت مرتفع ومثير، ولم يلاحظ زوجها أن ضحكتها المثيرة هي سبب كل المشكلات، ويعلم الله كم خفت على أولادي المراهقين من ضحكها، وخفت على ابنتي أن

تقلدها، فأصبحت كلما سمعنا ضحكتها أقول بصوت يسمع أولادي: سامحك الله، هل هذه ضحكة محترمة، إنها تأخذ ذنب كل من يسمعها، لو كان زوجها رجلاً ما تركها تضحك بهذه الطريقة... كنت أقول هذه الكلمات أمام أولادي، حتى يكرهوا ضحكتها، فلا تضحك ابنتي مثلها يومًا، ولا يترك أولادي زوجاتهم أو بناتهم في المستقبل يضحكون مثلها...

☺ الحوار الخاص بين فتاتين قد يكون خضوعًا بالقول

إذا كانت الفتاة تتكلم مع صديقتها في مكان خاص لا يسمعهم فيه أحد، فمن حقها أن تتكلم بحرية ودلال وجمال كما تحب، لكن إن كانت تتحدث مع صديقتها في الطريق، فيجب عليها أن تكون حازمة في كلامها، وحذرة في اختيار كلماتها؛ لأن هناك من يسمعها...

وعندما تتحدث الفتاة مع صديقتها عبر وسائل التواصل الاجتماعي (على الإنترنت)، عليها ألا تكتب لزميلتها عبارات جريئة ولا كلمات مثيرة؛ لأن هذه الكلمات قد يراها والد صديقتها أو أخوها، فبعض الآباء يتابع حساب ابنته على الفيس بوك ليطمئن عليها ويعرف مع من تتكلم، وهنا سيقرءون ما كتبته هذه الفتاة، وقد يحكمون عليها بسوء الأدب، وربما يتحرك قلب أحدهم ناحيتها بسوء...

والفتاة عندما تتكلم مع صديقتها في التليفون، عليها أن تكون حذرة؛ لأن صديقتها قد تكون جالسة بجوار أخيها، وتشغل الإسبيكر، والولد يستمع للحوار، فيلتقط كلمة (مثيرة) تكون سببًا في إعجابه بصديقة أخته، وتحرك شهوته نحوها...

يقول أحد الآباء:

ذات يوم كنت ذاهبًا إلى المسجد، وفي الطريق مررت بفتاتين في المرحلة الثانوية، ولم يستغرق مروري بهما خمس ثوانٍ، لكنني سمعت منهما كلامًا سيئًا جدًّا...

لقد سمعت إحداهن تقول لزميلتها: كان يوم أمس حارًّا جدًّا، فرجعت إلى البيت، وخلعت ملابسي كلها، ونمت بالشورت والسوتيان...

ويعلم الله كم هزتني هذه الكلمات، وقلت في نفسي: سامحك الله، لو كان أحد الشباب هو الذي يمشي مكاني الآن، وسمع هذا الحوار، ماذا كان سيدور في عقله؟ وكيف سيفكر في هذه الفتاة؟ هل سيظن أنها تتعمد قول هذا الكلام أمامه لتجذب انتباهه؟ هل سينظر لها؟ وهل سيمشي وراءها؟ وهل ستثير هذه الكلمات شهوته تجاهها؟ وماذا سيفعل؟.

لقد تعلمت من هذا الموقف أن الفتاة قد ترتكب جريمة وهي تتكلم مع صديقتها في الطريق، ومن هنا يجب على الآباء والأمهات تنبيه الفتيات لمثل هذه المواقف المحرجة...

☺ كيف ترد ابنتك على الهاتف وعلى من يطرق الباب؟

يقول أحد كبار السن:

كان للفتيات في الماضي شأن عجيب في الأدب والذوق، لقد كانت البنت تحرص ألا يكون كلامها سببًا في إثارة شهوة أحد، حتى وهي ترد على من يطرق بابهم، فإذا جاء أحدهم وطرق الباب، ولم يكن أبوها موجودًا بالبيت، كانت الفتاة ترد على الطارق وتغلظ صوتها وتجعلها حادًا (ليشبه صوت الرجال)، حتى لا يطمع فيها

أحد، وحتى تحمي نساء البيت من شر الناس؛ لأن الصوت الحاد يجعل الطارق يعتقد أن النساء في البيت لسن بمفردهن، وإنما معهن رجل أو شاب صغير...

يقول أحد الشباب:

ذهبت يومًا لزيارة أحد أقاربنا، وطرقت الباب، فجاءني صوت فتاة من داخل البيت تقول: من باالباااااااب؟ قالت ذلك بطريقة تمثيلية كأنها تمثل في مسرحية.

فأجبتها بنفس الطريقة: أنا الهاتف الداعي (وكانت هذه الكلمات مشهورة في إحدى المسرحيات الهزلية في ذلك الوقت)، فتفاجأت الفتاة من طريقة ردي عليها، وسمعت أباها يصرخ فيها غاضبًا، فهربت من أمام الباب سريعًا حتى لا يظن أبوها أنني أعاكسها...

وبعد ذلك كنت أذهب إلى بيتهم للزيارة، وأطرق الباب، وأنا أتمنى أن ترد هي عليّ، فقد أحببت صوتها دون أن أراها، لكنّ أباها كان قد منعها من الرد على من يطرق الباب، ومع أن هذا الموقف مر عليه أكثر من عشرين سنة، وكنا أيامها مراهقين، إلا أنني لم أنسَ هذه الفتاة يومًا.

اسأل ابنتك: ما هي صور الخضوع بالقول التي تجذب انتباه الشباب وتثير شهوة من في قلبه مرض؟

واستمع لإجابتها، ومن خلال حوار جميل علمها ألا تخضع بالقول عندما ترد على التليفون، حتى لو كان المتصل صديقتها، فربما يكون أبوها أو أخوها هو من يتصل، وعلمها ألا تخضع بالقول عندما ترد على من يطرق الباب، وعلمها كيف تتكلم في البيت (بلطف وذوق)، وتتكلم خارج البيت بحزم واختصار...

لماذا تخضع البنات بالقول؟



ذات يوم سألت عددًا من الفتيات: لماذا تخضع البنت بالقول وتجتهد لتظهر أنها رقيقة في كلامها أمام الشباب؟

فكانت إجابات الفتيات كالتالي:

تحاول البنت أن تكون رقيقة في كلامها أمام الشباب للأسباب التالية:

- لأن أمها كثيرًا ما تقول لها: «أنت لست جميلة»، فتحاول البنت أن تكون جميلة في كلامها لتثبت أن أمها خاطئة.
- تريد أن تجذب نظرات الشباب لتحصل على عريس.
- منافسة بين الصديقات.
- البنت غير المتفوقة في الدراسة، تحاول أن تكون جاذبة للشباب ومتفوقة في طريقة الكلام الجميلة.
- تتكلم بهذه الطريقة أمام الشباب - عادي - لأنها لا تعرف أنها حرام.
- تقلد الممثلات في المسلسلات والأفلام.

أيها المربي الكريم:

كل هذه أسباب - وغيرها - قد تجعل ابنتك تخضع بالقول وتتكلم بدلال أمام الشباب، فيطمع فيها صاحب القلب المريض، فاجتهد مع ابنتك -برفق- حتى لا تقع في هذه الأسباب...

الوقفة الثالثة
فيطمع الذي في قلبه مرض

قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

القلوب نوعان:

- **قلب سليم**، يملؤه الإيمان، يغلب عليه التفكير في أمر الآخرة، ولا يشغل صاحبه غير طاعة الرحمن، وهذا القلب قال الله تعالى عنه: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء ٨٨، ٨٩]، ووصف الله -تعالى- سيدنا إبراهيم بأنه صاحب قلب سليم، فقال جل شانه: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣، ٨٤]، ويصف التابعي الجليل ابن سيرين – رحمه الله – القلب السليم بأنه الذي يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور...

- **والقلب الثاني: قلب مريض**، تملؤه الشهوات، لا يفكر في أمر الآخرة، ولا يشغل صاحبه إلا المعاصي، وقد وصف الله تعالى قلوب المنافقين بأنها قلوب مريضة، فقال جل شأنه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]



وعندما تتكلم المرأة بدلال ورقة أمام الرجال، فإن تأثيرها فيهم يختلف من رجل لآخر، وذلك حسب نوع قلوبهم...

فصاحب القلب السليم حين يسمع امرأة تخضع بالقول وتتكلم بدلال، فإنه يستنكر تصرفها، ويبتعد عنها، ولا يظن بها سوءًا، ويدعو لها بالتوبة...

أما صاحب القلب المريض فإنه حين يسمع امرأة تتكلم بلين ورقة، فإنه يظن بها سوءًا، ويعتقد أنها تتحبب إليه، وتدعوه إلى المعصية، وتكون النتيجة أنه يطمع فيها، وقد يتحرش بها ويستدرجها للوقوع في الفاحشة...

ومن هنا جاء الأمر الرباني لأمهات المؤمنين -وللمسلمات جمعاوات- ألا يخضعن بالقول حتى لا يطمع فيهن صاحب القلب المريض؛ لأن في قلبه شوقًا للفسق والفجور ومحبة للزنى...

وهنا وقفة مهمة...

من هن اللواتي يحذرهن الله -تعالى- هذا التحذير ؛ ويأمرهن ألا يخضعن بالقول حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض؟ وفي أي عهد كان هذا التحذير؟

إنهن أزواج النبي ﷺ وأمهات المؤمنين، اللواتي لا يطمع فيهن طامع، وهذا التحذير في عهد النبي ﷺ وعهد الصفوة المختارة من البشرية في جميع الأعصار، ولكن الله الذي خلق الرجال والنساء يعلم أن في صوت المرأة حين

تخضع بالقول، وتترقق في اللفظ، ما يثير الطمع، ويهيج الفتنة في القلوب المريضة، وهذه القلوب التي تطمع موجودة في كل عهد، وفي كل بيئة، وتجاه كل امرأة، ولو كانت هي زوج النبي الكريم ﷺ، وأم المؤمنين... فكيف بهذا المجتمع الذي نعيش اليوم فيه؟ في هذا العصر الذي تهيج فيه الفتن وتثور فيه الشهوات؟ كيف بنا في هذا الجو الذي كل شيء فيه يثير الفتنة، ويهيج الشهوة وينبه الغريزة، ويوقظ السعار الجنسي المحموم؟ فإذا كان الأمر الرباني لأمهات المؤمنين بعدم الخضوع بالقول في عهد النبوة الأول، فإن المسلمات في زماننا أكثر احتياجا للحذر من الخضوع بالقول أمام الرجال الغرباء، حتى لا يطمع فيهن طامع...

☺ علّم ابنتك كيف تحمي نفسها من صاحب القلب المريض

تقول إحدى الفتيات:

لم يعلمني أحد أن هناك شبابًا في قلوبهم مرض وخبث وخداع، ولذلك كنت أتعامل مع زملائي (الشباب) في المدرسة والجامعة وعلى الإنترنت بحسن نية، وهذا أوقعني في كثير من المشكلات التي هزت قلبي ودمرت مشاعري، وذات يوم كنت أبحث في المحطات الفضائية، فلفت انتباهي أحد الشيوخ، فاستمعت له، وإذا به يتكلم عن آداب النساء، ولأول مرة في حياتي أسمع قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾، وحين سمعت شرح هذه الآية وفهمت معناها؛ أدركت أنها تلخص حياتي كلها، وتحدد سبب مشكلاتي وتصف علاجها، فقد كنت أحب أن أكون جميلة ورقيقة أمام الناس، ولم أكن أعرف أن هذا يحرك أصحاب القلوب المريضة،

ويدعوهم للتحرش بي...

وبعد أن سمعت المحاضرة قلت في نفسي: لو سمعت هذا الكلام في طفولتي لتغيرت حياتي، لقد اكتشفت أنه على المرأة المسلمة أن تستر جمالها عن الغرباء، وأنا كنت أجتهد لأظهر جمالي أمامهم، وعلمت أنه على المرأة الصالحة ألا تخضع بالقول أمام الشباب، وأنا كنت أتعمد ترقيق كلامي وتجميله في حضورهم، وهكذا أوقعت نفسي بين يدي الذئاب البشرية أصحاب القلوب المريضة، لقد عشت طوال حياتي ألوم الشباب على ما فعلوه بي، واليوم فهمت أنني السبب في كل ما حدث، فأنا التي جعلتهم يطمعون بي حين خضعت أمامهم بالقول...

لقد كانت هذه الآية كفيلة بحمايتي من كل المشكلات التي أوقعت نفسي فيها، ونصيحتي اليوم لكل أب وأم أن يعلموا هذه الآية لبناتهم في سن الطفولة، ويجتهدون مع بناتهن حتى يحفظوها، ويرددوها على مسامع البنات كثيرًا، حتى تكبر البنت وهي تحذر من كل قلب مريض، ولا تجعل ملبسها وكلامها وحركاتها سببًا في طمع الرجال فيها...

يا ابنتي.. هذا ما يفعله صاحب القلب المريض

عندما تعرف الفتاة صفات صاحب القلب المريض وتتوقع سلوكياته؛ فإنها غالبًا ما تنجح في حماية نفسها منه، أما عندما تكون غافلة عن أساليب الشباب الخادعة، فإنها للأسف تقع فريسة سهلة في أيدي أصحاب القلوب المريضة...

وذات يوم سألت عددًا من الفتيات: ما مواصفات الرجل (الشاب) الذي

في قلبه مرض؟ وكيف تحمين نفسك منه؟

وللأسف لم تعرف كثير من الفتيات مواصفات صاحب القلب المريض، وطبعًا لم تعرف كيف تحمي نفسها منه...

فقلت لهن: سأخبركن ببعض مواصفات وسلوكيات صاحب القلب المريض:

- صاحب القلب المريض ضعيف أمام صوت المرأة، فإن سمع فتاة تتكلم بصوت لطيف، فإنه يظن أنها تغازله وتتحبب إليه، ما يدفعه للتقرب منها، والتحرش بها.
- وصاحب القلب المريض يعاكس الفتيات في التليفون، ومع أن البنت قد تشتمه وتصد عنه، إلا أنه لا ييأس ويظل يطاردها، وبعض الشباب يستمتع بشتم البنات له، ودليل ذلك أنه يعاود الاتصال مرات ومرات رغم أن الفتاة تشتمه.
- صاحب القلب المريض يعتقد أنه لا توجد فتاة مؤدبة، ولا يفكر إلا في الجنس، وقد يتخذ الحب وسيلة للإيقاع بالفتيات.
- صاحب القلب المريض يتجسس على جاراته، ويراقبهن من خلف الشباك، ويتابع الفتيات حين تخرجن إلى الشرفة، بل إنه قد يشتري منظارا يتجسس من خلاله على نساء الجيران؛ لذلك على البنت ألا تخرج للشرفة إلا للضرورة فقط وبكامل حجابها.
- وصاحب القلب المريض يراقب حبل غسيل الجيران، ويبحث فيه عن

الملابس النسائية، فإن رأى شيئًا من ذلك اشتهى صاحبة البيت، وتخيل نفسه يفعل الفاحشة معها.

- صاحب القلب المريض حين يسمع امرأة تضحك بطريقة جريئة؛ فإنه يظن أنها تضحك بتلك الطريقة لأنها فتاة سيئة وشهوانية، ويعتقد أنها تتعمد الضحك أمامه لأنها تتحبب إليه وترغب في التواصل معه، مما يجعله يراقبها ويسير خلفها ويتحرش بها ظنًّا منه أنها تريد ذلك.
- صاحب القلب المريض ضعيف أمام عطر المرأة، فإن مرت به فتاة متعطرة فإن قلبه يتعلق بها، ويظن أنها تعطرت لتجذب الرجال، وهذا يعني من وجهة نظره أنها سيئة وتريد الفاحشة.
- صاحب القلب المريض يصطاد الفتيات على الإنترنت، ويحاول التواصل معهن، وغالبًا ما يكون تواصله - ليلًا - ليصطاد الفتاة الوحيدة، وهو يظن أن الفتاة التي تتواصل معه ليلًا غير مؤدبة، وفعل الفاحشة معها سهل، لأنها تتواصل معه ليلًا بعيدًا عن عيون أهلها.
- صاحب القلب المريض يتجسس على صديقة أخته (أو صديقة زوجته وابنته) حين تأتي لبيتهم.
- صاحب القلب المريض يتحرش بالطالبة التي يعطيها درسًا، ويلمس جسدها بطرق تبدو طبيعية، لكنه يتحرش بها.
- صاحب القلب المريض إذا ركب بجوار فتاة (في السيارة أو الطائرة)، فإنه يجتهد بكل الطرق حتى يلمس جسمها، ويتحرش بها.

- صاحب القلب المريض إذا كان سائق تاكسي فإنه يضع المزيد من المرايا التي تمكنه من مراقبة السيدة التي تركب معه من جميع الزوايا، وتحكي إحدى الفتيات قصتها مع سائق التاكسي صاحب القلب المريض فتقول: ذات يوم كنت بصحبة أختي الكبرى، ووقفنا لنركب التاكسي، وأشرنا لأحدهم فتوقف، وركبت أختي في الخلف وهممت بالركوب بجوارها، لكن السائق قال لي: تعالي لتجلسي في المقعد الأمامي لتتوازن السيارة، واستجبت له بسهولة عجيبة رغم أن أختي قالت لي: اركبي بجواري...

وانطلق السائق، وبعد قليل قال لي: اربطي حزام الأمان، وللمرة الثانية استجبت له بسهولة، وهذا ما جعله يطمع فيّ أكثر، وبدأ يتحرش بي، كان يفعل ذلك وكأنه يقوم بحركات عفوية خلال قيادته للسيارة، لكن يده كان تتحرش بجسدي، وكانت هذه أسوأ مرة أركب فيها التاكسي...

ووصلنا لوجهتنا، فنزلت من التاكسي وأنا مقهورة لا أدري ماذا أفعل، وكل ما استطعت فعله هو أن أغلق باب التاكسي بقوة وعنف، وأصرخ في السائق قائلة: أول مرة يفعل أحدهم بي ذلك...

وقد تعلمت درسًا قاسيًا، وهو ألا أثق في نفسي أكثر من اللازم، وأن أحذر من السائقين الذين في قلوبهم مرض، وألا أركب أبدًا بجوار السائق، والعجيب أن هذا الموقف حدث معي وأنا في العشرين من عمري...

اجلس مع ابنتك، وأخبرها بقول الله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾، وتحدث معها عن أفعال صاحب القلب المريض في السيارة والمدرسة وعلى الإنترنت وفي بيت زميلتها وعند الجيران، وبعد أن تعرف ابنتك بعض حيل أصحاب القلوب المريضة، اسألها: كيف تحمي البنت نفسها منهم؟ وقد يكون هذا الحوار سببًا في حماية ابنتك لسنوات...

☺ هل تعرف ابنتك أن هناك من يطمع فيها؟

يخاطب الله -تعالى- أمهات المؤمنين بقوله جل شأنه: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾، وهذا يعني أن هناك في عهد النبي ﷺ رجال في قلوبهم مرض وشهوة وميل للفاحشة، ويبحثون عن أي امرأة تشبع شهوتهم؛ ولذلك فإن على أمهات المؤمنين ألا يخضعن بالقول خارج البيت وحين يتكلمن مع الغرباء، حتى لا يتحن الفرصة لمن في قلبه مرض أن يطمع فيهن...

وإذا كان هذا الذي في قلبه مرض موجودًا في عهد النبي ﷺ: (لوجود المنافقين واليهود وغيرهم بالمدينة)، فكم هو عدد من في قلوبهم مرض في زماننا؟

إن كثيرًا من بناتنا اليوم يقعن في مصايد الشباب، ويلعب بهن أصحاب القلوب المريضة؛ لأن بناتنا طيبات أكثر من اللازم، ولم يعلمهن أحد أن هناك ذئاب بشرية مريضة القلوب، ولذلك تتعامل البنت مع الشباب في الواقع وعلى الإنترنت بحسن نية، وكثير من البنات تقول بعد أن يخدعها أحدهم: لم

أكن أعرف أن هناك شبابًا سيئًا وخبيثًا لهذه الدرجة... وقصص الفتيات المخدوعات مهمة جدًّا لتحذير البنات الطيبات، فالبنت حين تسمع وتقرأ مثل هذه القصص، فإنها تدرك أن هناك شبابًا في قلوبهم مرض، ويبحثن عن فتاة بريئة لتروي شهوتهم المريضة، فتأخذ البنت حذرها وتحمي نفسها، ولا تفعل شيئًا يجذب انتباه صاحب القلب المريض ويجعله يطمع فيها...

تقول إحدى الفتيات:

عندما بلغت ودخلت عالم المراهقة، بدأت أمي تقول لي: يا ابنتي، لقد كبرت، وأصبح جسمك جميلاً، وفيه الطمع، فاستري نفسك حتى لا يطمع فيك الشباب... هذه الكلمات سمعتها من أمي عشرات المرات، وكانت سببًا في حذري من الشباب والاجتهاد في حماية نفسي من طمعهم، وكانت تصرفات زميلاتي تؤكد لي يومًا بعد يوم أمي محقة في كلامها، فالبنت التي كانت لا تنتبه لملبسها وكلامها وحركاتها أمام الشباب؛ كانوا يطمعون بها ويظنون أنها تغازلهم وتريد مصاحبتهم، أما البنت المحتشمة الحازمة فكانوا يظنون بها خيرًا ويكفون عنها أذاهم...

ويقول أحد الآباء:

في هذا الزمن الصعب، لم يعد أصحاب القلوب المريضة يتربصون بالفتيات فقط، بل تعدى الأمر للتحرش بالأولاد، والاحتيال عليهم حتى يقعوا في جريمة اللواط، ومن هنا رأيت أن من واجبي تجاه ابني أن أحذره ممن في قلبه مرض، كما أحذر ابنتي تمامًا، وبدأت مع ابني منذ كان عمره ٤ سنوات، فعلمته كيف يتعامل مع من يطلب منه خلع البنطلون، وماذا يفعل مع من يلمسه في أماكن العورة (العيب)، وكيف يحمي نفسه حين يقف في طابور المدرسة والمخبز وغيرهما،

والحمد لله كانت النتيجة جميلة، وحفظ الله -تعالى- ابني من التحرش واللواط.

سؤال للبنات: هل علمتك أمك كيف تحمي نفسك ممن في قلوبهم مرض؟ وكيف؟

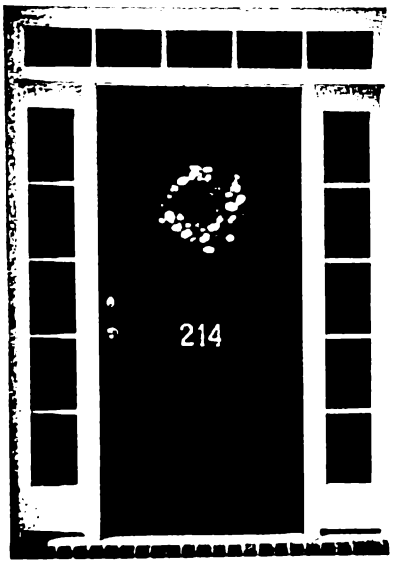
سؤال للأمهات: هل تعلمين ابنتك كيف تحمي نفسها ممن في قلبه مرض؟ وكيف؟

إذا كان الله -تعالى- قد حذر أمهات المؤمنين ممن في قلبه مرض، وعلمهن كيف يحمين أنفسهن منه، وذلك بعدم الخضوع بالقول، فمن الواجب على الآباء والأمهات أن يسيروا على منهج القرآن الكريم، ويحذروا بناتهم ممن في قلوبهم مرض، ويعلموا البنت كيف تحمي نفسها من صاحب القلب المريض في الشارع والنادي والمدرسة وغيرها...

☺ كيف تحمي ابنتك ممن في قلبه مرض؟

يقول أحد الآباء:

ذهبت يومًا لزيارة أحد أصدقائي، وطرقت الباب، وفوجئت بزوجته تفتح الباب، وقابلتني المرأة بترحاب شديد وناعم؛ حرك الشر في نفسي، فقلت لها: أنا آسف لعل زوجك غير موجود أو نائم، فقالت: بالعكس، إنه بانتظارك، لكنه يشاهد المباراة، وهو من أمرني أن أفتح لك الباب...



ودخلت بيت صديقي، فوجدته جالسًا أمام التلفزيون، وأخبرني أنه لم يستطع تفويت

مشهد مهم من المباراة، لكنه استطاع أن يجعل زوجته تفتح الباب لرجل غريب، وهو بذلك جعلها تتعرض للطمع ممن في قلبه مرض، بل إنه بفعلته حرك المرض الكامن في قلبي...

وانتهت الزيارة بأقل خسائر ممكنة، ورجعت إلى بيتي وقد تعلمت أهم درس في حياتي، لقد تعلمت ألا أجعل زوجتي تفتح الباب أبدًا للرجال، ولكي أحمي ابنتي من طمع أصحاب القلوب المريضة؛ فقد وضعت قاعدة في بيتي تجعل الولد هو من يرد على الهاتف، وهو من يرى من بالباب، أما إن لم يوجد في البيت ولد فعلى البنت أن تسأل من بالباب دون أن تفتحه، وتفعل ذلك بأدب وحزم وبصوت رصين، وربيت أولادي الذكور على أنه من العيب أن يكون جالسًا ويترك أخته ترد على هاتف المنزل أو ترى من بالباب...

ويقول أب آخر:

شعرت أن من واجبي تجاه ابنتي أن أعلمها كيف تراجع ملابسها قبل مغادرة المنزل، فجلست معها يومًا وقلت لها: قبل خروجك من المنزل تنظرين في المرآة وتراجعين ملابسك قبل الخروج، وهذا جميل لكن ما الذي تبحثين عنه؟ وما الذي تراجعينه قبل الخروج؟



فقالت: أعدل الحجاب، وأتأكد أنه ممسوك جيدًا، وأحرص ألا تظهر خصلات الشعر من تحته، وهكذا.

فقلت له: جميل، ولكن هناك أربعة أشياء يجب عليك مراجعتها قبل الخروج، وأنت تفعلين

ذلك دون أن تشعري.

قالت: ما هي؟

قلت لها: سأخبرك في المرة القادمة التي تخرجين فيها من البيت.

وفي اليوم التالي رأيتها تستعد للخروج، فقلت لها: تعالي يا ابنتي لأراجع ملابسك قبل الخروج، ما شاء الله حجابك جميل فلا يظهر منك خصلة شعر، وملابسك واسعة وألوانها هادئة، وتلبسين جوربًا (ممتاز)، الوجه بلا ماكياج تمامًا لا خفيف ولا ثقيل (ممتاز)، لا تضعين عطرًا (ممتاز)، وليس في كعب حذائك قطعة حديد ترن عند مشيك فحذاؤك صامت (ممتاز)، أنا فخور بك يا ابنتي، فأنت بهذه الأشياء الأربعة تبعدين نظر الشباب عنك، وتحمين نفسك من أصحاب القلوب المريضة... وقبلت رأسها، ودعوت لها بخير...

وتقول إحدى الأمهات:

ذات يوم جلست مع ابنتي المراهقة وقلت لها: لقد شعرت اليوم أنني أحبك وفخورة بك جدًّا.

فقالت ابنتي: عجبًا، فأنت منذ سنين لم تقولي: أحبك، يا ترى ما السبب؟

فقلت لها: لقد قارنت اليوم بينك وبين زميلاتك البنات، فرأيت ملبسك - بفضل الله - أفضل منهن بكثير، وتطيعين الله -تعالى- حين تخرجين من البيت بأربعة أشياء.

ففرحت ابنتي وقالت: ما هي؟

فقلت لها: أنت تلبسين الحجاب، وملابسك ليست ضيقة، وغير جاذبة

لأنظار الشباب، وهذا استجابة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وكعب حذائك لا يوجد به حديدة؛ لذلك لا يصدر صوتًا كلما ضربت به في الأرض، وهذا استجابة لقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وأنت لا تضعين عطرًا عند خروجك من المنزل؛ وهذا خوفًا من قول النبي ﷺ: «أيما امرأةٍ استعطرتْ، فمرتْ على قومٍ ليجدوا من ريحِها؛ فهي زانيةٌ»(١)، وأنت لا تضعين ماكياج، وذلك استجابةً لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾

[الأحزاب:٣٣]..

فدمعت عينا ابنتي فرحًا وقالت: لقد كان الشيطان يلعب في رأسي أن أفعل مثل صديقاتي، فأضع عطرًا وماكياج وغيره، لكن كلامك جاء في الوقت المناسب.

فقلت لها: من اليوم ستشعرين بسعادة كلما خرجت من البيت؛ لأنك ستتذكرين أنك تطيعين الله تعالى بأربعة أشياء، لكن قبل أن تخرجي لا تنسي أمك من دعائك، فهي من جعلتك تفتخرين بطاعتك لله...

☺ علم ابنك أن يحذر ممن تخضع بالقول

إذا كان في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ تحذير للنساء من عدم الخضوع بالقول أمام الرجال، ففيه تحذير للرجال حتى يحذروا من المرأة التي تخضع بالقول؛ لأنها قد تحرك ما في القلب من مرض،

(١) صحيح النسائي للألباني ح ر ٥١٤١.

وتثير ما فيه من شهوة، فقد يكون في قلب أحدهم مرض، لكنه ساكن ومستقر، وما إن يسمع صوت امرأة تخضع بالقول، ويركز معها، ويسمح لكلماتها أن تدخل قلبه، حتى ينشط نحو المعصية...



وعلى الرجال في زماننا أن يكونوا أكثر حذرًا من كيد النساء، ففي زماننا نساء يجمعن كل فتنة الأنثى، وكل هتاف الجنس، وكل سعار الشهوة، ثم يطلقنه في نبرات ونغمات، يمكنها أن تلعب بقلوب أعقل الرجال، سواء كان ذلك خلال غناء ماجن أو كلام ناعم...

يقول أحد الآباء:

لم يرزقني الله -تعالى- ببنات، فكنت عندما أسمع قول الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، كنت أظن أنه لا شأن لي بهذه الآية، فليس عندي بنات أحميهن ممن في قلبه مرض، لكن بعد فترة اكتشفت أن هذه الآية مهمة بالنسبة لي أكثر ممن رزقه الله بالبنات، فالخوف لا يكون فقط على البنات ممن في قلبه مرض، بل إن الخوف الأكبر أن يكون أحد أولادي هو نفسه صاحب القلب المريض الذي يطمع في بنات الناس، وحينها يكون سببًا في مصائب الدنيا والآخرة، وعندما أدركت ذلك بدأت أدعو الله تعالى قائلًا:

اللهم لا تجعل أولادي ممن في قلوبهم مرض، اللهم انزع المرض من قلوب أولادي، وأوصيت زوجتي بكثرة الدعاء لأولادنا بهذا الدعاء، ولم أكتفِ بذلك، بل بدأت أدعو الله -تعالى- لبنات إخوتي وبنات المسلمين أن يحفظهن الله -تعالى- من أصحاب القلوب المريضة...

علم ابنك كيف يرى من تخضع بالقول على حقيقتها، وعلمه كيف يحذر منها، وادع لأبنائك ألا يكونوا من أصحاب القلوب المريضة

الوقفة الرابعة
وقلن قولا معروفا

قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

بعد أن نهى الله -تعالى- أمهات المؤمنين - ونساء المسلمين عن الخضوع بالقول ، حتى لا يطمع فيهن صاحب القلب المريض، أمرهن جل شأنه بأن يكون حديثهن في أمور معروفة لا تثير شهوة ولا تجلب طمعًا، فإن موضوع الحديث قد يطمع صاحب القلب المريض مثل طريقة الكلام تمامًا، فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب كلام خاص، ولا دعابة ومزاح، ولا أسرار وهزل.

إن من واجبنا كآباء وأمهات أن نعلّم بناتنا الصغار والمراهقات أن هناك موضوعات يجب على المرأة ألا تتكلم فيها مع الرجل الغريب (في الواقع وعلى الإنترنت)...

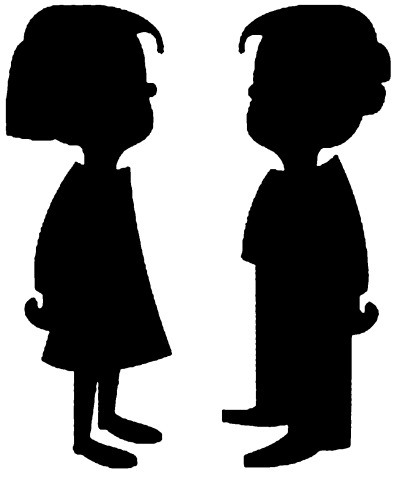
يقول أحد الآباء:

سألت ابنتي يومًا: ما الموضوعات التي يجب على الفتاة ألا تتكلم فيها مع الرجال الغرباء؟

فابتسمت وقالت: من هو الرجل الغريب؟

فقلت لها: سؤالك جميل، فالمرأة لها محارم هم أقرب الناس إليها، ولا يجوز لها الزواج بهم، وهم: الأب - الجد - الأخ - الأعمام - الأخوال - ابن الأخ - ابن الأخت... ومن حق الفتاة أن تظهر أمام هؤلاء بثياب الخدمة المنزلية المحتشمة، وتستشيرهم في أمورها الخاصة، وقد تحكي لأحدهم أسرارها ومشكلاتها ليساعدها في حلها، ويجوز لها أن تمزح مع أحدهم بالكلام المؤدب، وكذلك تسمح لهم بالمزاح معها بأدب... أما غير هؤلاء الرجال فهم غرباء؛ يجب ألا تتكلم البنت معهم إلا لضرورة، ولا تمزح معهم، ولا تحكي لهم أسرارها.

فقالت ابنتي: معنى ذلك أن ابن عمي وابن خالي غرباء؟



قلت لها: ابن عمك وابن خالك أقارب، لكنهما ليسا محارم؛ لأنه يجوز لك الزواج بأحدهما، ومن هنا لا يجوز لك الكلام معهما في أمورك الخاصة، ولا المزاح مع أحدهما، ولا الجلوس معهما على انفراد، وتظهرين أمامهما بكامل حجابك...

فقالت ابنتي: أتعلم يا بابا ماذا فعلت أنت الآن؟ لقد أجبت عن أسئلة كثيرة كانت تدور في رأسي؛ إذ كنت أسأل نفسي: لمن أحكي أسراري وأشكو همومي؟ ولم أكن أعرف حدود التعامل مع أولاد عمي وأبناء خالي، والحمد لله أنك تكلمت معي...

إن كل البنات لديهن أسئلة كثيرة حول كيفية التعامل مع الجنس الآخر،

لكن طبيعة العلاقة مع الوالدين لا تسمح لهن أحيانًا بطرح مثل هذه الأسئلة، وبعض الآباء والأمهات مشغولين عن بناتهم؛ لذلك فإن هذه الأسئلة تبقى بلا إجابة صحيحة؛ ولذلك تتخبط البنات في تعاملهن مع الرجال...

☺ علم ابنتك كيف تجيب عن سؤال الرجل الغريب



بعض أصحاب القلوب المريضة يحاولون التقرب من النساء (زميلات الدراسة - زميلات العمل - الأقارب - الجيران)، ويفعلون ذلك بطريقة ماكرة جدًّا، فيبدأ حواره مع الفتاة بسؤال يبدو في ظاهره عاديًّا، لكنه قد يجرها إلى الحديث عن أمورها الخاصة، كأن يقول الرجل لزميلته في العمل: لماذا تغيبت بالأمس؟ أو يسأل جارته عن زوجها قائلًا: زوجك لم نره منذ أيام هل هناك مشكلة؟ أو يقول الشاب لابنة عمه: لماذا أراك حزينة؟

وقد يجد الرجل فتاة في مشكلة، فيسألها عن حالها حتى يساعدها، وقد يكون صادقًا في سؤاله، ولا يريد بها شرًّا، لكنها يجب أن تكون حذرة في إجابتها عن سؤاله، ولا تعطيه فرصة للتكلم في أمورها الخاصة، ولا تخبره بشيء من أخبار بيتها وزوجها...

والنموذج التالي يوضح الطريقة الصحيحة التي يجب أن تستخدمها المرأة في الإجابة عن سؤال الرجل الغريب...

قال تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٢ - ٢٦].

لقد خرج موسى -عليه السلام- من مصر هاربًا، وانتهى به السفر الشاق الطويل إلى ماء لمدين (جنوب الشام وشمالي الحجاز)، وصل إلى هناك وهو مجهود مكدود، وإذا هو يرى مشهدًا لا تستريح إليه النفس ذات المروءة، كنفس موسى عليه السلام، لقد وجد الرعاة الرجال مزدحمين عند البئر يسقون أنعامهم، ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن الوصول للماء، فأنكر ذلك؛ لأن الأولى عند ذوي المروءة أن تسقي المرأتان أولا وتذهبا بأغنامهما، وأن يفسح لهما الرجال ويساعداهما.

ولما رأى موسى هذا المشهد، توجه ناحية المرأتين وسألهما: ما خطبكما؟

إنه سؤال بريء من شخص كريم يريد المساعدة (وفي زماننا لا تستطيع البنت التفرقة بين صاحب السؤال البريء، وصاحب الحيلة الماكرة، فعليها أن تحترس).

ومع أنه سؤال بريء، وظروف المرأتين صعبة، إلا أن إجابتهما كانت مختصرة ومعبرة: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، فنحن

نقف بعيدًا ولا نزاحم الرجال، ونحبس الغنم حتى ينصرف الرجال بأنعامهم، ثم نسقي بعدهم، وسبب اشتغالنا بهذا العمل أن أبانا شيخ كبير، وليس هناك من يرعى الغنم غيرنا...

وهنا وقفة مهمة جدا:

لو قالت المرأتان: لا نسقي حتى ينتهى الرعاء (فقط)، لكانت هناك فرصة لسؤال سيدنا موسى: أليس في بيتكم رجل يسقي بدلاً منكما؟ لكنهما قطعتا الطريق عن أي سؤال، وقالتا سبب خروجهما لرعي الغنم وسقيها، فقالتا: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، وهكذا ينتهي الكلام مع الرجل الغريب الذي يسأل عن حالهما، وهذه الإجابة تقطع الطريق أمام الرجل الغريب فلا تكون أمامه فرصة لمزيد من السؤال وتطويل الحوار، وهكذا تتحاور الفتاة بحزم وأدب وذكاء.

ولما علم موسى بالخبر، ثارت نخوته، فتقدم ليسقي للمرأتين أولاً قبل الرجال، كما كان ينبغي على الرجال ذوى الشهامة أن يفعلوا، وسقى لهما، ثم تولى إلى الظل فقال: ﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

وهو هناك في ظل الشجرة، جاءته إحدى المرأتين تمشي على استحياء وقالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، وهنا تبدع المرأة للمرة الثانية في الحوار مع الرجل الغريب الذي صنع لها معروفًا، إنها لم تقل له: إن أبي يدعوك (وتسكت)، لو فعلت ذلك كان موسى سيسألها: لماذا يدعوني أبوك؟ وما المناسبة؟ وماذا يريد؟ ولأن الفتاة لا تريد ذلك، وتريد فقط توصيل رسالة أبيها بأقل قدر من الكلمات، التي لا تسمح للغريب بالسؤال ولا

بتطويل الحوار، قالت: إن أبي يدعوك (وسبب الدعوة) ليجزيك أجر ما سقيت لنا، وهكذا ينتهي الكلام ولا مجال للسؤال بعده...

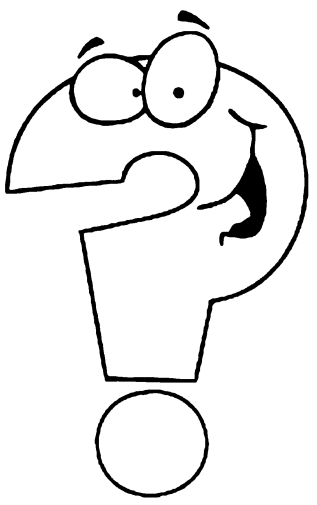
ومن الملاحظ في طريقة حوار الفتاتين مع موسى (كرجل غريب) أنها كانت جيدة جدًّا، فلا تردد فيها ولا ترقيق، فالكلام يعبر عن فتاة واثقة في نفسها، حازمة في كلامها، ومن الواضح أن هذه الكفاءة لم تأتِ بين يوم وليلة، إنها نتيجة تدريب وتعليم من أبيهما الشيخ الكبير، ومن هنا كان من الواجب على الوالدين أن يدربا البنات على كيفية التحاور مع الشباب والرجال في المدرسة والسوق وبيت العائلة وغيرها...

نقول إحدى المربيات:

من خلال تعاملي مع الفتيات، لاحظت أنهن يفتقدن لمهارة الحوار مع الرجل الغريب، سواء كان هذا الغريب معلمًا في المدرسة، أو أستاذًا في الجامعة، أو زميلًا في الدراسة، أو جارًا في المنزل، أو قريبًا في العائلة، فقررت أن أقوم أنا بهذه المهمة (رغم أنها تحتاج لمركز ودورات متخصصة في تدريب الفتيات على فن الحوار)، وجمعت عددًا من الفتيات الحبيبات، ودرست معهن قصة المرأتين مع سيدنا موسى، وكيف سألهما موسى عليه السلام: ما خطبكما؟ فأجابتا بطريقة مبدعة: قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، وكيف أوصلت إحداهما رسالة أبيها إلى موسى -عليه السلام- بعبارة حازمة لا تحتمل تطويلًا ولا تأويلاً، قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا...

وقلت لهن: هناك مهارتان للفتاة يجب أن تتعلمها في الكلام مع الغرباء،

هما: مهارة الإجابة عن سؤال الغريب، ومهارة توصيل الرسالة له.



والآن: هيا نتدرب على المهارة الأولى، مهارة الإجابة عن سؤال الرجل الغريب...

لو سألك الأستاذ في الفصل: لماذا تغيبت بالأمس؟ فكيف تردين عليه بعبارة موجزة ومهذبة ولا تسمح له بمزيد من الأسئلة؟

وبدأت أستمع لإجابات البنات، وأساعدهن في صياغة العبارات، وإن كانت إجابة إحداهن تسمح للملعم بمزيد من الأسئلة، أوضح لها ذلك، في جو من المزاح والمرح...

وقمت بتدريب البنات على الإجابة عن مزيد من أسئلة الغرباء، فابن العم قد يسأل الفتاة: لماذا لم تأتِ لزيارتنا منذ فترة؟ والجار قد يسأل الفتاة عن أبيها: لماذا لم نرَ أباك منذ يومين؟

وطلبت من البنات أن يحكين بعض المواقف التي حدثت لهن خلال الحوار مع الرجال الغرباء، وما نوع الأسئلة التي تتعرض لها الفتاة؟

وبعد ذلك انتقلنا للمرحلة الثانية، وهي مرحلة توصيل الرسالة للرجل الغريب، فإحدى الفتاتين جاءت إلى موسى توصل رسالة أبيها، وقالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، وهكذا يجب أن توصل الفتاة الرسالة للرجل الغريب؛ لذلك طلبت من البنات التنافس في صياغة العبارات الموجزة التي توصل الرسائل التالية:

- قال لك أبوك: اتصلي بابن عمك واطلبي منه أن يأتي ليذهب معي إلى المستشفى، فماذا ستقولين لابن عمك؟
- تغيبت عن المدرسة يومًا، وفاتك اختبار أحد المعلمين، كيف تعتذرين له بأقل الكلمات ليقبل اعتذارك؟ وكيف تطلبين منه أن يعيد الاختبار لك؟
- اضطررت للعمل كبائعة في محل ملابس نسائية، وجاء رجل يسأل عن شيء يريد شراءه، فكيف تتكلمين معه؟
- شتمتك زميلتك في الفصل، وشكوت للمعلمة، فقالت لك: اذهبي لمدير المدرسة أو الإخصائي الاجتماعي واحكي له ما حدث، فماذا ستفعلين؟ وكيف ستحكين مشكلتك لهذا الرجل؟

ولقد فرحت البنات كثيرًا بهذه الفكرة، لدرجة أن الأمر تحول إلى مزاح وتنافس بين الفتيات، فبدأت بعض الفتيات تطرح على صديقاتها مواقف تتضمن التعامل مع الرجل الغريب، وتطلب منهن التفكير في كيفية توصيل الرسالة له، والرد على سؤاله الصعب، بأقل كلمات، وبطريقة لا تسمح له بمزيد من الحوار.



☺ كيف تتعامل الفتاة مع زملاء أبيها وأمها في العمل؟

تقول إحدى الفتيات:

عندما كنت في المرحلة الجامعية، كنت

أزور أمي في مكان عملها، وكان لأمي زميل في العمل في مثل عمرها تقريبًا، وكان يبدو عليه الوقار والحكمة، وكان يلقاني بترحاب شديد، ويدعوني للجلوس أمام مكتبه، ويسألني عن أحوال دراستي، ويقول مازحًا مع أمي: إن كانت ماما تتعبك في شيء فقولي لي لآخذ لك حقك...

كنت أراه رجلًا لطيفًا رقيق القلب، وكانت أمي تسمح لي بالجلوس معه، وخاصة أنني أجلس معه في المكتب أمام أمي وباقي زملائها، ومرة بعد مرة بدأت أحكي له مشكلاتي العائلية، وكيف أن أمي ترهقني في عمل المنزل وشراء ما تحتاجه الأسرة، رغم صعوبة الدراسة، وتوطدت علاقتي به لدرجة أنه عندما سافر أبي وأمي للحج كان يسأل عني من حين لآخر.

وبعد فترة من الزمن تقدم لخطبتي أحد الشباب الكرام، فوافق الجميع عليه ورحبوا به، وتم عقد القران، وذهبت يومًا لزيارة أمي في العمل، فقابلني هذا الرجل (زميل أمي) وأخبرته بالخبر، وظننت أنه سيفرح، لكنه بدلاً من ذلك قال لي معاتبًا: لقد تعجلت بالزواج...

وهذه الكلمات جعلتني أكتشف حقيقة هذا الرجل، لقد كان يستدرجني لشيء سيئ في نفسه، لكن الله سلم، وحكيت ذلك لصديقتي، فقالت: إنها تعرف هذا الرجل جيدًا، وإنه خدع كثيرًا من الفتيات، ولم تقتنع به إحداهن، وهذا ما جعله لم يتزوج حتى الآن، رغم كبر سنه...

لقد كنت أراه مثل أبي تمامًا، وأثق فيه، لكنني اكتشفت فجأة أنه ذئب مخادع، وأن أمي - بحسن نية - تركتني فريسة بين يديه، لقد كانت ثقة أمي في غير محلها، وهي للأسف من شجعني على حكاية أسراري له، والحمد لله تحول

احترامي له إلى كراهية بلا حدود...

☺ كيف تتكلم الفتاة مع البائعين في السوق؟

سألت عددًا من البائعين: كيف تحكم على السيدة التي تشتري منك إن كانت سيدة صالحة أم سيئة؟

فقال الجميع: أحكم على المرأة من طريقة كلامها، فالسيدة المحترمة تسأل عن السعر، وقد تساوم (تفاصل) وتطلب تخفيض ثمنه بعض الشيء، لكنها تفعل ذلك بحزم وأدب، أما السيدة السيئة، فتكون طريقة كلامها لينة زيادة عن اللازم، وتساوم في السعر بطريقة فيها تكسر وميوعة، فتقول للبائع: من أجلي خفض السعر، فلان يبيع بسعر أرخص منك، لماذا أسعارك غالية؟ أنا زبونتك ومن المفترض أن تكرمني... وغيرها من العبارات التي يظن البائع من خلالها أنها تتحبب إليه، وتريد منه شيئًا آخر غير البضاعة التي يبيعها، بل إن بعض السيدات تتعمد الكلام الناعم مع البائع حتى تحصل على سعر أقل، وتظن أنها بذلك تضحك على البائع، في حين أنه هو من يضحك عليها وينال من عرضها بطرق مختلفة كلامًا ولمسًا وغيره، وكثير من المصائب تحدث بسبب طريقة كلام النساء مع البائعين.

يقول أحد العلماء:

كانت هناك امرأة متزوجة ولها أولاد، لكنها كانت جاهلة بطريقة الكلام الصحيحة مع البائعين في السوق، وقفت يومًا على بائع وساومته في ثمن البضاعة مساومة فيها تكسر، وفيها لين، وفيها استعطاف، حتى ظن البائع أنها تقبل أن يأتي إلى بيتها ويفعل معها الفاحشة...

وبعد دقائق من شرائها بسعر منخفض جدًّا، رجعت إلى بيتها، وفوجئت بالبائع يدخل عليها المنزل ويحاول تقبيلها، ولقد فعل ذلك ظنًّا منه أنها تريد ذلك عندما كلمته بنعومة في السوق، لكن المرأة صرخت ونادت على ابنها الذي كان في البيت، وسمع أهل الحارة بالأمر، ووصل الخبر إلى زوجها الذي كان يعمل في محل قريب من المنزل، فجاء وأحضر الشرطة، وقبضوا على المعتدي، لكن الزوج لم يكتفِ بذلك، بل طلق زوجته، مع أنها بريئة لم تفعل شيئًا، لكن جهلها بأصول الحديث مع الرجال أغرى هذا البائع بها؛ فدخل البيت عنوة وهو يظن أنها ترضى أن تزل قدمها معه، وهنا تظهر الحكمة من قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

☺ لا تشكري الرجل وتمدحيه فيظن أنك تحبينه

إن كثرة شكر المرأة للرجل ومدحها له بصورة مبالغ فيها، ليس من القول المعروف الذي أمر الله تعالى به المرأة المسلمة، ولقد سألت عددًا من الشباب:

إذا كانت هناك فتاة تمدحك كثيرًا، وتشكرك بطريقة مبالغ فيها (سواء حدث ذلك مباشرة في الواقع أو عن طريق الإنترنت)، فماذا ستقول - في نفسك - عنها؟

فاتفق الجميع على كلمة واحدة: سأقول إنها معجبة بي، وتحبني...

يقول أحد الآباء:

ذات يوم ناولتني زميلتي في العمل كوبًا من الشاي، فقلت لها: تسلم يداك

(وهي كلمة عادية أقولها كثيرًا لزوجتي ولأولادي ولكل من يكرمني بخدمة ما)، ففوجئت بزميلتي تقول: أنت أول واحد يقول لي تسلم يداك، أنا متزوجة منذ ١٣ سنة ولم أسمع هذه الكلمات الرقيقة من زوجي يومًا...

ومع كلمات زميلتي هذه بدأت أشعر بخطر شديد يقترب، وقلت في نفسي: ألهذه الدرجة يجب على الرجل أن ينتبه لكلماته عند مخاطبة امرأة غريبة؟ ويجب أن تختلف كلماته مع زميلاته وجاراته تمامًا عن كلماته التي يقولها لزوجته؟

ومن ساعتها قررت أن أتوقف عن المبالغة في شكر أي امرأة غير زوجتي...

ويقول أب آخر:

كثرة مدح المرأة لرجل غريب عنها هي دعوة صريحة للزنى، وهذا ما حدث معي، فقد كانت لي زميلة في العمل، وكنت كلما أديت لها خدمة تشكرني وتمدحني كثيرًا، وكانت تفعل ذلك بطريقة مبالغ فيها، لدرجة أنها قالت يومًا: يا سعادة زوجتك بك، ليت زوجي يكون مثلك... وكانت هذه مغازلة صريحة منها، وللأسف كنت في هذا الوقت مستعدًّا لعلاقة آثمة، فاتصلت بها في المساء عن طريق التليفون، وكنت أظنها ستفرح بذلك، تمهيدًا لعلاقة أعمق، لكنني فوجئت بها تغضب بشدة، وتعاملني بغلظة، وفي اليوم التالي أخبرتني ألا أتصل بها نهائيًّا في المنزل، فقلت لها: ألم تقولي لي بالأمس: ليت زوجي مثلك، وكانت هذه دعوة صريحة منك للتواصل؟ فبكت وقالت: أنا لم أقصد ذلك أبدًا، وبعد أيام فوجئت بها قد انتقلت للعمل في مكان آخر...

علّم ابنتك كيف تجيب عن أسئلة الشباب، وكيف تبلغ رسالة لرجل ما، وكيف تتكلم مع الأقارب في العائلة، والسائقين في الحافلات، وكيف تشكر رجلًا دون أن يطمع فيها...

وعلم ابنتك كيف تتعامل مع البائعين، السعر محدد تشتري إن كان يناسبها، أو تنصرف بسلام، وإن ساومت على السعر (فاصلت فيه) فيكون بحزم دون تكسر أو لين في الكلام...

علّم ابنك كيف يرى حقيقة من تخضع بالقول

أصبح الخضوع بالقول منتشرًا في الأفلام والمسلسلات وغيرها بطريقة عجيبة، وبعض الفتيات تقلد الممثلات وتخضع بالقول أمام الشباب لتظهر بمظهر الفتاة العصرية المرحة الجميلة، والمرأة عندما تقرر أن تخضع بالقول فإنها تفعل ذلك بإتقان عجيب، فتكون قادرة على أن تلعب بعقول الشباب والرجال وتتلاعب بقلوبهم، ولقد بين الله -تعالى- أن لدى المرأة قدرة عجيبة على اللعب بالرجال وذلك في قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨][1].

(١) ذكر الإمام القرطبي أن كيد المرأة أعظم من كيد الشيطان؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، بينما يقول جل شانه عن النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ الجامع لأحكام القرآن ٩ / ١٧٥، قال السمرقندي: وقال بعض الحكماء: سمى الله كيد الشيطان ضعيفا وسمى كيد النساء عظيمًا، لأن كيد الشيطان بالوسوسة والخيال، وكيد النساء بالمواجهة والعيان.

وذهب بعض المفسّرين إلى أنّ الآيتين لا يلزم منهما كون كيد النساء أعظم من كيد الشيطان على الإطلاق وإنّما يمكن أن يكون عظم كيد النساء بالنسبة لكيد الرجال، وضعف كيد الشيطان بالنسبة لكيد الله تعالى، قال النيسابوري: فالمراد أن كيد الشيطان ضعيف بالنسبة إلى ما يريد الله تعالى إمضاءه وتنفيذه، وكيد النساء عظيم بالنسبة إلى كيد الرجال، فإنهن يغلبنهم ويسلبن عقولهم إذا عرضن أنفسهن عليهم، وقال الشيخ رشيد رضا: وههنا يذكرون قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

يستدلون به على أنّ كيد النساء أعظم من كيد الشيطان، ولا دلالة فيه، وإن فرضنا أنّ حكاية قول هذا إقرار له فالمقام مختلف، وإنّما كيد النسوان بعض كيد الشيطان.

وفي الحالتين يكون كيد المراة أعظم من كيد الرجل حين تريد اللعب بعقله وقلبه، ومن هنا وجب على الرجل البعد فورًا عن المرأة التي تخضع بالقول، أو تحاول اللعب بقلبه، سواء عن طريق أغنية ماجنة، أو كلمات ناعمة...

ويوضح لنا النبي ﷺ أن المرأة قادرة على أن تلعب بعقل الرجل الذكي (وليس الرجل العادي فقط)، فقال ﷺ مخاطبًا نساء الصحابة: « ما رأيتُ مِن ناقِصاتِ عَقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ مِن إحداكُنَّ »[1]، وقالوا في المثل الشعبي القديم: إذا أردت أن تصيب رجلًا بالجنون؛ فسلط عليه امرأة، وإذا أردت أن تصيب امرأة بالجنون، فسلط عليها طفلًا...

إن من واجب الآباء والأمهات أن يحذروا أولادهم من كيد النساء في الواقع وعلى الإنترنت، وكيد الممثلات في المسلسلات والأفلام، فالشاب عندما يرى زميلته أو جارته تخضع بالقول، قد يظن أنها أجمل من الفتاة المؤدبة الصامتة، وقد يظن أن فتاة الإعلان هي النموذج الجيد الذي يجب أن يبحث عنه حين يتزوج، وقد يُعجب بإحدى الممثلات ويتمنى أن يتزوج فتاة مثلها، في حين أن ما تفعله كثير من الممثلات ما هو إلا تمثيل ولا وجود له غالبًا في أرض الواقع، وهنا يأتي دور الوالدين في تعليم الولد كيف يرى حقيقة من تخضع بالقول، وكيف أن لها وجهًا آخر تظهر به في بيتها، فقد تكون تمثل دور الفتاة الجميلة والرقيقة أمام الناس، بينما تكون شرسة الطباع في بيتها...

وكما يعلم الوالدان ابنهما ألا ينخدع فيمن تخضع بالقول خارج البيت، فإن من واجبهما أن يساعدا الولد - منذ طفولته - على كراهية من تخضع بالقول أمام الناس، واحترام من تتعامل مع الشباب بحزم وعفة...

يقول أحد خبراء التربية:

ذات يوم جاءني أحد الآباء يشكو ابنه قائلًا: لقد ربيته على الصلاح

(١) صحيح البخاري ح ر ٣٠٤.

والتقوى لأكثر من عشرين عامًا، واليوم يريد أن يتزوج بفتاة غير ملتزمة (تلبس بنطالاً وتضع ماكياج)، وعندما اعترضت على هذا الزواج، صمم ابني على رأيه، وتمسك بهذه الفتاة لأنه يراها فتاة جيدة، وقال: إنه بعد الزواج سيجعلها تلبس الحجاب، وتتعلم الصلاة... فكيف يختار ابني هذه النوعية من البنات، رغم أنها مختلفة تمامًا عن التدين والالتزام الذي ربيت عليه ابني أكثر من عشرين عامًا؟

فقلت لهذا لأب المسكين: هل علمت ابنك في طفولته مواصفات الفتاة الجيدة؟ وكيف ينظر للفتيات؟ وعلى أي أساس يقيم الواحدة منهن؟

فقال الأب: لم أفعل.

فقلت له: لكن غيرك قد فعل، وأعطى ابنك مواصفات (خاصة) للفتاة الجيدة...

لنأخذ الأفلام والمسلسلات التي يشاهدها ابنك كمثال، في هذه الأفلام تجد البنت غير الملتزمة بدينها ولا بحجابها تظهر على أنها مرحة وجميلة وشيك في لبسها، وذكية ومتفوقة وغنية، أما الفتاة المتدينة (ذات الحجاب) فتظهر في صورة كئيبة وحزينة وفقيرة وساذجة...

وابنك خلال مشاهدته الفيلم والمسلسل يقارن بين صورة الفتاتين، ولأنه يريد لنفسه الأفضل، فإنه يقتنع بوجهة نظر صانع الفيلم، ويقتنع أن الفتاة المحجبة (الملتزمة بدينها) متشددة وكئيبة، بينما الفتاة غير الملتزمة جميلة في كل شيء...

وعلى مدار سنوات من المشاهدة، ترتسم في عقل ابنك صورة للفتاة الجميلة التي يريد الفوز بها، وعندما تأتي لحظة اختيار شريكة حياته، فإن ابنك يختار تبعًا للصورة الجميلة التي رسمتها الأفلام والمسلسلات في عقله، ولو سألت ابنك: لماذا تختار هذه الفتاة (مع أنها غير ملتزمة بدينها)؟ فسيخبرك أنها فتاة جيدة، وهو صادق في كلامه هذا؛ لأنه يراها فتاة جيدة تبعًا للمقاييس التي تعلمها من الأفلام والمسلسلات.

فقال الأب المسكين: هذا ما فعله ابني بالضبط، فهو يدافع عن هذه الفتاة بشراسة، ويراها فتاة جيدة، ويؤكد أنه سيعيش معها أجمل أيام حياته...

فقلت له: ليس هناك شاب إلا وهو يريد الزواج بأحسن فتاة في العالم، وكل شاب يختار (أحسن فتاة) حسب الصورة الذهنية التي تكونت في عقله عبر سنوات، فمواصفات الفتاة (الجيدة) تختلف من شاب لآخر، فمنهم من يرى أن ذات الدين هي أجمل فتاة، بينما يرى آخر أنه لن يجد السعادة إلا مع الفتاة الغنية، وهناك فريق ثالث يبحث عن الفتاة الجميلة، في حين يرى بعض الشباب أن البنت ذات الحسب والنسب هي طريقه للسعادة...

ومن هنا يتضح لماذا حرص النبي ﷺ على توضيح أسباب اختيار الزوجة، والتركيز على أهم صفة يجب أن تتوفر في الفتاة لتكون جيدة، هذه الصفة هي الدين والخلق الكريم، فقال رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «تُنكَحُ المرأةُ لأربَعٍ: لمالِها، ولحَسَبِها، وجَمالِها، ولدينها، فاظفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَداكَ»، وتربت يداك يعني التصقت بالتراب من شدة الفقر؛ فإذا لم تختر زوجة ذات دين وصلاح؛ سيكون مصيرك الفقر بجميع أنواعه (المادي والنفسي والعقلي).....

يقول أحد الآباء:

لم أدرك قيمة قول النبي ﷺ: « فاظفر بذات الدين تربت يداك »، إلا بعد أن حدثت لابنتي مصيبة كبيرة...

لقد تقدم لخطبتها شاب غني جدًّا، لديه مصنع كبير، وكل فتاة تحلم بالزواج منه، وهذا ما كنت أحلم به لابنتي، لكنني لما سألت عنه اكتشفت أنه بلا أخلاق، فقلت في نفسي: بعد الزواج سينصلح حاله، ولكي أرضي ضميري فقد استشرت أخي في أمر هذا الزواج، فنصحني بأن أختار لها زوجًا صاحب دين، وذكّرني بقوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾[البقرة:٢٢١]، وقول النبي ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك».

فقلت له: كلنا قبل الزواج كنا طائشين، وبعد الزواج تحسنت أحوالنا، وهذا الشاب بعد الزواج سينصلح حاله...

ولم آخذ بكلام ربي سبحانه، ولم أعمل بنصيحة أخي، وتم الزواج، وبعد ١٧ يومًا بالضبط، طلق هذا الشاب ابنتي، وفعل ذلك بطريقة مهينة جدًّا؛ إذ كانت ابنتي تركب بجوار زوجها في السيارة، وحدث بينهما خلاف ما، فكانت النتيجة أن زوجها أوقف سيارته، وفتح الباب، وركل ابنتي بقدمه خارج السيارة، وقال لها: أنت طالق، ثم مضى في طريقه...

ولما وقعت المصيبة قلت في نفسي: ليتني اخترت لابنتي صاحب الدين حتى لو كان فقيرًا، فإنه إن أحبها كان سيكرمها، وإن كرهها لم يكن ليظلمها...

لا أحد يختار شريك حياته في يوم وليلة، فالصورة الذهنية لشريك الحياة تتكون في العقل عبر سنوات من المشاهدات والتجارب، وينتج عنها قناعات خاصة بمواصفات شريك الحياة الجيد، فالشاب يختار اليوم فتاة ليتزوج بها بناء على تصور كونه في عقله عبر سنوات من مشاهدة التلفزيون، والدخول على الإنترنت، ومشاهدة الواقع، وسماع خطب الجمعة وغيرها...

متى نقول لابنك: « فاظفر بذات الدين »؟

ذات يوم سألت عددًا من الآباء والأمهات:



متى يتكلم الوالدان مع الأبناء حول هذا الحديث؟ ومتى يقول الأب لابنه (وابنته): تزوج ذات (تزوجي ذا) الدين؟

وكانت إجابة الجميع - تقريبا - واحدة، فقال جميع الآباء والأمهات: إنني أتكلم مع ابني عن اختيار الزوجة الصالحة عندما يكبر ويصبح جاهزًا للزواج، أما قبل ذلك فلا أتكلم معه حول هذه الأمور لأنه صغير، وبعض الآباء والأمهات رأى أن الكلام مع الصغار حول الزواج نوع من العيب وسوء الأدب...

وهنا قلت لهم: هل تعلمون متى يفكر أبناؤكم في الزواج؟

إن أولادنا - في سن العاشرة - يفكرون بجدية في أمور الزواج، بل إن الولد (والبنت) يبدأ قبل سن العاشرة في تكوين صورته الذهنية عن شريك حياته المستقبلي، وهناك أدلة كثيرة على ذلك...

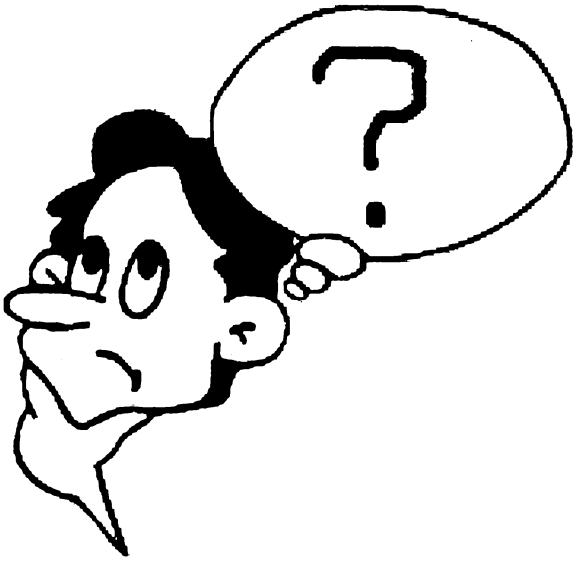
فعندما يحضر طفلك عرس أحد الأقارب، فإن هذا الحدث يجعله يفكر في الزواج؛ ولذلك يعود من العرس ويسأل والديه: يعني إيه زواج؟ هل يصلح أن أتزوج أختي؟

وخلال اللعب الإيهامي تجد الأطفال يلعبون لعبة «عريس وعروس»، وهذا دليل على التفكير المبكر في موضوع الزواج، ولو عن طريق اللعب...

وقد تسمع ابنتك ذات الأربع سنوات وهي تقول: سأتزوج بابا...

أليس هذا كله دليلاً على أن الأطفال يفكرون مبكرًا في أمر الزواج؟ إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها...

يقول أحد المعلمين:



ذات يوم طلبت من شباب الصف السادس الابتدائي أن يكتبوا مواصفات الفتاة الجيدة من وجهة نظرهم، والتي يريد كل واحد منهم الزواج بها في المستقبل... وكنت أتوقع أنهم صغار لا يفكرون في الزواج، ولن يجيبوا عن هذا السؤال

لأنهم لم يضعوا تصورًا لشريك الحياة المستقبلي.

ولما قرأت إجابات الأولاد، تغيرت وجهة نظري تمامًا، فقد تعددت إجابات الأولاد واختلفت من واحد لآخر، لكن اللافت للنظر أن كثيرًا منهم رأى أن الفتاة الجيدة هي فتاة التلفزيون، والتي تظهر في المسلسلات والأفلام (وحتى أفلام الكرتون)، هذه الفتاة ذات القوام الجميل، والثياب الزاهية، والشعر الحرير، والعطر الفوّاح، الفتاة التي تختلط بالأولاد دون حرج، فهي مرحة، ومبتسمة، وخفيفة الظل...

بينما رأى القليل منهم أن الفتاة الجيدة هي من تصلي وتصوم وتلبس الحجاب...

وهنا اكتشفت أن الأولاد يفكرون في مسألة الزواج ويضعون مواصفات لشريك الحياة في سن مبكرة، وأنهم للأسف مقتنعون بنموذج (الفتاة) الذي يقدمه لهم صانعو الأفلام والمسلسلات...

ويقول أحد الشباب:

أنا من أسرة فقيرة، ومنذ طفولتي كنت أحلم بالزواج من فتاة غنية تنقذني من الفقر، وظلت هذه الفكرة تراودني لسنوات، إلى أن جلست يومًا مع خالي، وكنت حينها في المرحلة الثانوية، وتكلم خالي عن اختيار الزوجة، فقلت له: إنني أريد الزواج من فتاة غنية لديها سيارة وشقة، فقال خالي ساخرًا: وهل ستتزوجها لتعمل عندها سائقًا؟

وتدخلت أمي في الحوار لتلطف الأجواء، وقالت: أنت ما زلت صغيرًا

يا بنيّ، ولا تفكر في مثل هذه الأمور إلا بعد أن تتوظف وتمتلك شقة.

وانتهى الحوار، لكنني لم أتوقف عن التفكير في كلمات خالي، لقد جاءت كلماته في الوقت المناسب، فقد جعلتني أفيق من أحلامي البلهاء، وأدرك الواقع جيدًا، والحمد لله كانت عندي كرامة تمنعني من أن أكون صغيرًا في عين زوجة المستقبل؛ ولذلك بدأت في تعديل شروط الاختيار، وفكرت في اختيار زوجة من نفس مستواي المادي أو أقل...

ومرت السنوات، وتخرجت في الجامعة، وعملت في وظيفة متواضعة، وعرض عليّ أحد أساتذتي أن أخطب إحدى الفتيات المحترمات، وأخبرني أن بإمكانه التكلم مع أبيها وإقناعه، وألمح في كلامه أن لدى والدها رغبة في ذلك... ولقد كان هذا العرض فرصة لا تعوض بالنسبة لي، حسب وجهة نظري القديمة، أما بعد كلمات خالي فلم أعد أبحث عن فتاة غنية؛ ولذلك اعتذرت لأستاذي وأخبرته أنني فقير جدًّا ولا أناسبها... ومرت السنوات، وأكرمني الله -تعالى- بزوجتي الطيبة والتي تنتمي لنفس مستواي المادي، والحمد لله لم أشعر معها يومًا أنني حقير أو فقير، ونفعتني وصية خالي قبل أكثر من عشر سنوات...

التصرف فرع عن التصور

إذا كان ابنك (ابنتك) يفكر في الزواج في سن مبكرة، فعليك أن تجتهد لتكوّن لديه صورة ذهنية عن شريك حياته المستقبلي، والمواصفات التي يجب أن تتوفر فيه، وعلى رأسها الدين، وتحكي له قصص الواقع الأليم الناتجة عن الزواج بغير ذات الدين، ولا تترك ابنك للآخرين (أفلام – مسلسلات – إنترنت) ليرسموا في عقله صورة مشوهة لشريك حياته المستقبلي.

٤ أشياء تحدد الصورة الذهنية لشريك الحياة المستقبلي

هناك عدة عوامل تحدد الصورة الذهنية - للولد والبنت - عن شريك الحياة المستقبلي، وهذه الأشياء تعمل معًا خلال سنوات داخل عقل - ابنك وابنتك - دون أن تشعر، إلى أن يأتي يوم اختيار شريك الحياة، وعندها تظهر النتيجة...

وهناك أربعة عوامل رئيسة تساهم في تحديد الصورة الذهنية لشريك الحياة المستقبلي، وهذه العوامل هي: الخلفية الدينية، والعلاقات الأسرية، والتعليقات العفوية، والإعلانات التلفزيونية...

☺ الخلفية الدينية

للآيات القرآنية والأحاديث النبوية تأثير كبير في اختيار أبنائنا لشريك الحياة، وخاصة عندما تتأصل هذه القواعد الدينية في نفوسهم منذ الصغر، وإذا كانت القاعدة الإيمانية في نفوس أبنائنا صلبة وقوية؛ فإنهم يختارون شريك الحياة صاحب الدين والخلق الكريم...

يقول أحد الآباء:

كنت في كل عام أشجع أولادي على تلاوة القرآن الكريم كاملًا في شهر رمضان، وكنا نختم القرآن في حفل عائلي جميل، وفي العام الماضي جاء رمضان



في الإجازة الصيفية، فقررت أن أجعل لتلاوة القرآن هدفًا أكبر، فقلت لأبنائي قبيل رمضان: تعالوا نختم القرآن هذا العام ونبحث في آياته عن مواصفات الفتاة الجيدة، ونجمع قصص الزوجة الصالحة والسيئة، ونسجلها في كتاب يكون مرجعًا لنا جميعًا عند اختيار شريكة الحياة.

فاعترضت زوجتي وقالت: أنت تقول نختار شريكة حياتنا، هل ستختار مرة أخرى؟

فضحك الجميع، ودافعت سريعًا عن نفسي، وطبعًا مدحت زوجتي قدر المستطاع...

وقبل رمضان بيوم واحد، أعطيت كل واحد من أولادي كراسة وقلمًا ليسجلوا ما يجدونه من قصص ومواصفات المرأة الصالحة والفاسدة...

وبدأ رمضان، وفي كل ليلة بعد صلاة التراويح كنت أسأل أولادي: ماذا وجدت في تلاوة جزء اليوم من صفات وقصص الزوجة الصالحة؟ وهل وجدت قصصًا للمرأة السيئة؟

فيعرض كل واحد منهم ما كتبه في كراسته من آيات، وأحيانًا كنا نبحث عن تفسير بعض الآيات ونفهمها معًا...

وبتلك الطريقة أصبح لتلاوة القرآن طعم جميل؛ لأننا نقرؤه بهدف،

وبتلك الطريقة تعلّم أولادي أن يكون لكل ختمة قرآنية هدف يبحثون عنه، وفي نهاية رمضان أصبح لدى كل واحد منهم دليل عملي لمواصفات الزوجة الصالحة، وقصص لنساء فاسدات، وفي العيد احتفلنا بختام القرآن، وكافأتهم على مجهودهم الجميل، وقلت لهم: ليحتفظ كل منكم بهذه الكراسة، وعلى أساسها يختار زوجته، ويربي ابنته، ولا ينساني من دعائه...

ملاحظة: هذه الفكرة يمكن تطبيقها في حلقات تحفيظ القرآن، وفي الفصول الدراسية والحلقات التربوية، وغيرها.

☺ العلاقات الأسرية

الولد (والبنت) يلاحظ أفعال والديه داخل المنزل وخارجه، فإن وجد أمه تصلي وتصوم، وتتعامل معه برفق وحكمة، وتدعو له بخير، وتشكره حين يقدم لها خدمة، فإنه سيرى في أمه نموذجًا جيدًا، حتى وإن عاندها وأتعبها، وحين تأتي لحظة اختيار شريكة حياته فإنه سيبحث عن فتاة تشبه أمه خلقًا ودينًا وسلوكًا...

أما إن كانت أمه (المتدينة) ذات وجهين، بحيث يراها خارج البيت هادئة طيبة، بينما هي في البيت سليطة اللسان فاحشة القول، فهنا تحدث الكارثة، وتكون هذه الأم سببًا في كراهية ابنها للمرأة صاحبة الدين؛ لأنه سيظن أن الدين كلام فقط، ولا يظهر أثره الطيب داخل البيت...

يقول أحد الآباء:

زوجتي بفضل الله صوامة بالنهار، قوامة لليل، وهي محترمة جدًّا خارج

البيت، لكنها سليطة اللسان على الأولاد، وذات يوم كانت زوجتي تتكلم في التليفون مع صديقتها، وطبعًا كانت تتكلم بأسلوب مؤدب، وبكلمات رقيقة، وكان ابني ذو العشر سنوات يستمع لها، فانتظر حتى انتهت زوجتي من المكالمة، وقال لها: ماما، ليتني صديقتك، ألا يمكنك أن تكلميني بذوق كما تتكلمين مع صديقاتك؟

فقالت له زوجتي: أنت ولد قليل الأدب.

فجاءني الولد شاكيًا من أمه، فقلت لها: ابنك عنده حق، فالنبي ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[1]، ومعنى ذلك أن ابنك هو أولى الناس بخير لسانك، وحلاوة كلامك، فخير الناس هو من يحترم أولاده ويتكلم معهم بلطف، ويعطيهم من خيره قبل الآخرين، فخير الناس هو من يضع أهل بيته رقم واحد في حياته، وكذلك أنت يا بني، مقياس الخير الموجود في نفسك يكون حسب ما تعطيه من خير لأمك وإخوتك، وطبعًا قبلهم أبوك...

ويقول أب آخر:

سألت أولادي يومًا: من يريد أن يتزوج سيدة طيبة مثل أمه؟

وكنت أظن أنهم سيحلمون بسيدة طيبة مثل أمهم، لكنني فوجئت بأحدهم يقول: ماما طيبة، لكنها تفضل الناس خارج البيت علينا، فتعاملهم بلطف ومحبة، وتعاملنا نحن بعنف وغضب، وأنا أريد من زوجتي في المستقبل

(١) صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ١٦٢١، و صحيح الترمذي ح ر ٣٨٩٥.

أن تعطي أولادي من حنانها أكثر مما تعطيه للآخرين خارج البيت...

يحرص كثير من الآباء والأمهات على أن تكون صورتهم جميلة أمام الناس، بينما لا يهتمون بصورتهم أمام أبنائهم وأزواجهم، وهنا يتأمل الأولاد حال آبائهم وأمهاتهم، ويقارنون بينهم وبين غيرهم من الأقارب والأصدقاء، فتكون صورة الآخرين أفضل من صورة الوالدين، وهنا تحدث كثير من السلبيات، فالنفس البشرية تحب صاحب الصورة الأجمل، وتقتدي به، وتسمع كلامه، وتتمنى في المستقبل أن تتزوج شخصا ذا صورة جميلة مثله....

☺ التعليقات العفوية

عندما يرى الابن أباه يشاهد النساء في التلفزيون، ويسمعه يقول: هؤلاء هم النساء لا غير، إن نساءنا ليسوا بنساء... فبماذا سيفكر هذا الولد؟ وكيف سيرى أباه؟

يقول أحد الشباب:

كنت ذات يوم جالسًا مع أمي وأبي نشاهد المسلسل التلفزيوني، ولم يكن أبي يعرف الممثلات جيدًا، فظهرت إحداهن وهي تلبس ملابس جميلة ذات وألوان زاهية، فأعجب أبي بها وقال: ما اسم هذه الممثلة؟

فقالت أمي: اسمها صابرين.

فنظر أبي لملابس أمي (المتواضعة) وقال: والله نحن الـ (صابرين).

فقالت أمي: هذه الممثلة تجلس ساعتين لتظهر دقيقة أمامك بهذا المنظر، لو رأيتها لحظة قيامها من النوم لفررت منها هاربًا، والله هذه لا تتحمل خدمة أولادك الخمسة عشر دقائق...

كنت حينها صغيرًا، ومع ذلك كنت أفهم حوار أبي وأمي جيدًا، وأدركت أن أبي يمزح مع أمي، لكنه مزاح ثقيل، وهذا جعلني أنظر لأمي نظرة رحمة، فهي تتعب ليل نهار من أجل زوجها وأبنائها الخمسة...

ويقول أحد الآباء:

ذات يوم لاحظت أن ابني ذا العشر سنوات بدأ يركز كثيرًا في نظرته للفتيات، وذلك من خلال تعليقاته على زميلاته في الفصل، فسمعته يقول: فلانة صوتها جميل وتغني في الإذاعة المدرسية، وفلانة متفوقة، وفلانة طيبة ومسكينة، وطبعًا كان يظهر من خلال كلامه أنه معجب بالبنت الجريئة التي تلفت الأنظار، فأدركت أنه بدأ يتأمل أحوال البنات، ويجمع صورة ذهنية عنهن، ليرى من هي الأجمل والأفضل، فخفت أن يكوّن صورة ذهنية غير حقيقة، فيرى البنت غير المنضبطة (جيدة)، في حين يرى البنت الطيبة المؤدبة (كئيبة)، وخفت عليه أن ينخدع بحركات البنات (الجذابة)، فقررت أن أبدأ في سلسلة من التعليقات (المقصودة) على كل ما يراه ابني من أحوال الفتيات والنساء ...

فإذا ظهرت ممثلة في التلفزيون بملابس عارية، أقول له: السيدة المؤدبة لا تظهر جسدها أمام الناس بهذه الطريقة، لو كان زوجها رجلا ما تركها تظهر عارية أمام الناس.

وفي مرة أخرى أقول: ألا تخاف هذه التي تعري جسمها من الله؟ ألم يأمرها الله -تعالى- بالحجاب لتحمي نظرات الشباب؟ قد يبتليها الله -تعالى- بمرض جلدي يجعلها تغطي جسمها رغمًا عنها.

وعندما أسير مع ابني في الطريق، وتمر بنا فتاة أو سيدة متعطرة، أقول له: هذه مسكينة؛ لأنها بهذا العطر ترتكب ذنبًا من الكبائر[1]، وعطرها الجميل يجب أن يكون في بيتها فقط ...

وإذا رأيت فتاة تلبس بنطلونًا وتظهر مفاتنها، فإنني أقول لزوجتي وابني يسمعنا: أين والد هذه الفتاة؟ كيف يتركها تخرج بهذا المنظر؟ ألا يعلم أنه شريك في ذنب كل ولد ينظر بشهوة لابنته؟

وإذا حضرنا عرسًا، وكانت العروس تجلس أمام الرجال وزينتها ظاهرة، فإنني أقول: ليس برجل من يترك عروسه تجلس بالماكياج والملابس العارية أمام الشباب، وليس برجل من يترك عروسه ترقص أمام الناس.

وإذا كنا في الطريق ورأينا فتاة تلبس ملابس خليعة، وتظهر مفاتنها، وتتعمد أن يراها الناس على أنها جميلة، فإنني أقول: لا ينخدع أحد بمنظر هذه الفتاة، فغالبًا ستجدها في بيتها تأكل بصلًا وتتجشأ بعنف، وقد تكون شرسة

(١) قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأةٍ استعطرتْ فمرتْ على قومٍ ليجدوا من ريحِها؛ فهي زانيةٌ» صحيح النسائي للألباني ح ر ٥١٤١... ووصفها النبي ﷺ بالزانية لأنها هيجت شهوة الرجال بعطرها، وحملتهم على النظر إليها، ومن نظر إليها فقد زنى بعينه، فهي سبب زنى العين، فهي آثمة لذلك «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ٨ / ٥٨»، ومن هنا فقد ذكر الإمام ابن حجر الهيثمي -رحمه الله- في الزواجر عن اقتراف الكبائر: الكبيرة التاسعة والسبعون بعد المائتين: (خروج المرأة من بيتها متعطرة متزينة ولو بإذن الزوج) وذكر مجموعة من الأحاديث التي فيها الزجر عن خروج المرأة متعطرة.

الطباع.. وطبعًا يضحك ابني وأضحك معه.

وإذا رأيت فتاة محجبة، أقول: ما شاء الله عليها، النور يملأ وجهها، ربنا يحفظها.

ولشهور ما تركت مشهد بنت أو امرأة يمر أمام عيني ابني إلا ومعه تعليق يصحح نظرته للفتيات، وكانت النتيجة مفاجأة، لقد بدأ ابني يتبنى وجهة نظري، ويقول نفس تعليقاتي حين يرى مشاهد الفتيات والنساء في التلفزيون وغيرها، بل زاد عليها تعليقات جميلة، فكان يقول: لن أفعل ذلك، لن أترك عروسي ترقص، سأجعل ابنتي تلبس الحجاب... وعندما يقول ذلك أمدحه وأثني عليه وأدعو له بالثبات.

☺ الإعلانات التلفزيونية

الأفلام والمسلسلات وكذلك الإعلانات تحاول أن تخطف منك ابنك، وتثبت في عقله نموذجًا (مشوهًا) للفتاة الجيدة، وهي التي تختلط بالشباب وتمزح معهم بحرية، وتلبس ملابس زاهية (وأحيانًا عارية)، ولها عطر خاص، وضحكة جذابة، وجسم جميل...

أما الفتاة الملتزمة بدينها فلا تظهر في الأفلام عادة، وإن ظهرت فإنها تكون في صورة الساذجة أو المغفلة والجامدة، وربما تأتي في دور الخادمة والمرأة المسكينة...

ولو تركت ابنك يقتنع بالنموذج الذي يسوقه له صانعو الأفلام والمسلسلات، ستفاجأ به يومًا يتزوج بفتاة لا ترضى عنها، وقد يبيعك من أجلها، وحينها ستلومه وتغضب عليه، في حين أنه مسكين لأنك تركته في صغره وحيدًا وضعيفًا أمام

الأفلام والمسلسلات، والذي أقنعه صانعوها بنموذج مشوه للفتاة الجيدة، ولم يجد أمامه أحد غيرهم يقدم له نموذج الفتاة الجيدة...

من الذي يصنع تصورات أولادك عن شريك الحياة المستقبلي؟

هناك أربعة أشياء تصنع الصورة الذهنية لابنك وابنتك حول شريك الحياة المستقبلي، وهذه الأربعة هي: الخلفية الدينية، والعلاقات الأسرية، والتعليقات العفوية، ومشاهداة التلفزيون والنت...

إنها معركة وساحتها عقل ابنك وابنتك، فلا تترك أولادك فريسة لفيلم ماجن، وإعلان فاجر، وفتاة متبرجة... وأسرع واجتهد لتربح المعركة قبل فوات الأوان...



كيف تحمي الفتاة نفسها من صاحب القلب المريض؟

ذات يوم سألت عددًا من الشباب: ما الذي يجعلك تنظر لفتاة ما، وتطمع فيها، وترغب في التحرش بها (لفظيًّا وجسديًّا)؟

فقالوا: كلمات الفتاة الجميلة، وضحكتها الجريئة، وعطرها الفواح، وطريقة سيرها الجميلة، وحركة أردافها وهي تمشي، وملابسها الضيقة ذات الألوان الزاهية، ونظرات عينيها حين تركز نظرها تجاه شاب ما... كل هذه أشياء تفعلها الفتاة فتحرك الشهوة الجنسية في قلب الشباب دون أن تشعر، وتجعلهم يطمعون في التحرش بها..

أيها المربي الكريم...

اسأل ابنتك: كيف تحمين نفسك من صاحب القلب المريض؟

وبعد أن تستمع إليها، أخبرها أن الله -تعالى- ما أمر المرأة بشيء إلا وهو يحميها من أصحاب القلوب المريضة، وهناك ستة أشياء رئيسة إن فعلتها الفتاة فإنها تحمي نفسها من الرجال أصحاب القلوب المريضة، وفي الوقت نفسه تطيع ربها وتزيد رصيد حسناتها...

(١) لا تخضع بالقول

أمر الله تعالى المرأة المسلمة ألا تلين كلامها أمام الرجال (غير زوجها)، حتى لا يطمع فيها أصحاب القلوب المريضة، فقال جل شأنه: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾، ولأن كثيرًا من الآباء والأمهات لم يعلموا هذه الآية لبناتهم؛ فقد حدث انقلاب عجيب في أخلاق الفتيات، فأصبحت ترى البنت خارج البيت رقيقة هادئة، بينما تراها في بيتها صارخة غاضبة، ولا سبيل لتصحيح هذا الوضع إلا بتوعية البنات بضرورة الكلام الحازم (غير الناعم) خارج البيت، وحينها ستجد البنت أن البيت مكان آمن تتكلم فيه بصوتها الناعم...

يقول أحد الآباء:

لاحظت أن ابنتي (١٤سنة) تتكلم في البيت بطريقة صارخة وغاضبة، وحين تكلم صديقتها في التليفون ينقلب حالها تمامًا، فتجدها رقيقة هادئة، ولما تكرر هذا الأمر منها كثيرًا، قررت أن أعطيها درسًا ينفعها في الحياة، وقمت بتصوريها (فيديو) - دون أن تشعر - وهي تكلم أمها بحدة وبصوت مرتفع وقاسٍ، وبعد فترة قمت بتصويرها (دون علم أحد) وهي تكلم صديقتها في التليفون بطريقة هادئة وجميلة، وفي المساء جلست مع ابنتي على انفراد، وقلت لها: لك عندي هدية خاصة بك، وأخبرتها أنني قمت بتصويرها دون علم أحد لأحافظ على مشاعرها، وطلبت منها مشاهدة الفيديو في حجرتها على انفراد، لترى شكلها حين تغضب وحين تهدأ، وقلت لها: اجعلي لأهل بيتك نصيبًا من صوتك الرقيق، ولا تعاملي صديقتك بطريقة أفضل مما تعاملين بها أمك...

(٢) لا تخرج من بيتها متعطرة

قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأةٍ استعطرتْ، فمرتْ على قومٍ ليجدوا من ريحِها؛ فهي زانيةٌ»[١]... وحين نتأمل وصف النبي لمن خرجت من بيتها متعطرة لتجذب أنظار الرجال (بالزانية)؛ سنجد أنه وصف دقيق جدًّا، لأنها - بعطرها - هيجت شهوة الرجال، وحملتهم على النظر إليها، ومن نظر إليها فقد زنى بعينه، فهي سبب زنى العين، فهي آثمة لذلك[٢]...

وحين تخرج المرأة من بيتها متعطرة، فهي ترتكب كبيرة من الكبائر، فقد ذكر الإمام ابن حجر الهيثمي -رحمه الله- في الزواجر عن اقتراف الكبائر: الكبيرة التاسعة والسبعون بعد المائتين: (خروج المرأة من بيتها متعطرة متزينة ولو بإذن الزوج)، وذكر مجموعة من الأحاديث التي فيها الزجر عن خروج المرأة متعطرة.

ووضع الفتاة للعطر خارج بيتها نوعان، وكلاهما مخالف لهدي النبي ﷺ:

الحالة الأولى: أن تضع العطر حتى لا تكون رائحتها كريهة، ولا تنوي أن يشم الشباب رائحتها، وهي بذلك ترتكب معصية وتخالف أمر النبي ﷺ.

الحالة الثانية: أن تضع الفتاة العطر بهدف أن يشم الرجال رائحتها الجميلة في المصعد والمدرسة وغيرها، وبتلك الطريقة ترتكب الفتاة ما حذر منه النبي ﷺ، فتضع العطر ليجد الشباب رائحتها الجميلة، وبذلك ترتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

---

(١) صحيح النسائي للألباني ح ر ٥١٤١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ٨ / ٥٨.

وعندما نتأمل إعلانات العطور ومزيلات العرق، نجد أنها تستدرج الفتاة لتخرج من بيتها متعطرة، وتجعلها تضع العطر ليشم الشباب رائحتها الجميلة، وبهذه الطريقة تخرج الفتاة من بيتها وهي «زانية» حسب الوصف النبوي؛ لأنها لا تكتفي بوضع العطر خارج بيتها (مع أنه ذنب)، بل تضع العطر ليشمه الشباب ويقولوا: كم هي جميلة...

نقول إحدى المطلقات:

قصتي غريبة وعجيبة، فقد طلقني زوجي بسبب إعلان تلفزيوني، وتبدأ القصة عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري، كنت في بداية المراهقة، وأكبر خوف تمر به الفتاة المراهقة ألا تكون جميلة؛ لذلك تحرص كثير من الفتيات في هذه السن على الكريمات والبرفانات ومزيلات العرق وغيرها، ولقد فهم صانعو الإعلانات ذلك، فاستغلوا الفتيات المراهقات في الإعلانات الخاصة بمزيلات العرق والكريمات وغيرها؛ لتكون أكثر جاذبية ومصداقية لدى المراهقات، ولقد كنت ضحية لواحد من هذه الإعلانات، ففي أحد الإعلانات (التي رأيتها في بداية مراهقتي) كانت هناك فتاة تفوح منها رائحة العرق (تحت إبطها) ويظهر أثر العرق على ملابسها، وتمر هذه الفتاة بشاب فينفر من رائحتها الكريهة، فتنتبه الفتاة لذلك وتحزن، ثم تبحث عن مزيل للعرق، وتجد، وتمر به ثانية فتعجبه رائحتها ويبتسم لها، ونتيجة لهذا الإعلان قررت أن أكون الفتاة الجميلة، وهكذا كنت أهتم بالعطر ومزيل العرق لسنوات، إلى أن تزوجت وفوجئت بزوجي يمنعني من وضع العطر خارج البيت، وقال: إنه يلفت انتباه الشباب ويثير شهواتهم، فرفضت تنفيذ أمره،

وكبرت المشكلة، كنت من داخلي أحبه لكن خوفي (اللاشعوري) من أن أكون الفتاة الكريهة كان أكبر، وحدث الطلاق، وبعد أن كنت أهرب من لقب «الفتاة كريهة الرائحة»، فزت عن جدارة بلقب «الشابة المطلقة»، ولم ينفعني عطري ولا مزيل العرق بشيء، واليوم أدعو كثيرًا على صانعيِ الإعلان الذي كان سببًا في طلاقي، ونصيحتي للآباء والأمهات ألا يتركوا بناتهم فريسة للإعلانات التي تستهدف الفتيات وخاصة في مرحلة المراهقة...

يقول أحد الآباء:

رزقني الله بثلاث بنات، وعندما نخرج من البيت أقول لهن: لن أضع عطرًا وأنا أسير معكن في الشارع؛ حتى لا يظن الشباب أنكن تضعن عطرًا، فيظنون بكن سوءًا...

بعض الفتيات يخطئن عندما يضعن كريمًا ذا رائحة نفاذة قبل الخروج من البيت، وتظن أنها بذلك لم تضع عطرًا، لكنها في الحقيقة قد خرجت من بيتها متعطرة، وهي في أعماق قلبها تشعر بذلك مهما ساقت من مبررات...

وبعض الفتيات يكنّ في كلية خاصة بالبنات، لكن يدرس لهن رجل عن طريق شبكة الفيديو كونفرس، فتضع البنات العطور كما يحلو لهن لأنهن وسط البنات بعيدان عن الرجال، لكنها حين تكتب بحثًا للدكتور (الرجل) أو تجيب عن أسئلة الامتحان، ينتقل العطر من يدها إلى الأوراق، وتذهب الأوراق إلى الدكتور حاملة رائحة بعض الفتيات، مما قد يجعله يظن بهن سوءًا، وقد يكون ممن في قلبه مرض فتحرك هذه العطور شهوته...

ماذا تفعل إذا وجدت ابنتك (زوجتك) تضع عطرًا وتستعد للخروج من البيت؟

روى الإمام أحمد وابن خزيمة أن امرأة مرت بأبي هريرة وريحها تعصف (متطيبة بعطر فواح جدًّا)، فقال لها: أين تريدين يا أمة الجبار؟ فقالت: المسجد، فقال أبو هريرة: وله تطيبت؟ قالت: نعم، فقال: ارجعي فاغتسلي (لتزيل أثر الطيب)، فإني سمعت رسول الله يقول: «أيُّما امرأةٍ خرجتْ من بيتِها مُتطيِّبَةً تريدُ المسجدَ لم يقبلِ اللهُ -عزَّ وجلَّ- لها صلاةً حتى ترجعَ فتغتسلَ»[1].

(٣) ترتدي الحجاب

سألت عددًا من الشباب:

كيف تنظر للفتاة المحجبة؟ وماذا تقول في نفسك حين تراها؟

وكيف تنظر للفتاة المتبرجة؟ وماذا تقول في نفسك حين تراها؟

فاتفق الشباب على أنهم ينظرون باحترام للفتاة المحجبة، بينما ينظرون بشهوة للفتاة المتبرجة...

إن الحجاب له رسالة (احترام) وضعها الله -تعالى- في قلب كل من يراه، ويحمي الفتاة التي ترتديه من الأذى، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، فمن ترتدي الحجاب يعرفها الناس بالعفة، وينظرون لها باحترام، ويمنع الفساق عنها كثير من أذاهم، أما المراة التي تظهر مفاتنها

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٣/ ٨٢، والحديث ضعفه العلامة أحمد شاكر، وحسنه الألباني في صحيح ابن خزيمة ح ر ١٦٨٢.

فإن لسان حالها يدعو الشباب إلى التحرش بها، ويشجعهم على إيذائها باليد واللسان...

تقول إحدى الفتيات:

في بداية المراهقة كانت ملابسي جريئة، وظللت كذلك عدة أعوام، وكنت أتعرض لكثير من المواقف الصعبة، فكان الجميع يلتهمني بنظراته، ويظن أنني فتاة سيئة، ويتحرشون بي، وبعد سنوات أكرمني الله -تعالى- بالحجاب، وتركت الملابس الضيقة والبرفان والماكياج، ومن يومها تغير حال الناس معي، وحماني الحجاب من الأذى الذي كنت أتعرض له في كل مكان...

أيها المربي الكريم...

علم ابنتك أن للمرأة عبادة خاصة جدًّا، وهي عبادة «إحصان الشباب» ومساعدتهم على غض البصر، وتفعل المرأة ذلك عندما تلبس حجابها، وعندما تساعد الشباب على غض البصر، فإنهم سيمنعون أذاهم عنها، وبذلك تفوز المرأة مرتين...

ثم اشرح لابنتك معنى قوله تعالى: ﴿أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾، فكلمة (أدنى) الواردة في الآية لها معنيان:

المعنى الأول: أدنى - يعني - أقرب، وبذلك يكون الحجاب هو أقرب طريق لمعرفة الفتاة الملتزمة والبعد عن إيذائها.

المعنى الثاني: أدنى – يعني – أقل، فالحجاب هو أقل شيء تعرف به الفتاة المسلمة، والحجاب هو أقل عبادة للمرأة وأخطرها، وعندما يكون الحجاب

هو أقل عبادة للمرأة، فهذا يعني أن من لبست حجابها قد صنعت أقل ما عليها، وبقي عليها أن تفعل الكثير، فلا تظن الفتاة التي لبست الحجاب أنها فعلت كل ما عليها، فالحجاب يشبه الزي المدرسي، فليس معنى أن الطالبة قد التزمت بالزي المدرسي أنها فعلت كل ما عليها، إن الزي هو أقل شيء يعرف به انتماؤها لهذه المدرسة، لكن بقي عليها الكثير، بقي عليها المذاكرة والاجتهاد والنجاح في الامتحانات وغيرها، وكذلك الحال بالنسبة للحجاب، فهو أقل علامة تدل على إسلامها، طاعة ربها وحسن خلقها، فالحجاب وحده لا يكفي...



(٤) لا تخلع ثيابها خارج بيتها

روى الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها خرق الله عنها ستره»[١].

ومن هذا المنطلق فإن على المرأة ألا تخلع ثيابها في المحلات لتقيس الملابس، فقد يكون هناك من يراقبها، ويصورها، ويؤدي ذلك للطمع فيها وجرها للفاحشة.

وهناك خطأ كبير تقع فيه كثير من الفتيات، وهي أنها تخلع حجابها حين تذهب لبيت أختها وتبقى بملابس البيت أمام زوج أختها، وبعضهن تكون ملابسها مثيرة وشعرها مكشوف أمام زوج أختها، وتظن أن هذا عادي، فهو زوج أختي ولن يطمع فيَّ أبدًا، وتنسى هذه المسكينة أنه قد يكون في قلبه مرض، وهذا المرض القلبي لا يعلمه إلا الله، حتى أختها قد لا تعرف أن

(١) الحديث صححه الألباني في غاية المرام ح ر ١٩٥.

زوجها قلبه مريض، وعينه خائنة؛ لذلك قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾...

يقول أحد الزواج:

ذات يوم جاءت أخت زوجتي الصغيرة للمبيت عندنا، كانت فتاة جامعية ومن بيت محترم، وفوجئت بها تخلع حجابها، وتلبس عباءة منزلية تظهر مفاتن جسمها، وتكشف شعرها، ولم تكتفِ بذلك بل ذهبت لمساعدة أختها في تنظيف البيت، وجاءت لغرفة المكتب حيث أجلس وبدأت تنظف الأرض، وهنا ظهر من جسدها حركات مثيرة، فقلت لها: سأقول لك أمرًا لكن لا تغضبي مني، أنت مثل أختي الصغيرة، وأنت تتحركين هنا في البيت بحرية لأنك تثقين بي، لكن إياك والثقة العمياء، فأنت فعلت كذا وكذا أمامي، ولو كان قلبي مريضًا لنظرت لك بشهوة، لكن الله سلم، فاحذري أن تفعلي ذلك عند أحد من أزواج اخواتك ولا في بيت أحد أقاربك... فبكت البنت وقالت: إنني طيبة زيادة عن اللازم، وهذا يوقعني في كثير من المشكلات، وما تقوله اليوم لم يكلمني فيه أحد من قبل رغم أن عمري اليوم ٢٠ سنة... فقلت لها: اجلسي مع أختك وتعلمي منها كيف تحمين نفسك من أصحاب القلوب المريضة...

(٥) لا تضرب برجلها حين تمشي

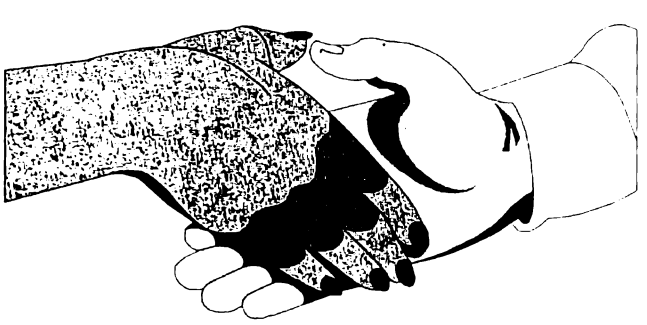
قال تعالى: ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾.

كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت - لا يسمع صوته - ضربت برجلها الأرض، فيعلم الرجال طنينه، فينتبهون لوجودها ويلتفتون نحوها، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك...

ولأن النساء في زماننا لا يلبسن الخلخال، فقد اخترع شياطين الإنس شيئًا هو أشد خطرًا من الخلخال، ويلفت انتباه الرجال للمرأة حين تمشي، إنه قطعة الحديد الموجودة في كعب حذاء المرأة، وحينما تمشي من ترتديه يصدر الصوت التالي (تِك – تُك)، وكم يلعب هذا الصوت بقلوب الشباب، ويحرك شهواتهم، وإذا سألت صانعي الأحذية عن أهميتها فسيقولون لك: إنها تحفظ كعب الحذاء من الكسر، فإذا قلت له: لكن هناك أحذية نسائية كعبها خالٍ من هذه الحديدة ولا ينكسر، عندها سيقول لك: لا أدري...

والفتاة اليوم حين تشتري حذاء جديدًا عليها أن تفحصه جيدًا، وتجتهد ألا يكون في كعبه حديدة، وهي بذلك تطيع ربها، وتحفظ نفسها من نظرات الشباب أصحاب القلوب المريضة.

(٦) لا تصافح الرجال الأجانب



قال رسول الله ﷺ: « لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمسّ امرأة لا تحلّ له »[1]، وهذا الحديث موجه للرجال والنساء على حد سواء، ويجب أن يعلمه الوالدان لابنتهما، حتى تحمي البنت نفسها من طمع من في قلبه مرض؛ لأن مسّ الرجل للمرأة الأجنبية من أسباب الفتنة وثوران الشهوات...

ولا يقولنّ قائل: إذا كانت النيّة سليمة والقلب نظيفًا فلا مانع من

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٤٥.

مصافحة الفتاة للشاب؛ ولهذا نقول: إنّ صاحب أطهر قلب وأعفّ نفس وهو رسول الله لم يمسّ امرأة أجنبية قطّ، حتى في بيعة النساء لم يبايعهن كفًّا بكفّ كالرّجال، وإنّما بايعهن كلامًا، فالنبي ﷺ كان يصافح من يبايعه من الرجال، بينما بايع النساء كلامًا دون مصافحة، وذلك بقوله: قد بايعتك، والسيدة عائشة -رضي الله عنها- تصف حال النبي ﷺ فتقول: «مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ يَدَ امْرَأَةٍ قط، إِلا امْرَأَةً يَمْلِكُهَا »...

ولقد سأل أَحدُ الإنجَليز شَيخًا مسلمًا: لماذَا لَا تصافح المرأة المسلمة كل الرِّجَال؟

فرد عليه الشيخ قائلًا: هل يستطيع أيّ شخص عندكم في بريطانيا مصافحة الملكة إليزابيث؟ قال الإنجليزي: هُناك قانون يُحدد سبعة أصناف من الناس يجيز لهم القانون ذلك.

فرد الشّيخ: ونحن أيضًا عندنا عشرة أصناف محدَّدُون تمامًا يجوز لهم مصافحة المرأة المسلمة، هم: الأب والجد والزوج ووالد الزوج والابن يسلم ويقبل اليد والأخ والعم والخال وابن الأخ وابن الأخت وابن الابن، فكما تحترمون ملكتكم، نحن عندنا في الإسلام جميع النساء ملكات، ولكل ملكة حاشية هي فقط من تستطيع مصافحتها، وبقية الرجال بالنسبة لها شعب لا يمكنهم مصافحتها...

علم ابنتك أنها لتحمي نفسها من صاحب القلب المريض، فإن عليها ألا تصاحب فتاة غير مؤدبة، فإن صحبتها لهذه الفتاة يجعل الشباب يظنون أنها مثلها، فيطمعون فيها، وعليها أن تحذر من السير مع فتاة متعطرة أو تحدث صوتًا بحذائها؛ لأن هذا سيلفت انتباه الشباب نحوهما، وقد يظنون سوءًا بهما ...



الأصل الثالث

ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم
والذين لم يبلغوا الحُلم منكم
ثلاث مرات

الأصل الثالث: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحُلم منكم ثلاث مرات

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاءِ ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨]

عندما تُعلّم ابنك (وابنتك) آداب الاستئذان؛ فأنت لا تعلمه ذوقًا، ولا تدربه على إتيكيت، بل تعلمه عبادة مثل الصلاة والصيام والزكاة، فكما أمر الله -تعالى- المؤمنين بالصيام في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، أمرهم بالاستئذان في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، وكما أمرنا ربنا بالصلاة في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، أمرنا جل شأنه بتعليم أبنائنا آداب الاستئذان، وذلك في قوله سبحانه: ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ﴾ [النور: ٥٨]..

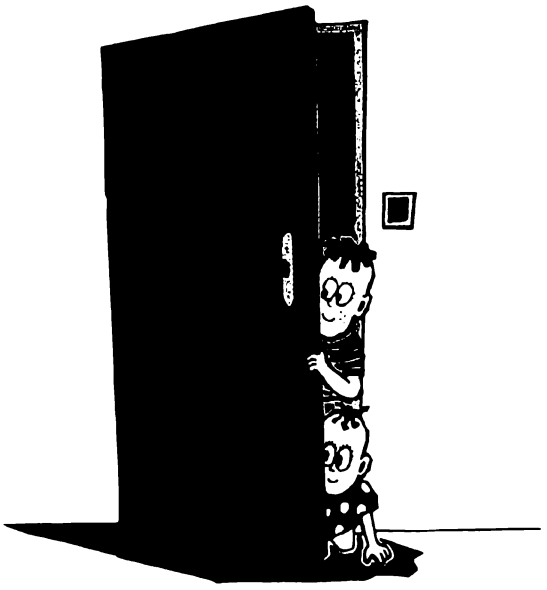


وعندما تُعلّم أبناءك آداب الاستئذان كعبادة ودين، فإنك ستبذل مزيدًا من الجهد والصبر في تعليمهم، وستشعر بسعادة حين يطبق أحدهم آداب الاستئذان في بيتك، أو بيت جده وعمه، وهي السعادة نفسها التي تشعر بها حين يصلي ابنك بجوارك في المسجد...

* * *

ما الهدف من الاستئذان؟

روى البخاري في الأدب المفرد أن النبي ﷺ قال: « لا يحل لامرئ مسلم أن ينظر إلى جوف بيتٍ حتى يستأذن، فإن فعل (يعني فإن نظر في البيت قبل أن يستأذن) فقد دخل (يعني دخل ببصره وبدون إذن)»[١]، وروى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: « إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر »...



فالاستئذان قبل دخول بيوت الناس، والاستئذان قبل دخول غرفة الوالدين والأشقاء، هو من أجل الحفاظ على العورات، فلا يكشفها أحد ببصره فيؤذي أصحابها، ولا يراها أحد بعينيه فيتأذى هو نفسيا وجنسيا، ومن هنا فأنت عندما تُعلّم أبناءك آداب الاستئذان - خارج البيت وداخله - فأنت تحقق هدفين:

- تحمي عورات الناس من نظرات ابنك، فلا يهتك سترهم بعينه.
- وتحمي عيون ابنك من رؤية عورات الآخرين، فلا يرى مشهدًا جنسيًّا لمدة - ثوانٍ - يكون سببًا في تدمير حياته لسنوات.

(١) صحيح الأدب المفرد للألباني ح ر ٨٣١.

وعندما تُعلّم أبناءك آداب الاستئذان، فيجب عليك أن تعلمهم أن الاستئذان عبادة مثل: الصوم والصلاة، ومن يستأذن فإنه يطيع ربه ويحصل على ثواب جزيل، وعليك أن تكافئهم عندما يؤدون هذه العبادة، كما تكافئهم حين يحافظون على الصلاة والصيام، وحينما يتربى الطفل من صغره على أن الاستئذان عبادة، فإنه سيشعر بسعادة عجيبة وهو يطرق أبواب الناس، ويستأذن عليهم...

تعليم الأبناء آداب الاستئذان ركن مهم من أركان التربية الجنسية؛ لأنه يحافظ على نظرهم نقيًا طاهرًا، فلا يشاهدون به عورة أحدهم، ولا يرون مشهدًا جنسيًّا يدمر حياتهم، وفي الوقت نفسه نعلمهم كيف يتعاملون مع ضيوفهم ويحمون عورات بيتهم...

الاستئذان العام والاستئذان الخاص

هناك نوعان من الاستئذان يجب عليك أن تعلمه لأبنائك وبناتك...

(١) الاستئذان العام قبل دخول بيوت الآخرين

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢٧، ٢٨].

يفهم كثير من الناس أن المقصود بقوله تعالى: حتى تستأنسوا يعني: حتى تستأذنوا، وهذا تفسير غير صحيح، فليس المقصود هو الاستئذان وفقط، بل المقصود هو درجة أعلى من الذوق والأدب، المطلوب أن تستأذن ثم يأذن لك صاحب البيت بالدخول بمحبة وترحاب، وهنا يحدث الاستئناس...

فقد تطرق باب أحدهم وتستأذن قبل الدخول، فيستقبلك صاحب البيت قائلًا: تفضل (بتردد وبدون ترحاب)، هنا أنت قد استأذنت، لكنك لم تجد من صاحب البيت أنسًا ومحبة في استقبالك، فعليك أن تلتمس لصاحب البيت عذرًا وتنصرف دون أن تدخل؛ لأن الاستئناس لم يحدث، أما حين يستقبلك صاحب البيت بترحاب وسعادة، ويمسك بيدك ليدخلك البيت بنفسه، فهنا تدخل؛ لأنك وجدت من صاحب البيت أنسًا وسعادة بمجيئك إلى بيته، وهذا

هو المقصود بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾، فالإستئناس من الأنس والمحبة، ومعناه الاستئذان مع حسن استقبال صاحب البيت، فيشعر الضيف بعد أن يستأذن أن صاحب البيت يأنس بزيارته ويسعد بها، أما إن استأذن الضيف وقال له صاحب البيت: تفضل (بإحراج أو تردد)، فالضيف هنا لم يجد أنسًا؛ لذلك عليه أن يقدر ظروف صاحب البيت، وينصرف دون أن يدخل؛ لأنه استأذن وسمح له صاحب البيت بالدخول، لكنه لم يجد أنسًا وفرحًا بزيارته.

وفي الآيات ملاحظة مهمة لصاحب البيت

من حقك أن تعتذر للضيف - بأدب - إن كانت لديك ظروف تمنعك من استقباله، فهذا حق منحك الله -تعالى- إياه في قوله جل شأنه: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾، أما إن كنت مستعدًّا لاستقبال الضيف؛ فعليك أن تستقبله بالترحاب والمحبة، حتى توصل له رسالة تقول: أنا سعيد بزيارتك ومشتاق للجلوس معك، ففي قوله تعالى: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ تنبيه لصاحب البيت أن يستقبل ضيفه بأنس ومحبة، وتنبيه للضيف ألا يدخل إلا بعد أن يجد من صاحب البيت أنسًا ومحبة... وهذه المعاني يجب أن نعلمها لأطفالنا، فيتعلمون كيف يستقبلون ضيوفهم، وكيف يكونون - هم - ضيوفًا جيدين.

☺ يا بُنيّ.. كيف تقف على الباب؟ وأين تنظر؟

من الواجب على الوالدين تعليم الطفل الصغير كيف يقف عندما يطرق باب أحدهم، وأين ينظر وهو واقف على بابهم...

فيتعلم الطفل ألا ينظر بداخل بيت أحدهم عندما يدق الجرس أو يطرق الباب، روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أنَّ رجلًا اطَّلعَ في جحرٍ (من ثقب) في بابِ رسولِ الله ﷺ، ومع رسولِ الله مِدْرًى (مشط) يرجل بهِ رأسَه (يمشط به شعره)، فلما رآهُ رسولُ الله ﷺ قالَ: « لو أعلمُ أنك تنظُر؛ لطعنتُ بهِ في عينِك؛ إنما جُعِلَ الإستئذان من أجلِ البصرِ »...

ويتعلم الطفل - أيضًا - ألا يقف مواجهًا لباب أحدهم عندما يطرقه، بل يقف يمينًا أو شمالاً حتى لا يقع بصره على عورة أحدهم أثناء فتح الباب، وعندما يفعل ابنك ذلك فإنه يقتدي بالنبي ﷺ، فعن عبدالله بن بسر - رضي الله عنه - قال: «كان رسولُ الله ﷺ إذا أتى بابَ قومٍ لم يستقبلِ البابَ من تلقاءِ وجهِه، ولكن من ركنِه الأيمنِ أو الأيسرِ »[1]، وكان النبي ﷺ إذا رأى أحدهم يستأذن وهو مواجه للباب أمره أن يقف يمينًا أو شمالاً، روى أبو داود أن رجلا جاء فوقف على باب رسول الله ﷺ يستأذن، فقام على الباب مستقبل الباب، فقال له النبي ﷺ : (لما فتح الباب ووجده واقفًا أمامه): هكذا (يعني قف يمين الباب أو شماله)، فإنما الاستئذان من النظر »[2]...

وأنت أيها المربي الكريم عندما تعلم ابنك كيف يقف على الباب وأين ينظر، فإنما تحمي عورات الناس من نظرات ابنك الطائشة، وتحمي ابنك من عورات البيوت الظاهرة...

---

(١) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٥١٨٦.

(٢) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٥١٧٤.

علم ابنك كيف يستقبل ضيوفه وكيف يستر عورات بيته

أيها المربي الكريم...

إنك بحاجة لأن تجلس مع أولادك وبناتك، وتعلمهم كيف يتعاملون مع الضيوف، وكيف يستأذن من أمه وأبيه قبل أن يحضر ضيوفا إلى البيت، وما هي الأوقات المناسبة لذلك، وكيف يستر عورات البيت أثناء دخول ضيوفه وعند جلوسهم ووقت خروجهم، وكيف يعتذر للضيوف عن استقبالهم ويقول لهم: «ارجعوا» بأدب وذكاء (ويستخدم التورية أحيانًا) حين تكون الظروف غير مناسبة.

(٢) الاستئذان الخاص داخل البيت

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاءِ ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨]

روى الإمام القرطبي أن سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ بعث غلامًا للأنصار إلى عمر بن الخطاب ليدعوه، فدخل عليه الغلام وقت الظهيرة فوجده نائمًا، فاستيقظ عمر وجلس فانكشف من جسمه شيء، فقال عمر:

وددت أن الله -عز وجل- نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا في هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فوجد الآية قد نزلت، فخر ساجدًا شكرًا لله تعالى ...

وانطلاقًا من هذا التوجيه الرباني الكريم فإن الأطفال (فوق سن الرابعة) يستأذنون في ثلاثة أوقات قبل دخول غرفة الوالدين، وهي الأوقات التي تكشف فيها العورات: (قبل الفجر – ووقت القيلولة ظهرا – وبعد العشاء)، أما الأولاد الأكبر سنًّا والذين بلغوا الحلم فيستأذنون قبل دخول غرفة الوالدين في جميع الأوقات...

والهدف من الاستئذان الخاص (داخل البيت) هو الحفاظ على عورات الوالدين التي يجب سترها حتى لا يراها الأولاد، فإذا استأذن الولد على أمه وهي بملابس النوم؛ فإنها تستعد لاستقباله وتلبس ملابس البيت المحتشمة وتقابله، فالهدف من الآية الكريمة هو تحقيق الانضباط في الملبس وستر العورات فيما بين أفراد الأسرة الواحدة...

وعندما نتأمل حال الآباء والأمهات اليوم، نجد أن بعضهم يهتم بتعليم أبنائه الاستئذان العام عند دخول بيوت الناس، لكنه يتكاسل عن تعليمهم الاستئذان الخاص، مع أن الاستئذان داخل المنزل قد يكون أهم وأخطر من الاستئذان قبل دخول بيوت الآخرين؛ لأن بيوت الناس غالبًا ما تكون مغلقة، أما غرفة نوم الوالدين فتكون غالبًا مفتوحة، أو مغلقة بدون قفل، فيكون دخولها سهلاً ومتكررًا، وما يراه الأطفال فيها قد يكون أخطر مما يشاهدونه في بيوت الناس...

☺ هل كل الأولاد يحتاجون لتعلم الاستئذان المنزلي؟

يقول أحد الآباء:

لم أكن أهتم بتعليم أولادي الاستئذان المنزلي قبل دخول غرفة الوالدين؛ لأنني أنام مع الأولاد في غرفتهم، وزوجتي تنام مع البنات في غرفة أخرى، وكنت أعتقد أن أولادي صغار ولا يحتاجون لتعلم الاستئذان المنزلي، إلى أن حدثت كارثة لم أكن أتوقعها، لقد ذهب ابني للمبيت عند جده، وفي المساء أراد ابني شيئًا من خالته البالغة من العمر ٢٠ سنة، ففتح باب غرفتها ودخل بغير إذن، فإذا به يراها وهي شبه عارية، فصرخت في وجهه، وأسرع الجميع نحوها، ولما علموا بما حدث اتهموا ابني أنه غير مؤدب، وأنه لم يتربَّ جيدًا، وكانت النتيجة أن ابني ترك بيت جده فورًا (في منتصف الليل) وعاد إلى البيت، ولأنه شعر بالظلم أصبح لا يحب الذهاب عندهم، فهم يرونه ولدًا سيئًا، وهو يراهم ظالمين، والواقع أنني السبب في هذا كله؛ إذ لم أحسب حساب هذا الموقف، ولم أُعلّم ابني ضرورة الاستئذان المنزلي...



ويقول أحد الآباء:

رزقني الله -تعالى- بثلاث بنات، ولظروف بناتي لا أنام أنا وزوجتي في غرفة منفصلة، بل تنام زوجتي في غرفة البنات، وهذا باتفاق بيننا، لأن هناك بنتًا صغيرة تحتاج لأن تنام أمها معها، وأنام أنا وحدي في غرفة النوم، ولم يكن هذا الوضع

يسبب لنا مشكلة، ولم أكن أهتم بتعليم بناتي الاستئذان المنزلي؛ لأن كل الغرف تقريبًا تكاد تكون مفتوحة، وليست هناك غرفة لنوم الوالدين حتى تستأذن البنت قبل دخولها...

وكبرت بناتي وأنا أعتقد أنني أسير في الطريق الصحيح، إلى أن ذهبنا يومًا لزيارة أبي (جد البنات)، وكانت البنات تلعبن في إحدى الغرف، وفجأة سمعت والدي يصرخ في إحدى البنات، فذهبت لأرى ما يحدث، فوجدت ابنتي ذات التسع سنوات تبكي، وجدها يوبخها بشدة، وما إن رآني حتى صرخ قائلًا: أنت لم تربِّ هذه البنت جيدًا، فقد دخلت غرفتي دون استئذان، ورأتني وأنا أغير ملابسي، لا بد أن تعاقبها لأنها غير مؤدبة...

فاعتذرت لأبي، واعتذرت أمامه لابنتي...

فقال: ماذا تفعل؟

فقلت: أنا لم أعلمها كيف تستأذن داخل البيت، وهذه غلطة كبيرة لم أشعر بها قبل اليوم، وأنا اليوم قد أخطأت في حقك وحقها؛ لذلك أعتذر لك لأنها دخلت غرفتك بغير إذن، وأعتذر لها لأنني تسببت في رؤيتها لمشهد يؤذيها...

أيها المربي الكريم

من الواجب أن تعلم أبناءك وبناتك آداب الاستئذان المنزلي، حتى وإن كنت محافظًا في بيتك لأعلى درجة، حتى لو كنت تنام في غرفة الأولاد وزوجتك تنام في غرفة البنات، فقد يذهب ابنك لبيت أحد الأقارب، ويدخل غرفة أحدهم بغير إذن، وعندها تحدث الكارثة، وتكون أنت السبب...

كيف تعلم أطفالك الاستئذان المنزلي؟

(١) ابدأ مبكرًا مع شريك حياتك

يقول أحد الآباء:

في بداية الزواج لا يحتاج الزوجان غالبًا إلى إغلاق غرفة النوم عليهما؛ لأنه لا يوجد أولاد صغار ولا أحد غيرهما في البيت، لكنني لما عرفت أهمية تربية الصغار على آداب الاستئذان داخل المنزل، قررت أن أستعد مبكرًا، وأن أجعل الاستئذان قانونًا في بيتي، فصنعت لغرفة النوم قفلاً صغيرًا (من الداخل) وتكلمت مع زوجتي أن نبدأ - من الآن - في تدريب أنفسنا على غلق غرفة النوم في أوقات العورات الثلاث المذكورة في الآية، بعد العشاء إلى ما قبل الفجر، وفي فترة الظهيرة، وبدأنا في تنفيذ الفكرة قبل أن يرزقنا الله تعالى بأولاد، وكنا سعداء لأننا نستعد لتطبيق ما أمرنا الله -تعالى- به في بيتنا، ومرت السنوات، ورزقنا الله -تعالى- بأولاد وبنات، ومرّ الآن حوالي ٣٠ سنة على فكرة وضع قفل لغرفة النوم، والحمد لله تربى أولادي على أدب الاستئذان المنزلي، وطبقوه خارج البيت، فأصبح خلقًا يميزهم ويزين حياتهم، وتعلمت أنا وأمهم كيف نستر عوراتنا عنهم بلطف وحكمة، فكانت النتيجة أن سترنا الله تعالى أمامهم، ولم تهتز مكانتنا في عيونهم يومًا، والحمد لله.

ويقول أب آخر:

في بداية الزواج كنا نترك غرفة النوم مفتوحة؛ لأنه لا يوجد أحد غيرنا في البيت، ولما رزقنا الله -تعالى- بطفلنا الأول وبلغ من العمر عامين، بدأت أغلق غرفة النوم طاعة لله تعالى، واستجابة لأمره، لنتدرب على إغلاقها، ولكي يكبر الطفل وهو معتاد أن الغرفة مغلقة من بعد صلاة العشاء وحتى صلاة الفجر، وفي فترة الظهيرة، وكم هو شعور جميل أن تغلق الغرفة طاعة لله تعالى، وتطبق في بيتك قوانين ربانية تملؤه نورًا وسعادة، وأنا أوصي جميع الآباء والأمهات أن يبدءوا في غلق غرفة النوم عندما يرزقك الله -تعالى- بأطفال، ويفعلوا ذلك قبل أن يتموا العامين؛ ليبدأ الطفل المشي ويكبر وهو يعرف أن غرفة الوالدين مغلقة في هذه الأوقات، وأنه لا بد من الاستئذان قبل الدخول.

وصية للمتزوجين حديثًا

من اليوم اصنع لغرفة النوم قفلاً صغيرًا من الداخل، وتدرب مع شريك حياتك على إغلاق غرفة النوم في أوقات النوم الثلاثة، فتغلقها بعد صلاة العشاء وحتى صلاة الفجر وفي وقت الظهيرة، وبذلك تتعود أنت وشريك حياتك على إغلاق غرفة النوم، فيكون من السهل عليك مستقبلاً تربية أولادك على أدب الاستئذان، بعكس من لم يتعود على إغلاق غرفة النوم عليه؛ إذ يكون من الصعب عليه تربية أولاده على الاستئذان؛ لأنه سيبدأ معهم في التدريب على إغلاق غرفة النوم والذي تعوّد لسنوات ألا يغلقها، فتجده ينسى إغلاقها وتحدث المصيبة...

وهنا يسأل أحد الآباء وهو حزين:

اليوم فقط عرفت أن على الوالدين تعليم أطفالهم الاستئذان قبل دخول غرفة الوالدين، وأن هذا الاستئذان أمر رباني، وأن تعليمه للأولاد واجب على الوالدين، فهل ينفع تطبيقه اليوم في بيتي وقد كبر أولادي (في ابتدائي وإعدادي)؟

بعد نزول آيات الاستئذان الخاص (داخل البيت) حدث موقف جميل مع سيدنا أنس بن مالك خادم رسول الله والذي كان عمره بين ١٠ إلى ٢٠ عامًا، روى البخاري في الأدب المفرد عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنتُ خادمَ رسولِ الله ﷺ، فَكُنتُ أدخلُ عليهِ بغيرِ إذنٍ، فَجِئْتُ يومًا أدخلُ، فقالَ ﷺ: كما أنت يا بُنيَّ (يعني: قف مكانك ولا تدخل)؛ فإنه قد حدث بعدك أمرٌ (قد نزلت آيات الاستئذان)، لا تَدخُلَنَّ إلا بإذنٍ »[1]...

وفي هذا الموقف النبوي الكريم رسالة مهمة للآباء والأمهات، فمن تأخر منهم في تعليم أولاده الاستئذان المنزلي، وفعل ذلك جهلاً (لأنه لم يكن يعرف الأمر الرباني بالاستئذان المنزلي) أو تكاسلاً، فلا يقولن: الوقت تأخر وأولادي كبروا على التعلم، وليفعل مثلما فعل النبي ﷺ مع سيدنا أنس، وليبدأ مع أولاده من الآن، وليجعل الاستئذان قانونًا يحكم بيته من اليوم...

يقول أحد الآباء:

كنا في بيتنا نترك جميع الغرف مفتوحة طوال الليل والنهار، فنحن معظم

---

(١) صحيح الأدب المفرد ح ر ٦٢٠.

الوقت محافظون في لبسنا، لكنني لما علمت أن هناك أمرًا ربانيًّا بالاستئذان قبل دخول غرفة نوم الوالدين؛ وسمعت موقف النبي ﷺ مع خادمه سيدنا أنس، والذي كان بين العاشرة والعشرين من عمره، قررت أن أقتدي بالنبي ﷺ، وأن أطبق قانون الاستئذان في بيتي، وبدأت بوضع قفل داخلي لغرفة النوم، وقلت لأولادي: لقد تعلمت اليوم أدبًا ربانيًّا جديدًا، وهو الاستئذان داخل البيت، فسامحوني لأنني لم أعلمه لكم وأنتم صغار، لكن أمامنا اليوم فرصة لنبدأ من جديد، وكانت استجابة أبنائي جيدة، ولعل السبب في ذلك أنني قلت لهم: هناك أوامر ربانية وأحاديث نبوية تنظم الحياة في البيت المسلم وتجعله أجمل، وعندما نطبق هذه الأوامر في بيتنا، ونجعلها قانونًا يحكم حياتنا؛ ملأ الخير بيتنا، وزادت المحبة بيننا...

(٢) عليك بالتدريب العملي

روى الترمذي عن كلدة بن الحنبل رضي الله عنه أنَّ صفوانَ بنَ أميَّةَ (بعد أن أسلم)، بعثَه (عقب فتح مكة) بلَبنٍ وجداية[١] وضَغابيسَ[٢] إلى النَّبيِّ ﷺ، والنَّبيُّ ﷺ بأعلى الوادي (في مكة)، يقول كلدة: فدخلتُ ولم أُسلِّم ولم أستأذِن، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ارجعْ فقلِ: السَّلامُ عليكم، أأدخلُ؟»...

كلدة بن الحنبل رضي الله عنه أخو صفوان بن أمية من الأم، يحكي لنا أن أخاه صفوان بن أمية بعد إسلامه أرسله بهدايا إلى النبي ﷺ، وهذه الهدايا كانت عبارة عن: لبن، وجداية (لحم ظبي صغير أو لحم أنثى ماعز صغير)،

---

(١) جداية: هي أنثى الماعز الصغيرة، فالذكر جدي، والأنثى جداية، وقد تكون لحم الظبي الصغير..

(٢) الضغابيس: هي القثاء الصغيرة.

وضغابيس (وهي القثاء الصغيرة)، وحمل كلدة الهدايا وذهب إلى النبي ﷺ، لكنه دخل بغير إذن ولم يسلم حين دخل، فقال له النبي ﷺ: ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل؟ فخرج كلدة من عند النبي ﷺ، ووقف بالباب وبدأ يستأذن، وأذن له النبي ﷺ بالدخول، ولما دخل على النبي ﷺ ألقى السلام، فأحسن النبي ﷺ استقباله، وأخذ منه الهدايا، بعد أن أعطاه أجمل هدية، وهي أنه ﷺ علمه بنفسه كيف يستأذن، وذلك بطريقة عملية تمثيلية جميلة، لا يمكن نسيانها...

يقول أحد المعلمين:

لم أكن أصبر على تعليم أطفالي، ولا أصبر على الأطفال عمومًا، لكنني حين سمعت موقف النبي ﷺ مع كلدة بن الحنبل، وكيف صبر النبي ﷺ عليه، وعلّمه بطريقة عملية جميلة، قررت أن أتغير، وأقتدي بالنبي ﷺ في الصبر والتعليم، فالنبي ﷺ مع عظيم قدره وشرف مكانته لم يضربه أو يشتمه حين دخل عليه بغير إذن، بل علّمه وتلطف معه، وقام بلعبة تمثيلية جميلة معه، فقال له ﷺ: ارجع عند الباب، واستأذن وأنا سأقول لك: ادخل... ولقد سألت نفسي: وهل ينسى كلدة تلطف النبي ﷺ معه حين دخل بغير إذن؟ وهل ينسى الاستئذان بعد أن علمه النبي ﷺ إياه بطريقة عملية جميلة؟ إنها النبوة في أعظم صورها، والتعليم في أجمل صوره...

ويقول أحد الآباء:

عندما أذهب مع أولادي لبيت أحد الأقارب أو الأصدقاء، أجعل ابني الصغير (٤ – ٥ سنوات) يقوم بطرق الباب أو رنّ الجرس، وأسأله: الآن أين

نقف؟ فيقول: في جانب الباب، فإذا أجاب صاحب البيت قائلًا: من؟ فأجعل ابني يجيبه ذاكرًا اسمه... وكم يفرح ابني بهذه اللعبة من وجهة نظره، ويسعد أصحاب البيت بأن طفلي هو من يستأذن قبل دخولنا عليهم، وأفرح أنا لأن ابني يطبق آداب الاستئذان عمليًّا بين يدي، وسيلتزم بها بعد ذلك - بإذن الله - لسنوات طويلة قد تصل إلى عشرين أو ثلاثين سنة وربما أكثر، وفي كل مرة يستأذن فيها يأتيني بإذن الله ثواب ما علمته له...



ويقول أب آخر:

ذات يوم ذهبت لزيارة بيت أبي (جد الأولاد)، فوجدت إخوتي هناك ومعهم أولادهم، وجلس الكبار معًا، وبدأ الصغار في اللعب، وبعد قليل نشب شجار بين الأولاد، ولكي أحل المشكلة، قلت لهم: تعالوا لكم عندي لعبة جميلة، إنها لعبة « أحسن ضيف »، والجميع سيشارك في هذه اللعبة، وللفائز جائزة...

وسنبدأ اللعبة بواحد منكم يقف خارج البيت، ويغلق الباقون الباب، ويكون هو الضيف، وسأقف معه خارج الباب لأرى كيف يستأذن، وكيف يدخل، وبقية الأولاد يستقبلونه من الداخل، وبعدها يقوم ولد غيره بدور الضيف ويقوم بالاستئذان، وأنا سأعطي لكل واحد منكم درجات، والفائز هو صاحب أكبر درجة...

وبعد هذه اللعبة سنلعب لعبة «أحسن صاحب بيت»، فيكون واحد منكم صاحب البيت، ويمثل ولد آخر دور الضيف ويطرق الباب، والمطلوب ممن

يمثل صاحب البيت أن يخرج للضيف ويستقبله ويدخله البيت، ومرة أخرى يخرج ويعتذر له؛ لأن الوقت غير مناسب لاستقباله، وفي كل مرة سأعطيه درجة على طريقة تصرفه، وبعد ذلك يحين دور كل واحد منكم ليقوم بدور صاحب البيت ويستقبل ضيفه، وأنا أقيّم طريقة كل منكم وأعطيه درجة، والفائز هو صاحب أكبر درجة...

وفرح الأولاد بالفكرة، وبدأنا بلعبة «أحسن ضيف»، فكان كل واحد منهم يخرج ويقف على الباب ويطرق الجرس، وأنا أعطيه درجات على خمسة أشياء: طريقة دق الجرس، ومكان وقوف الضيف (جانب الباب أم أمامه)، وكيف يرد على صاحب البيت حين يقول: من بالباب؟ وإلقاء الضيف للسلام على صاحب البيت، وغض بصره أثناء وقوفه على الباب وعند دخوله للبيت... وبعد لعب الجميع دور الضيف تكلمت معهم عن طريقة التقييم، وسنن الاستئذان الواردة عن النبي ﷺ، ثم أعلنت الدرجات، وأعطيت الجوائز...

ثم لعبنا لعبة «أحسن صاحب بيت»، وكانت درجات التقييم مبنية على طريقة استقبال اللاعب للضيف وترحابه به، وكيف ستر عورات بيته قبل إدخاله، وأين يجلسه، وكيف يعتذر له إن كان الظرف غير مناسب... وفرح الأولاد باللعبة، وتعلموا من خلالها سنن الاستئذان عمليًّا...

ومرت السنوات، وظل الأولاد يتذكرون هذا اليوم حتى بعد عشر سنوات، فكان الواحد منهم يقابلني ويقول: أتذكر يوم جعلتنا نلعب لعبة أحسن ضيف وأحسن صاحب بيت؟ إننا نتذكر هذه اللعبة كلما ذهبنا لزيارة

بيت أحدهم، وكلما جاءنا ضيف في بيتنا، ونجتهد أن نكون أحسن ضيف وأحسن صاحب بيت، وسنلعب هذه اللعبة يومًا ما مع أبنائنا...

فكرة: يمكن ممارسة هذه اللعبة مع أطفالنا في الروضة والمدرسة وفي حلقات التحفيظ عند حفظ آيات الاستئذان في سورة النور...

(٣) استخدم التبادلية التربوية

هناك سؤال يرد على ذهن كثير من الآباء والأمهات وهو: هل أستأذن قبل دخول غرفة أبنائي؟

وعندما نبحث في سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام، نجد أن الاستئذان المنزلي واجب على الجميع، فيستأذن الابن على والديه، ويستأذن الأب قبل الدخول على أولاده، ويستأذن الأخ قبل دخول غرفة أخته...

روى البخاري في الأدب المفرد عن عطاء بن يسار قال: سألت ابن عباس فقلت: أأستأذن على أختي؟ فقال ابن عباس: نعم، قال عطاء: فأعدت (عليه السؤال) فقلت: أختان في حجري (صغيرتان أربيهما)، وأنا أمونهما، وأنفق عليهما، أأستأذن عليهما؟ فقال ابن عباس: نعم، أتحب أن تراهما عريانتين[1]؟

والاستئذان قبل دخول غرفة الأبناء له حالتان:

الحالة الأولى: أن يكون الأولاد صغارًا، وهنا يكون هدف الاستئذان قبل دخول غرفتهم هو التعليم، ونطبق معهم فكرة التبادلية التربوية، والتي تنطلق من قول سيدنا إبراهيم لابنه إسماعيل: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي

(١) صحيح الأدب المفرد للألباني ح ر ٨١١.

أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ فكان رد الابن عليه: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، فالأب الذي يقول: يا بُنيّ، سيردّ عليه ابنه بقوله: يا أبي... هذه هي قاعدة التبادلية التربوية، وهي تعني أن ما تعطيه لابنك ستحصل عليه، وما تفعله معه سيرده إليك، فإن أردت من ابنك أن يستأذن قبل دخول غرفتك؛ فاستأذن أنت أولا قبل دخول غرفته...

الحالة الثانية: أن يكون الأبناء كبارًا، وهنا يكون هدف الاستئذان قبل دخول غرفتهم هو حفظ عوراتهم واحترام خصوصياتهم؛ لأن أبناءنا لهم عورات يجب سترها، فليس معنى أنك أبوه أو أمه أن ترى عورته، ولقد اختلف العلماء في تحديد عورة الصغير أمام والديه وغيرهما، ولقد استرشد بعض العلماء بقول النبي ﷺ: «مُروا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنينَ، واضربوهُم عليها وهمْ أبناءُ عشرٍ، وفرِّقوا بينهُم في المضاجعِ»[1]، واعتمدوا على هذا الحديث في تحديد عورة الصغير أمام والديه، فقال علماء الحنابلة:

- الصَّغيرالذي لم يبلغ سبع سنين: لا عورة له أمام والديه، فيباح (لهما) النَّظر إلى جسمه كله، كما يباح (لوالديه) مس جميع بدنه (عند الاستحمام وغيره)، مع حث الطفل على ستر عورته داخل البيت وخارجه.
- والولد ابن سبع إلى عشر سنوات؛ عورته (أمام والديه) الفَرْجَان فقط، وأمام الأجانب عورته الفرجان وما حولهما من الأمام والخلف.

(١) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٩٥.

- والولد ابن عشر سنوات (فأكثر) عورته مثل الكبير تمامًا (من السرة إلى الركبة).

- أما البنت من سبع إلى عشر سنين، فعورتها أمام والديها ما بين السُّرة والرُّكبة إذا لم تكن معالم ثدييها قد ظهرت، ومن الأفضل لها الاستتار أمامهم كالبالغة احتياطًا، وأمام الأجانب (غير المحارم) فعورتها جميع بدنها إلا الوجه والرَّقبة والرَّأس (الشعر)، واليدين إلى المرفقين، والقدم وأعلى منه بقليل...

- والبنت ابنة عشر سنوات (فأكثر) عورتها مثل الكبيرة تمامًا أمام محارمها (تلبس ملابس الخدمة المنزلية فيظهر وجهها وعنقها وشعرها واليدان والساعدان والقدمان وجزء من الساق) وأمام الأجانب غير المحارم (تظهر بكامل حجابها) [١]...

وكل هذه الأحكام في الطفولة فقط وقبل البلوغ، أما لو حدث بلوغ للولد أو البنت قبل عشر سنوات، فهو كالبالغين تمامًا، وحدود عورته مثل الكبار.

اجلس مع شريك حياتك، وراجعا حال أولادكما مع الاستئذان الخارجي مع بيوت الآخرين، وحالهم مع الاستئذان داخل البيت، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فليجتهد فورًا في تعليم أولاده...

(١) الفقه الإسلامي وأدلته للدُّكتور وهبة الزُّحيلي، ١ / ٥٩٥ (بتصرف)..



الأصل الرابع

«وفرقوا بينهم في المضاجع»

الأصل الرابع: «وفرقوا بينهم في المضاجع»

روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «مُروا أبناءَكُم بالصَّلاةِ لسَبعِ سنينَ، واضرِبوهم عليهَا لعَشرِ سِنينَ، وفرِّقوا بينَهُم في المضاجِعِ».

قال الشيخ الألباني: حديث حسن صحيح، انظر صحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٩٥

أيها المربي الكريم...

في هذا الأصل التربوي العظيم، أمرنا النبي ﷺ بأن نفرق بين أبنائنا في أماكن النوم، وليس المقصود هو التفريق بين الأولاد والبنات فقط، بل إن التفريق يكون أيضًا بين الأولاد وبعضهم البعض، وكذلك البنات، فنفرّق بين الأولاد وبعضهم في أماكن النوم، فيكون لكل ولد أو بنت مكان خاص ينام فيه، يأخذ فيه راحته، ويتمتع فيه بخصوصية كاملة، فلا يتشاجر مع أخيه، ولا يرى عورته دون أن يقصد، ولا يحدث بينهما احتكاك جسدي خلال النوم...

وتطبيق هذا التوجيه النبوي يمكن أن يتم في بيوتنا بعدة صور...

فمن لديه إمكانيات مادية جيدة، يمكنه أن يخصص لكل ولد أو بنت غرفة خاصة به.

ومن لديه إمكانات أقل يخصص في بيته غرفة للأولاد، وغرفة أخرى

للبنات، وفي داخل هذه الغرفة يكون لكل ولد سرير خاص به، وكذلك الأمر بالنسبة للبنات.



أما من لا يملك غير غرفة واحدة ينام فيها أولاده، فليخصص لكل ولد سريرًا خاصًّا به، فإن لم يستطع ذلك فليخصص سريرًا للبنات وآخر للأولاد، ويكون لكل واحد منهم غطاء منفصل عن أخيه، ويفصل بينهم خلال النوم بقدر المستطاع بواسطة وسادة أو غيرها... المهم أن نطبق في بيتنا هذا التوجيه النبوي الكريم.

يقول أحد الآباء:

رزقني الله -تعالى- بخمسة أولاد وبنات، ولم أكن أملك غير شقة صغيرة فيها غرفتان، لذلك كنت مضطرًّا لأن أجعل الأولاد والبنات ينامون معًا في غرفة واحدة، وكنت كل ليلة أتألم كثيرًا عندما يحين وقت النوم، فأنا أعرف قول النبي ﷺ: «وفرقوا بينهم في المضاجع»، وأتمنى أن أعمل بهذا الحديث، لكنني لا أملك مالًا حتى أخصص غرفة للبنات وأخرى للأولاد، فكنت في كل ليلة أجتهد في التفريق بينهم قدر المستطاع، فأجعل للأولاد سريرًا خاصًّا في جانب الغرفة، وفي الجانب الآخر أضع سريرًا للبنات، وأضع مخدة بين كل ولد وآخر، وبين كل بنت وأختها، كما أجعل لكل ولد غطاء خاصًّا به، وكذلك الحال بالنسبة للبنات، وأحيانًا أجعل الأولاد على السرير نفسه ينامون عكس بعضهم، فتكون قدم أحدهم عند وجه أخيه...

هذا ما كنت أستطيع فعله، ويعلم الله كم كنت أجتهد في تطبيق الأمر النبوي بالتفريق بين الأبناء في المضاجع.

وفي كل ليلة كنت أتألم نفسيًّا، وأناجي الله -تعالى- قائلًا: هذا يا رب ما أملكه من تفريق المضاجع بين أولادي، فارزقني يا رب ووسع عليّ لأطبق سنة نبيك بطريقة أفضل...

فعلت هذا لسنوات، اخترعت طرقًا ووسائل لتوسيع مكان النوم، فمن كان يكبر من الذكور كنت أخرجه لينام وحده في الصالة وأضع حول مكان نومه ستارة، وكنت أجمع أولادي وأخبرهم بسنة النبي ﷺ، وأفكر معهم في طريقة أفضل لتطبيقها، وبعد سنوات من الدعوات والصبر وبذل الجهد، رزقني الله -تعالى- من حيث لا أحتسب، فاشتريت قطعة أرض وبنيت عليها بيتًا كبيرًا، وبدلاً من أن أجعل لكل واحد من أولادي وبناتي غرفة خاصة، بنيت لكل واحد منهم شقة كاملة.



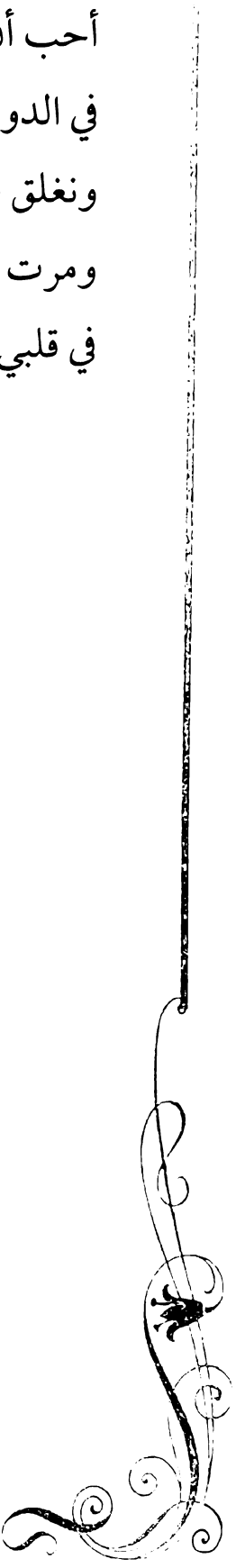


وتقول إحدى الأمهات:

كنا في بيتنا غير مهتمين بمسألة التفريق بين الأولاد والبنات في أماكن النوم، فشعار بيتنا كان: المكان الذي يريحك نم فيه... لكنني كنت أذهب لزيارة خالتي وأبيت عندها فأرى واقعًا مختلفًا، أرى البنات ينامون في مكان، والأولاد ينامون في مكان آخر، ولأنهم فقراء فقد كانوا مبدعين في

تطبيق فكرة التفريق بين الأولاد والبنات في أماكن النوم، لدرجة أنهم صنعوا سريرًا بدورين وعليه ستارة لتستر البنت التي تنام عليه، وكنت عندما أزورهم أحب أن أنام في الدور العلوي من السرير (ذي الدورين)، بينما ابنة خالتي تنام في الدور السفلي، وعندما كنا نخلد للنوم في هذا السرير أنا وبنت خالتي، ونغلق علينا الستارة، كنت أشعر حينها بسعادة عجيبة وخصوصية جميلة، ومرت السنوات وظلت فكرة التفريق بين الأولاد في أماكن النوم أمنية حبيسة في قلبي، حتى طبقتها مع أولادي وبناتي والحمد لله.

* * *



متى نفرق بين أولادنا وبناتنا في أماكن النوم؟

اختلف العلماء في سن التفريق بين الأولاد في المضاجع...

فقال بعضهم: التفريق في المضاجع يكون عند بلوغ سبع سنين، فيكون قوله ﷺ «وفرقوا بينهم في المضاجع» معطوفًا على «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع»، وهكذا يكون معنى الحديث: مروا أولادكم بالصلاة لسبع، وفرقوا بينهم في المضاجع، واضربوهم عليها لعشر...

وقال فريق آخر التفريق بين الأبناء في مكان النوم يكون عند بلوغهم سن العاشرة؛ لأن قوله ﷺ: «وفرقوا بينهم في المضاجع» معطوف على «واضربوهم عليها لعشر»، فيكون التفريق في المضاجع وفي أماكن النوم بداية من سن العشر، وهي سن يكون قد اقترب فيه موعد بلوغ الولد أو البنت، لذا فهو آخر فرصة للتفريق بينهما في أماكن النوم، ليدخل كل منهم مرحلة البلوغ بعيدًا عن الاحتكاك خلال النوم بأخيه أو أخته، فتكون العلاقة بين الأشقاء طاهرة عفيفة.

ومن هذا المنطلق يمكنك أن تبدأ في التفرق بين أولادك في أماكن النوم عند بلوغهم سن السابعة، فإن لم تستطع ذلك، أو رأيت أنهم صغار، فيمكنك أن تفرق بينهم عند بلوغ العاشرة، وأخبر أبناءك أنك تفعل ذلك تطبيقًا لأمر

النبي ﷺ بالتفريق بينهم في المضاجع، وأن تطبيق هذا الأمر النبوي في بيتكم سيملؤه خيرًا وسعادة وسكينة، وكم هو جميل أن تخبرهم أن أمر النبي ﷺ بالتفريق بينهم في سن العاشرة يعني أن الإسلام يراهم كبارًا عند هذا العمر، ومن حقهم أن يكون لهم مكان خاص للنوم، يرتاحون فيه وينعمون فيه بشيء من الخصوصية...

والجميل أن بعض الآباء يقيم احتفالاً أسريًّا لبلوغ أحد الأبناء (أو البنات) سن العاشرة، ويقدم له في الحفل هدية خاصة عبارة عن غرفة جديدة، فإن لم يستطع فسرير جديد، فإن لم يتمكن من ذلك فيهدي لابنه غطاء جديدًا وجميلاً...

ما الهدف من التفريق بين الأولاد والبنات في المضاجع؟

- حتى لا يرى بعضهم عورة بعض، فلا يرى ولد عورة أخته وهي نائمة، وكذلك الحال بالنسبة للبنت فلا ترى عورة أخيها، وبذلك نصون نظرها عن عورة أخيها.
- ولكي يتاح للأولاد والبنات قدر جيد من الخصوصية في غرفتهم.
- وحتى لا يحدث احتكاك بين العورات خلال النوم؛ وبذلك نحمي الأولاد من هياج الشهوة..

هل ينام الولد بجوار أمه عندما يبلغ عشر سنوات؟ وهل تنام البنت بجوار أبيها عندما تبلغ عشر سنوات؟

تقول إحدى الأمهات:



رزقني الله -تعالى- بطفل واحد، مات أبوه وعمره ٤ سنوات، ومن ساعتها وهو ينام بجواري في سرير واحد، واليوم بلغ عمره ١٧ سنة ولا يزال ينام بجواري، ولقد جعلته ينام بجواري طوال هذه السنوات لأنني كنت أخاف من النوم وحدي، فهل كان نومه بجواري خطأ؟ وهل تأخرت في فصله عني في مكان النوم؟

ولهذه الأم وغيرها نقول:

إن الطفل الصغير ينام بجوار أمه (أو أبيه)؛ لأنه يحتاج إلى الرعاية، حتى إذا بلغ عشر سنوات وجب التفريق بينه وبين والديه في المضجع، فلا ينام ولد أبدًا بجوار أمه إذا بلغ عشر سنوات، فأمر النبي ﷺ بالتفريق بين الأولاد والبنات حين يبلغون عشر سنوات، يشمل كذلك الأمر بالتفريق بين الولد وأمه إذا بلغ عشرًا فلا ينام بجوارها أبدًا، وكذلك البنت إذا بلغت عشر

سنوات لا تنام بجوار أبيها...

قال الإمام النووي - الفقيه الشافعي - رحمه الله:

وإذا بلغ الصبي أو الصبية عشر سنين وجب التفريق بينه وبين أمه وأبيه وأخته وأخيه في المضجع[١]...

وقال الشيخ ابن عابدين - الفقيه الحنفي - رحمه الله:



إذا بلغ الصبي عشرًا؛ فلا ينام مع أمه وأخته وامرأة أخرى (كعمته وخالته وغيرها)، فالمراد هو التفريق بينهما عند النوم؛ خوفًا من الوقوع في المحذور؛ فإن الولد إذا بلغ عشرًا عقل الجماع، ولا ديانة له ترده، فربما وقع على أخته أو أمه، فإن النوم وقت راحة، ومهيج للشهوة، وترتفع فيه الثياب عن العورة من الفريقين، فيؤدي إلى المحظور وإلى المضاجعة المحرمة، خصوصًا في أبناء هذا الزمان فإنهم يعرفون الفسق أكثر من الكبار[٢].

والعجيب في الأمر أن ابن عابدين - رحمه الله - قال هذا الكلام في أولاد القرن الثالث عشر الهجري قبل الإنترنت بأكثر من مائة وثمانين عامًا، فقد توفي ابن عابدين عام ١٢٥٢ هـ، فما بالكم بأبناء هذا الزمان؟

---

(١) روضة الطالبين ٧/ ٢٨.

(٢) حاشية ابن عابدين ٦ / ٣٨٢ .

يقول أحد الآباء:

حدثت لصديقي مصيبة كبرى، لكن فيها العبرة والعظة...

كانت زوجته من النوع المستهتر داخل البيت، وكانت غير محتشمة في لبسها وفي تصرفاتها مع أولادها، فتظهر أمامهم بملابس النوم، وتمزح معهم، وتسمح للأولاد بالنوم معها في نفس السرير...

وكان زوجها يعاتبها على تصرفاتها المتهورة، فتتهمه بالتشدد، وتقول لهم: إنهم أولادي وقطعة مني، فكيف تشك فيهم؟



ومرت السنوات وكبر الأولاد، لكن الأم لم تتوقف عن تصرفاتها المستهترة، لدرجة أنها في الصيف تنام على السرير بملابس النوم، وتسمح لابنها البالغ من العمر ١٦ سنة أن ينام بجوارها على السرير، ومهما كانت المرأة محتشمة فإنها حين تنام تظهر عورات جسمها، فما بالك بمن تلبس ملابس النوم...

وكان زوجها عندما يراها على هذه الحال وابنها نائم بجوارها على السرير يشك في سلوك زوجته، ويصرخ فيها حتى تتوقف عن هذه التصرفات السيئة، لكنها كانت تتحداه وتقول: إنه ابني، بل وتغيظه بمزيد من المزاح مع ابنها (تظنها مزاحًا لكنها أقرب إلى التحرش)...

وحاول الرجل - سنوات - أن يوقف تصرفات زوجته الطائشة، لكن

دون جدوى، فتملك الشك من قلبه، وبدأ يشكوها لأقاربها، ويقول لهم: أراها في أوضاع مخلة مع ابنها، ويشرح لهم... لكنهم - للأسف - كانوا لا يصدقونه ويصفونه بالجنون؛ لأنه يتهم زوجته في شرفها (مع ابنها)...

ونتيجة لكثرة الضغوط والشكوك على الزوج المسكين، أصيب بأمراض عصبية كثيرة، كان من بينها الشلل الرعاش، بالإضافة لجلطات متعددة، كل هذا وزوجته على حالها لم تتغير، حتى فارق زوجها الحياة...

ويعلم الله كم حزنت أنا على هذا الرجل، فقد كان صديقًا شهمًا وفيًّا، كان رجلًا بمعنى الكلمة، وبعد وفاته رأيت الخراب يعشش في بيته، وملأت المصائب حياة زوجته وأولاده...

ويقول أب آخر:

في بيتنا أطبق قاعدة التفريق بين الأولاد والبنات في أماكن النوم، لكنني للأسف لم أكن أتابع تطبيق هذه القاعدة عندما يذهب ابني للمبيت عند جده، فمنذ كان ابني طفلاً تعوّد أن يذهب يومًا أو اثنين كل أسبوع للمبيت عند جده، ومرت السنوات وأنا غافل عن متابعة طريقة نوم ابني عندهم، ولما بلغ ابني ١٣ سنة فوجئت بمصيبة كبرى، إذ اشتكت خالته ذات الثلاثين عامًا أن ابني يتحرش بها وهي نائمة، فقلت متعجبًا: وكيف يدخل غرفتها وهي نائمة.

فقالت: إنه ينام بجواري وفي حضني منذ كان عمره أربع سنوات، وكنت أظنه لا يزال طفلاً، إلى أن بدأت أشعر بحركاته المريبة أكثر من مرة، ونهيته عن ذلك لكنه لم يتوقف.

وكم كانت الصدمة قاسية على نفسي، فقد أفسدوا ابني دون أن أشعر؛ إذ كيف لشاب في هذه السن أن تتركه خالته ينام بجوارها؟ ولقد احترت في أمر ابني وسألت نفسي كثيرًا: هل هو مجرم أم أنه مظلوم؟

أمر النبي ﷺ بالتفريق بين الأبناء في أماكن النوم إذا بلغوا عشرًا، ويشمل ذلك التفريق بين الذكور والإناث، وبين الأولاد وبعضهم، وبين البنات وبعضهن، وينطبق الأمر نفسه على نوم الولد بجوار أمه أو خالته، فيجب ألا ينام بجوار امرأة أو فتاة إذا بلغ عشر سنوات هجرية، والبنت كذلك إذا بلغت عشرًا لا تنام بجوار أبيها أو غيره من الرجال، ويجب أن تطبق هذه القاعدة في بيتك، وتتابع تطبيقها في بيوت الأقارب الذين يبيت عندهم ابنك أو ابنتك؟



الأصل الخامس

« لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء »

الأصل الخامس: «لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء»

روى البخاري في صحيحه في باب إقبال المحيض وإدباره ؛ عن أم علقمة مولاة السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: كانت النساءُ يَبْعَثْنَ إلى عائشةَ بالدُّرَجَةِ، فيها الكُرْسُفُ، فيه الصُّفْرَةُ (من دم الحيض)، فتقولُ (عائشة رضي الله عنها): «لا تَعْجَلْنَ حتى تَرَيْنَ القَصَّةَ البيضاءَ» (تريد بذلك الطهر من الحيضة)...

في إحدي الندوات التربوية وزعت على الأمهات استبيانًا وفيه الأسئلة التالية:

- هل علمتك أمك فقه الحيض (العادة الشهرية)؟ أو ساعدتك في تعلّمه؟
- هل تعلمت فقه الحيض نظريًّا فقط؟ أم نظريًّا وعمليًّا؟

ولقد تعددت الإجابات عن السؤال الأول، والخاص بدور الأم في تعليم ابنتها فقه الحيض، واختلفت الإجابات من أم لأخرى، فكانت الإجابات كالتالي:

علمت نفسي بنفسي، قرأت في كتاب، سمعت شيخًا، علمتني أمي كيفية الاغتسال فقط، لم تعلمني كلمة واحدة... وغيرها.

أما بالنسبة للسؤال الثاني، والخاص بتعلم فقه الحيض نظريًّا أم عمليًّا؟ فكانت إجابات الأمهات - تقريبًا - واحدة، وتدور حول معنى واحد وهو:

مستحيل أن تتعلّم الفتاة (أو المرأة) شيئًا من فقه الحيض « عمليًّا ».

وهنا قلت للأمهات:

لقد سبقتنا المسلمات الأوائل في التعلم النظري «والعملي» لفقه الحيض، وإليكم كيفية التعلم العملي...

روى البخاري في صحيحه في باب إقبال المحيض وإدباره؛ عن أم علقمة مولاة السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: كانت النساءُ يَبْعَثْنَ إلى عائشةَ بالدُّرَجَةِ، فيها الكُرْسُفُ، فيه الصُّفْرَةُ (من دم الحيض)، فتقولُ (عائشة رضي الله عنها): «لا تَعْجَلْنَ حتى تَرَيْنَ القَصَّةَ البيضاءَ» (تريد بذلك الطهر من الحيضة)...

ما معنى هذا الكلام؟

تعالوا نترجم كلمات الحديث ونفهم معناه...

بالدُّرَجَةِ: هي قطعة من القماش تلف فيها الأشياء.

الكُرْسُفُ: هو القطن.

الصُّفْرَةُ: سائل أصفر يخرج من الرحم في نهاية العادة الشهرية.

القَصَّةَ البيضاءَ: هي ماء أبيض يدفعه الرحم عند انقطاع الحيض.

وهكذا نفهم معنى الحديث، إذ كانت النساء يسألن السيدة عائشة -رضي

الله عنها- عن علامات نهاية العادة الشهرية، لتغتسل إحداهن وتبدأ في الصلاة، ولكي يكون السؤال عمليًّا، فقد كانت إحداهن عندما ترى دم الحيض قد توقف، وتحوّل للون الأصفر، تشك في أمرها فلا تدري هل انتهت الدورة الشهرية أم لا، ولكي تتأكد تأخذ بعضًا من هذا السائل الأصفر (الخارج من الرحم) وتمسحه بقطنة (الكرسف)، وتضع القطنة في لفة من القماش (الدرجة)، وتذهب به للسيدة عائشة وتقول لها: يا أماه، لقد توقف دم الحيض ونزل هذا السائل الأصفر، فهل هكذا انتهى الحيض؟ فتجيبها السيدة عائشة رضى الله عنها قائلة: لا لم ينتهِ الحيض، فالسائل الأصفر من الحيض، ثم تقول: انتظري لا تغتسلي حتى ينزل السائل الأبيض (القصة البيضاء) فهو علامة نهاية الحيض وبداية الطهر...

ومن الملاحظ أن راوية الحديث - وهي أم علقمة خادمة السيدة عائشة - قالت: كانت النساء يبعثن إلى عائشة، وهذا يعني أنها رأت نساء كثيرات يستشرن السيدة عائشة بالطريقة العملية نفسها، ويرسلن بلفة القماش فيها القطن وعليه السائل الأصفر، وتجيبهن السيدة عائشة بالإجابة نفسها...

وانطلاقًا من كلام السيدة عائشة رضي الله عنها، قال العلماء: إن الصُّفرة (السائل الأصفر أو المتكدر بين الصفرة والسواد) والذي تراه المرأة في نهاية الحيض، هو جزء من الدورة الشهرية، وقال الفقهاء: إن الحيض ينتهي عند رؤية القصة البيضاء، لكنهم اختلفوا في تفسير معناها...

فقال فريق منهم: القصة البيضاء ماء أبيض يدفعه الرحم عند انقطاع الحيض، وقال الإمام مالك رحمه الله: سألت النساء عنه فإذا هو أمر معلوم

عندهن يعرفنه عند الطهر[١]، وتبعًا لرأي هذا الفريق فإن الحيض ينتهي عند رؤية المرأة للماء الأبيض الذي ينزل من الرحم في نهاية أيام الدورة الشهرية.

وقال فريق آخر: معنى القصة البيضاء هو البياض التام، فتخرج القطنة التي تضعها المرأة في مكان خروج الحيض بيضاء ناصعة لا صفرة فيها ولا كدر، وبذلك يكون الجفاف التام والقطنة البيضاء علامة نهاية الدورة الشهرية، ويشير إلى ذلك ما رواه البيهقي عن فاطمة بنت المنذر - وكانت تتربى في حجر أسماء بنت أبي بكر - قالت: أرسلت امرأة من قريش إلى أسماء كرسفة قطن فيها أظنه الصفرة، تسألها إذا لم ترَ من الحيضة إلا هذا طهرت؟ فقالت أسماء: لا، حتى ترى البياض خالصًا»[٢]...

وانطلاقًا من رأي الفريقين في معنى القصة البيضاء قال الفقهاء:

يُعرف الطهر من الحيض بخروج القَصَّة البيضاء، وهو سائل أبيض يخرج من الرحم في نهاية الحيض، فإذا لم يكن من عادة المرأة خروجُ هذا السائل، فعلامة طُهْرها الجفاف التام؛ بأن تضع (المرأة المتزوجة) قطنة بيضاء في فرْجِها فتخرج بيضاء تمامًا، فذلك علامة طهرها، أما البنت فيكون علامة طهرها بالجفاف التام، فتكون الفوطة الصحية التي تضعها بيضاء تمامًا في نهاية أيام الدورة، ولا أثر فيها لأي إفرازات صفراء أو بنية أو غيرها.

والسؤال الآن: لماذا اختارت الصحابيات السيدة عائشة بالذات ليسألنها في أمر دقيق مثل دم الحيض؟

والمتأمل في حال السيدة عائشة رضي الله عنها، يكتشف أن الصحابيات

---

(١) فتح الباري ١ / ٤٢٠ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، ح ر ١٥٢٧، وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٥ / ٤٦٦.

اخترن السيدة عائشة بالذات للسؤال في أمور الدين الحساسة لسببين:

السبب الأول: أن السيدة عائشة أم للمؤمنين والمؤمنات...

قال جلّ شأنه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، والأمومة هنا تعني: الحرمة والاحترام والإكرام والتوقير، ومن هذا المنطلق كانت الصحابيات يسألن السيدة عائشة لأنها أمهن...

ولقد أكد النبي ﷺ على أن السيدة عائشة أم للمؤمنين، وذلك لما كان يومًا في بيت السيدة عائشة، ومعه نفر من أصحابه، فأرسلت أم سلمة طعامًا إلى النبي ﷺ في بيت عائشة، فضربت السيدة عائشة يد الخادم فوقع إناء الطعام (المصنوع من الفخار) فكسر نصفين، حدث كل هذا أمام النبي ﷺ وفي حضور نفر من أصحابه، فماذا فعل ﷺ؟

لقد أمسك بالإناء المكسور وجمع نصفيه معًا، ثم جمع الطعام من على الأرض في تواضع عجيب، فعل ذلك ﷺ وهو يقول: «غارت أمكم»[1].

وهكذا يحافظ النبي ﷺ على مكانة السيدة عائشة أمام أصحابه، فهي أمهم حتى لو غارت مثل النساء، ولم ينس النبي ﷺ حق السيدة أم سلمة صاحبة الإناء المكسور، فأخذ ﷺ إناء عائشة (السليم) وأرسله مع الخادم لأم سلمة رضي الله عنها، وأبقى الإناء المكسور لعائشة رضي الله عنها...

السبب الثاني: هو فقه السيدة عائشة وعلمها الكبير...

فقد تعلمت السيدة عائشة على يدي خير البشر محمد ﷺ، تعلمت منه فقه

(١) صحيح البخاري ح ر ٥٢٢٥.

الحيض وغيره مما يخص المرأة المسلمة، وفهمت عن النبي ﷺ أمور الدين بقلب صاف وعقل نقي، فكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، وقد نقلت عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، قال مسروق التابعي الجليل: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض.

وقال التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيًا في العامة.

وقال عروة بن الزبير بن العوام: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة.

وقال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما.

وقال التابعي الجليل ابن شهاب الزهري شيخ الإمام مالك: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع العالمين المؤمنين وعلم جميع النساء؛ لكان علم عائشة أفضل»[1].

ومن هنا اختارت النساء السيدة عائشة بالذات للسؤال عن فقه الحيض وغيره من الأمور الفقهية الحساسة الخاصة بالمرأة...

* * *

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ١٨.

الصحابيات كن يسألن السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن أمور الحيض والطهر ؛ لأنها أم للمؤمنين، وهنا نقول للأمهات: كوني أمًّا حقيقية، وعلمي ابنتك كيف تبدأ العادة الشهرية ومتى تنتهي، علميها عمليًّا، وخذي ثواب الاقتداء بالسيدة عائشة رضي الله عنها، وهذه الفكرة كفيلة بإيجاد نوع عجيب من القربة والمحبة بين الأم ابنتها، جربي وخذي الأجر، واكسبي قلب ابنتك، وأنقذيها من سؤال الآخرين...

كيف تساعد الأم ابنتها في تعلّم فقه الحيض؟

تقول إحدى الأمهات:

قبل أن أدخل مرحلة البلوغ؛ لم تكلمني أمي عن الدورة الشهرية، ولم أكن أعرف ما يحدث للفتاة عند البلوغ، وذات يوم حدث لي أمر غريب، لقد رأيت سائلًا بنيًّا في ملابسي الداخلية، فظننت أنه اتساخ عادي، فغيرت ملابسي بأخرى نظيفة، لكن الأمر تكرر ونزلت سوائل بنية أخرى...

فخفت مما يحدث، وظننت أن هذه السوائل نتيجة مرض ما، وحكيت لأمي ما حدث، فابتسمت أمي خجلًا وقالت: دعيني أرى هذا السائل في ملابسك.

فأحضرت ملابسي الداخلية لأمي، ولما رأت ما بها من سوائل، قالت: مبروك، هذه هي الدورة الشهرية التي تأتي للبنات، فتوقفي عن الصلاة حتى تنتهي من النزول.

فقلت لها: ومتى تنتهي؟

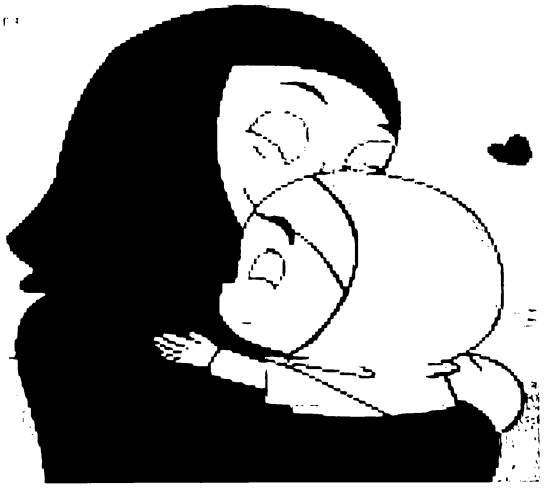
قالت: يختلف الأمر من فتاة لأخرى، فعادة ما يبدأ الحيض بسائل بني، ثم دم أحمر، ثم يتحول للون الأصفر، ثم يجف تمامًا، ونعرف انتهاء الدورة

بالجفاف التام.

وخلال الأيام التالية ظلت أمي تتابعني برفق، وتسألني عن لون السائل الذي ينزل، وتراه بنفسها أحيانًا، حتى تحول الحيض من اللون البني للأحمر ثم للأصفر، ثم الجفاف التام، وهنا قالت لي أمي: اغتسلي الآن وصلي، ولم تكتفِ بذلك بل علمتني كيفية الاغتسال من الحيض.

وبعد أيام الحيض تكلمت مع زميلاتي في الفصل عما حدث لي، فعلمت أن معظمهن قد بلغن، وجاءتهن الدورة الشهرية قبلي، لكنني اكتشفت أن كثيرًا منهن لم تعلمهن أمهاتهن شيئًا، وحينها رأيت كم أمي عظيمة، فقد علمتني نظريًّا وعمليًّا، ونتيجة تعليمها لي أصبحت أنا معلمة لزميلاتي، ومستشارة خاصة في شئون الحيض والغسل وغيرها، والسؤال الذي لا أعرف إجابته أحمله مسرعة نحو أمي؛ لأتعلم منها، ثم أعلمه لزميلاتي...

وتقول إحدى الفتيات:



لما جاءتني العادة الشهرية لأول مرة، حضنتني أمي بسعادة وقالت: يا ابنتي؛ اليوم أصبحت عروسة، لقد كنت أنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر حتى نتعلم معًا فقه الحيض والطهارة...

ووعدتني أمي أن يكون لنا كل أسبوع ساعة نقرأ فيها الفقه الميسر عن الحيض وعلاماته وأحكامه، وما لا نفهمه نسأل فيه الفقهاء، ولقد وفت أمي بوعدها، وخصصت لي ساعة

أسبوعيًّا نتعمل خلالها فقه الحيض وغيره مما تحتاج الفتاة البالغة، وأحيانا كانت أمي تبدع وتجهز مادة مسموعة على الإنترنت أو غيره نسمعها ونشاهدها معًا، واستمر لقائي الأسبوعي مع أمي قرابة العام، وكانت النتيجة أنني أحببت أمي أكثر، وبدأت أحكي لها أسراري، وأصبحت أكثر ثقة في نفسي، وزادت محبتي للفقه وعلومه، وأصبحت من أكثر المراهقات هدوءًا وسعادة...

ونقول فتاة أخرى:

لما جاءني الحيض للمرة الأولى، قالت لي أمي: سنذهب معًا إلى سيدة خبيرة في شئون الفتيات، وهي تحبك جدًّا، وأنت تحبينها كثيرًا، وهي على استعداد للحوار معك حول المرحلة الجديدة من عمرك، وستعلمك فقه الحيض وغيره.

حاولت أن أعرف من أمي من تكون هذه السيدة التي سنزورها، فرفضت أمي أن تخبرني وقالت وهي تبتسم: إنها مفاجأة، وستعرفين هذه السيدة غدًا عصرًا.

وجلست هذه الليلة أفكر من تكون هذه السيدة التي تحبني وأحبها، لكنني لم أستطع تحديد من تكون، وجاء عصر اليوم التالي على شوق، وفوجئت بجدتي تأتي لزيارتنا، وتحمل هدية لي، واستقبلتني جدتي بحض جميل، وقدمت لي الهدية وقالت: ألف مبروك يا عروسة.

فابتسمت أمي وقالت: ألم أخبرك أن هذه السيدة تحبك وتحبينها، إنها جدتك، وسأحكي لك ماذا فعلت معي في أول مرة جاءني الحيض، لقد أحضرت لي هدية وحضنتني حضنًا جميلاً، فأحببت أن تكوني مثلي، وتحصلي على حضن جدتك وهديتها، ولك عندي مفاجأة أخرى، سأعطيك أنا أيضًا

حضنًا جميلاً، وهدية...

هنا دمعت عيناي ولم أصدق ما يحدث، كان شعورًا بالسعادة والفخر، كانت دموع الفرح تنهمر على خدي بلا توقف، وحمدت الله تعالى أن رزقني بأم تحبني، وجدة ترعاني.

وبعد الدموع والأحضان، قالت أمي: لقد كان لجدتك معي جلسات تعلمني فيها فقه الحيض وغيره مما تحتاجه الفتاة، ومن اليوم سيكون لك لقاءات خاصة مع جدتك، تسألينها عما تحبين، وهي تعلمك ما تحتاجين...

ونقول إحدى الأمهات:



في فترة المراهقة لم يعلمني أحد طريقة الاغتسال من الحيض، فظللت قرابة عشر سنوات أغتسل من الحيض بطريقة خاطئة، وأصلي دون اغتسال صحيح، إلى أن اكتشفت مصيبتي يومًا، وتعلمت فقه الحيض، وعندها أقسمت ألا تعيش ابنتي مأساة أمها، وقررت أنها حين تبلغ سأعلمها غسل الجنابة وفقه الحيض نظريًّا وعمليًّا، بأدب وحياء وحكمة...

ومرت السنوات، وجاءت ابنتي الدورة الشهرية للمرة الأولى، فجلست معها واستمعنا على الإنترنت لأكثر من شيخ يتحدث عن فقه الحيض وطريقة الاغتسال والتطهر، وتكلمت مع ابنتي وشرحت لها ما لم تفهمه، وأجبت عن أسئلتها حتى فهمت الأمر تمامًا، وهنا قلت لها: لك عندي مفاجأة، سأعلمك

الغسل من الحيض عمليًّا.

فاستحيت ابنتي وقالت معترضة: كيف؟

فابتسمت وقلت لها: لا تخافي، فهناك عورات بين الأم وابنتها يجب أن نحافظ عليها؛ لذلك سندخل الحمام معًا ونحن نرتدي ملابسنا المنزلية العادية، والجو الآن صيف، وسأريك عمليًّا (ونحن نرتدي الملابس) كيفية الاغتسال.

أعلم أنها كانت فكرة مجنونة، وقد يعترض عليها بعض الناس، لكنها كانت تجربة مفيدة جدًّا لابنتي، وتعمدت خلال تعليمها الاغتسال الصحيح أن أرشها ببعض الماء، وأضحك معها، لأخفف عنها توتر الدورة الشهرية الأولى، ولتتقن غسل الحيض الذي هو أساس الطهارة عند الفتاة المسلمة، وقلت في نفسي: لعلها تتذكر هذا الموقف يومًا فتدعو لي وتسامحني على تقصيري في حقها.

لا أدرى هل ما فعلته مع ابنتي صواب أم خطأ، لكنني حاولت تعليمها بطريقة طريفة لا يمكن نسيانها، ولم أكشف عورتي أمام ابنتي، ولم أهتك لها سترًا...

وتقول واحدة من خبراء التربية:

اليوم أبلغ من العمر ٥٠ عامًا، والحمد لله لديّ علم واسع بأحكام الحيض والغسل وفقه المرأة المسلمة، والسبب في هذا كله هو أمي، فقد اهتمت كثيرًا بتعليمي فقه الحيض وأنا في مرحلة المراهقة...

وبعد مرور سنوات جاءت الدورة الشهرية لأختي، فقالت لي أمي:

أتعرفين لماذا كنت أهتم بتعليمك فقه الفتاة المسلمة جيدًا؟ كنت أفعل ذلك حتى تكوني معلمة لأخواتك البنات الأصغر منك في حال وفاتي، لكنني والحمد لله أعيش بينكم، وأرى أنك تعلمت جيدًا، وأصبحت أفضل مني؛ لذلك سأجعلك تعلمين أختك، بشرط أن تفعلي ذلك برفق ومحبة، وخذي هذه النقود واشتري مع أختك ما تحتاجه من مستلزمات هذه المرحلة، واجعلي سرّ أختك معك، وشاوريني حين تحتاجين لمشورتي.

وتركتني أمي أعلم أختي فقه الحيض، وكانت تتابعني من بعيد، وتساعدني إن لزم الأمر...

ويمرور الأيام جعلتني أمي أكرر التجربة مع بقية أخواتي البنات، فقد كنا خمس بنات وولدين.

ومرت السنوات سريعًا، وكانت خبرتي تزداد مع كل أخت أعلمها، وزادت محبتي للفقه والتربية، وكثيرًا ما استمعت لشيوخ وخبراء يتكلمون عن فقه المرأة، وكنت أحيانًا أتصل ببعضهم لأسأل وأتعلم، فزادت خبرتي عمقًا وإتقانًا؛ حتى جاء اليوم الذي أصبحت فيه خبيرة بشئون المراهقات، فرحم الله أمي التي صنعت مني خبيرة دون أن أشعر.

* * *

هل للأب
دور في تعليم ابنته فقه الحيض؟



سألت عددًا من الآباء: هل أنت - كأب - لك دور في تعليم ابنتك فقه الحيض والاغتسال وغيره؟

فقال كثير منهم: لم نفكر في هذا من قبل.

وقال بعضهم: هذا مستحيل، فهذه أمور تخص النساء، ويصعب الحوار فيها مع البنات.

لكنني قلت لهم: الأب مسئول عن تعليم ابنته فقه الحيض والاغتسال وغيره، وله دور مهم في تحقيق هذه المهمة، وبدون دور الأب ربما لا تتعلم البنت شيئًا، وتظل جاهلة طوال عمرها، ويكون ذلك تقصيرًا من أبيها في حقها...

فقالوا: كيف ذلك؟ وما دور الأب في تعليم ابنته أمور النساء؟

هنا قلت لهم: أنت - كأب - مسئول أمام الله -تعالى- عن تعليم ابنتك وفقهها، وذلك انطلاقًا مما رواه البخاري ومسلم عن النبي أنه قال ﷺ: « ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِه، فالإمامُ الذي على الناسِ راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيتِه، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتِه وهو مسئولٌ عن رعيتِه، والمرأةُ

راعيةٌ على أهلِ بيتِ زوجِها وولدِه وهي مسئولةٌ عنهم، والخادم راعٍ على مالِ سيدِه وهو مسئولٌ عنه، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِه »...

فالأب مسئول عن تعليم ابنته فقه الحيض والغسل وغيره مما تحتاج إليه الفتاة في أول البلوغ، وعليه أن يتابع زوجته في تنفيذ هذه المهمة، فإن لم تستطع زوجته تعليم ابنته، وجب عليه أن يبحث عن بديل مناسب، وإن لم يجد سيضطر للقيام بهذه المهمة بحذر شديد، وبذلك يكون للأب دور تربوي - مباشر وغير مباشر- في تعليم ابنته فقه الفتاة المسلمة...

أولاً: دور الأب غير المباشر

لا يشترط أن يقوم الأب بنفسه بتعليم ابنته ما تحتاج إليه من فقه، بل يستحسن أن تقوم أمها بتلك المهمة، لكن على الأب أن يتابع زوجته جيدًا، ويساعدها إن احتاجت لمساعدة، ويشجعها إن تكاسلت، وفي كثير من البيوت قد لا يسأل الرجل زوجته هل علمت البنت فقه الحيض والغسل أم لا؟ لأنه يظن أن الأم تعرف مهامها التربوية جيدًا، وتقوم بما يلزم، لكنه قد يكتشف بعد سنوات أن زوجته لم تعلم ابنتها شيئًا؛ لأن الأم كانت مشغولة وعليها أعباء كثيرة، وكانت ترى أن البنت ستتعلم بنفسها مع مرور الأيام كما تعلمت أمها، بل إن بعض الأمهات ترى أن الكلام في مثل هذه المسائل عيب، ولا يصح أن تتكلم مع ابنتها حول أمور كهذه.

ومن هنا يجب على الأب متابعة زوجته وتشجيعها على تعليم ابنتها، وتجهيزها لمرحلة البلوغ والمراهقة، وتعليمها فقه الحيض والاغتسال وغيره.

وعلى الأب أن يشجع زوجته ويحضر لها الكتب والمواد اللازمة لتلك

المهمة، ويعمل مستشارًا لزوجته فيما يصعب عليها من مشكلات البنت وتساؤلاتها، وفي النهاية يشكر زوجته ويكافؤها؛ لأنها تساعده في أداء واجبه التربوي نحو ابنته، لينجو بين يدي الله -تعالى- حين يسأله يوم القيامة عن رعيته.

ثانيًا: دور الأب المباشر

هناك حالات يضطر فيها الأب لتعليم ابنته – فقه الحيض - بنفسه، فقد تموت الزوجة وتصبح البنت بحاجة لمن يعلمها، ولا تجد غير أبيها، وقد يحدث طلاق أو غيره مما يضطر الأب للقيام بدور الأم التربوي قدر المستطاع، وهنا سؤال مهم: كيف يقوم الأب بهذه المهمة الصعبة؟

لقد أراحنا النبي ﷺ من عناء الإجابة عن هذا السؤال، وقدم لنا نموذجًا عمليًّا لكيفية تعليم الأب لابنته، فالنبي ﷺ بالنسبة للمسلمين أب ومربٍّ، ودليل ذلك ما رواه ابن ماجة عن النبي ﷺ أنه قال: « **إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم** »[(١)]، ومن هنا فإن ما فعله النبي ﷺ مع صحابته الكرام (رجالاً ونساء) يمكن للأب أن يفعله مع أولاده وبناته، وهو في ذلك يقتدي بالنبي ﷺ كأب.

والآن: كيف تكلم النبي ﷺ مع النساء - كأب - عن كيفية الاغتسال من الحيض؟

روى الإمام مسلم أن أسماءَ[(٢)] سألت النبيَّ ﷺ عن غُسلِ المحيضِ؟

فقال ﷺ: «**تأخذُ إحداكُن ماءَها وسدرتَها[(٣)] فَتَطَّهرُ فتُحسنُ الطُّهور**

---

(١) صحيح ابن ماجة ح ر ٢٥٦، وقال الألباني: حديث حسن صحيح.

(٢) هي أسماء بنت شكل الأنصارية، وقيل هي أسماء بنت يزيد بن السكن التي كان يقال لها خطيبة النساء.

(٣) سدرتها: ورق شجر السدر وهو شجر النبق، وكانوا يستخدمونه حينها كمنظف، ويحل مكانه اليوم الصابون أو الشامبو وغيره.

(تغسل مكان الدم وتتوضأ)، ثم تصبُ على رأسِها فتَدْلُكُهُ دلكًا شديدًا حتى تبلُغَ شُئونَ رأسِها (منبت الشعر وفروة الرأس)، ثم تصبُّ عليها الماءَ، ثم تأخذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً (قطعة قطن بها مسك) فتطهَّرُ بها».

فقالت أسماءُ: وكيف تطهَّرُ بها؟ فقال ﷺ: «سبحان الله تطَّهرين بها».

فقالت عائشةُ لأسماء: كأنها تخفي ذلك (يعني بصوت خافت تسمعه أسماء ولا يسمعه الحضور) تتبَّعين أثرَ الدمِ (يعني تنظفين بالمسك فرجك حيث مكان خروج الدم).

وفي رواية البخاري: قالت عائشةُ: فعرَفتُ الذي يريدُ رسولُ الله ﷺ فجذبتُها إليَّ فعلمتُها. ثم سألت أسماء النبي ﷺ عن غُسلِ الجنابةِ؟

فقال ﷺ: «تأخذُ ماءً فتطهَّرُ، فتحسنُ الطُّهورَ، ثم تصبُّ على رأسها فتدلُكُهُ حتى تبلُغَ شئونُ رأسِها، ثم تُفيضُ عليها الماءَ».

فقالت عائشةُ: نِعْمَ النساءُ نساءُ الأنصارِ، لم يكن يمنعهن الحياءُ أن يتفقهن في الدينِ (وفي رواية: لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين).

وفي هذا الموقف النبوي الكريم نلاحظ أن النبي ﷺ - كأب ومربٍّ - شرح لأسماء -رضي الله عنها- كيفية اغتسال المرأة من الحيض والجنابة، لكنه توقف عند حد معين لا يستطيع الرجل (الأب) أن يتخطاه، وهذا درس تربوي جميل؛ إذ يمكن للأب أن يشرح لابنته فقه المرأة المسلمة، لكنه يتوقف عند درجة معينة تحتاج عندها ابنته لامرأة خبيرة تشرح لها الأمور الدقيقة الخاصة بالنساء، فالأب يشرح شرحًا عامًّا، والخالة أو العمة تكمل شرح التفاصيل...

تقول إحدى الفتيات:

ماتت أمي وعمري ١٢ سنة، وبعد عدة أشهر فوجئت بأبي يقول لي: بما أن أمك قد ماتت، فإن من حقك عليّ أن أعلمك فقه الفتاة المسلمة، وأحضر كتابًا في الفقه، وبدأ يقرأ معي فقه الحيض، وكيفية الغسل والتطهر، كان يقرأ ويشرح بأدب وحياء عجيب، وبعد أكثر من جلسة قال لي: هذا هو أقصى ما يمكنني تعليمه لك، وأكيد عندك أسئلة تدور في ذهنك، وخير من يجيبك عنها هي خالتك أو عمتك، فمن ترتاحين إليها أكثر؛ اسأليها وتكلمي معها...

لم أكن أتخيل أن أبي يمكنه أن يشرح لي فقه الفتاة المسلمة، لكنه فعل وبنجاح عجيب، والجميل في الأمر أن العادة الشهرية جاءتني للمرة الأولى بعد شرح أبي بعدة أشهر، واكتشفت أنه جهزني لهذه المرحلة بإبداع وأدب عجيب، وعوضني بدرجة كبيرة عن فقد أمي الحبيبة...

من حق البنت أن تجد من يعلمها فقه الحيض، وأفضل من يعلمها هي أمها تحت إشراف أبيها ومساعدته، فإن لم تستطع الأم تعليم ابنتها، وعجز الأب عن هذه المهمة ؛ فليبحثا لابنتهما عن مستشارة تربوية فقيهة تسألها وتتواصل معها.

وما أجمل أن ننظم في مدارسنا ومساجدنا ومراكزنا التربوية دورة تدريبية للبنات المقبلات على البلوغ أو حديثات البلوغ، نعلمهن فيها ما يتعلق بالحيض علميًّا وطبيًّا وفقهيًّا ونفسيًّا، فيقدم الدورة للبنات ثلاثة متخصصون: أحدهم فقيه، والثاني طبيب يشرح التغيرات الجسمية وكيفية التغلب على تعبها، وخبير نفسي يشرح التغيرات النفسية التي تمرّ بها الفتاة وطرق التعامل معها...



الأصل السادس

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم

الأصل السادس: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم

قال تعالى مخاطبًا النبي ﷺ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١]

لماذا أمر الله -تعالى- المؤمنين والمؤمنات بغض البصر؟

في جميع دول العالم تجد قانونا (للمرور) ينظم حركة السيارات، ويعاقب من يخالفه؛ ليحافظ على حياة الناس وممتلكاتهم، لكنك لن تجد قانونًا في الدنيا كلها (للنظر) ينظم حركة العيون، ويمنعها من النظر لحرمات الناس...

وعندما تبحث في دول العالم كلها؛ ستجد قوانين تمنع التحرش بالنساء، لكنك لن تجد قانونًا يمنعك من النظر لمحاسن امرأة في الطريق، أما الإسلام ففيه قانون - رباني - للنظر، هذا القانون يوجب على المؤمنين والمؤمنات غض البصر عن العورات والحرمات، سواء كانت هذه العورات وراء الثياب أو خلف الأبواب (في البيوت)، وبذلك يسبق الإسلام كل قوانين الدنيا بخطوة، فقوانين البشر تمنع التحرش بالمرأة، لكن الإسلام يمنع النظر إلي عورتها، فيحميها من التحرش حتى بالنظرات، ويحفظها من عيون الناس قبل أن

يحميها من أيديهم...

وعندما نتأمل في غض البصر، نجد أن له فوائد كثيرة، منها:

غض البصر يحمي من الوقوع في الزنى، ودليل ذلك هو قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، فجاء حفظ الفرج -في الآية الكريمة- بعد غض البصر، وهذا دليل على أن غض البصر هو مفتاح حفظ الفرج من الوقوع في الزنى، فمن غض بصره عن الحرام فقد حفظ بذلك فرجه من الزنى، أما من أطلق بصره في عورات الناس فقد اقترب كثيرًا من جريمة الزنى، لأن الزنى عبارة عن لحظة غفلة تأتي نتيجة لنظرة محرمة.

غض البصر يجعل الحياة أجمل، وهو مفتاح السعادة الأسرية؛ ولذلك قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، يعني أزكى لحياتهم، وأسعد لبيوتهم، فمن غض بصره ملأ الله تعالى قلبه سعادة، وبيته سكينة...

* * *

كيف استجاب النبي ﷺ للأمر الرباني؟

لقد أمر الله -تعالى- نبيه ﷺ بأن يحث المؤمنين والمؤمنات على غض البصر، فقال جلّ شأنه مخاطبًا النبي ﷺ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١]...

ولقد استجاب النبي ﷺ للأمر الرباني فشجع المؤمنين على غض البصر بثلاث طرق:

(١) الترغيب في ثواب غض البصر

فغض البصر طريق إلى الجنة، حيث قال ﷺ: «اضمَنوا لي ستًّا مِن أنفسِكُم؛ أضمَنْ لكُم الجنَّةَ: اصدُقُوا إذا حَدَّثتُم، وأَوفوا إذا وَعدتُم، وأدُّوا إذا ائتُمِنْتُم، واحفَظوا فروجَكم، وغُضُّوا أبصارَكم، وكفُّوا أيديَكُم»[(١)]...

وقال ﷺ: «ثلاثةٌ لا ترى أعينُهم النَّارَ: عينٌ حَرستْ في سبيلِ الله، وعينٌ بكتْ من خشيةِ الله، وعينٌ كفَّتْ عن محارمِ الله»[(٢)]...

ومعنى لا ترى أعينهم النار: يعني لا يرون النار لا من قريب ولا من

(١) صحيح الترغيب والترهيب للألباني ح ر ٢٩٢٥.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب للألباني ح ر ١٢٣١.

بعيد، فقد حماهم الله تعالى من رؤيتها، وحفظهم من دخولها...

يقول أحد الشباب:

كان أبي كثيرًا ما يذكّرني بقول النبي ﷺ: « ثلاثةٌ لا ترى أعينُهم النَّارَ: عينٌ حَرستْ في سبيلِ الله، وعينٌ بكتْ من خشيةِ الله، وعينٌ كفَّتْ عن محارمِ اللهِ »، ثم يقول: يا بنيّ، أتمنى أن تكون واحدًا من صاحب العيون الثلاث.

كان أبي يخبرني بهذه الأمنية كثيرًا، ويدعو لي بالنجاة من النار، وهنا كنت أشعر بحبه لي، وأستمتع بدعائه لي، لكنني كنت أسمع نصيحته ولا أفكر في العمل بها...

ومرت السنوات، ومات أبي، ونسيت وصيته، إلى أنني ذهبت يومًا لصلاة الجمعة، وهناك سمعت وصية أبي، لكن هذه المرة من شيخ المسجد خلال خطبة الجمعة، فتذكرت أبي، ولأنني أحببته كثيرًا؛ فقد عقدت العزم على تحقيق أمنيته.

ولما رجعت إلى البيت جلست أفكر: كيف أحقق أمنية أبي؟ وكيف أكون واحدًا من أصحاب الأعين الثلاث؟

وبعد تفكير طويل اكتشفت أنه من الصعب أن أكون صاحب العين التي حرست في سبيل الله، كما أنني لم أبكِ يومًا من خشية الله، وهكذا لم يبقَ أمامي إلا أن أكون صاحب العين التي كفّت عن محارم الله، ومحارم الله -تعالى- في زماننا كثيرًا، فالعورات مكشوفة في الشارع والتلفزيون وعلى الإنترنت، فقررت أن أحقق أمنية أبي، وأن أكون صاحب العين التي كفت عن محارم الله،

ويعلم الله -تعالى- أنني كنت قبل ذلك أجد صعوبة في غض البصر، وأشعر أنه شيء ثقيل على نفسي، لكن بعد أن قررت أن أكون صاحب العين التي كفت عن محارم الله، بدأت أجد لغض البصر لذة عجيبة، وكنت أتحدى صانعي الأفلام الإباحية وغيرها، وأشعر بلذة عجيبة حين أنتصر عليهم ولا أنظر، وإن قابلت امرأة متبرجة في الشارع، أستمتع بعدم النظر إليها، بعدما كنت في الماضي أستمتع بالنظر إليها، لكنني في الماضي كنت أتعب كثيرًا بعدما أنظر إليها، واليوم أصبحت أشعر بالسعادة تملأ قلبي بعد كل مرة أغض بصري عنها؛ لأنني أشعر أنني قد هزمتها، فهي قد خرجت متبرجة لتفتنني وتجعلني أنظر إليها، وأنا هزمتها حين لم أحقق لها ما تمنت، وتزداد سعادتي حين أتذكر أنني أفعل ذلك لأحمي عيني من رؤية النار، وأزداد شوقًا للقاء أبي يوم القيامة، وأخبره أنني حققت أمنيته، فيسعد بي في الآخرة كما أسعدني كثيرًا في الدنيا.

وذات يوم جلست أتكلم مع أصدقائي، ودار الحوار حول النساء، فقال الجميع: إنه يجد صعوبة في غض بصره، وخاصة أن عرض مفاتن المرأة أصبح فنًّا وإبداعًا شيطانيًّا في الإنترنت وفي الشارع والجامعة وغيرها، وقال أحدهم: إن النظر للنساء ممتع وجميل.

فقلت له: لقد كنت مثلك، حتى جربت غض البصر، فوجدت أن له لذة أكبر من إطلاق البصر، لكن زميلي لم يصدقني، وكذلك بقية الأصدقاء، فقلت لهم: جربوا يومًا، وستجدون حلاوة عجيبة، وحين تفعلون ذلك، ادعوا لأبي.

فتعجبوا، وقالوا: وما دخل أبيك بالأمر؟

فحكيت لهم حكايتي.

(٢) الترهيب من عقوبة إطلاق البصر

فالنظر للعورات والمحرمات نوع من الزنى، ففي صحيح البخاري قال ﷺ: «إن اللهَ كتب على ابنِ آدمَ حظَّه من الزنى، أدرك ذلك لا محالةَ، فزنى العينِ النظرُ، وزنى اللسانِ المنطقُ، والنفسُ تتمنى وتشتهي، والفرجُ يصدقُ ذلك كلَّه أو يكذبُه»...

ومن يزني بعينه يكون واقعًا تحت قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠]، فمن يزنِ (بعينه أو بيده أو بفرجه) – دون أن يتوب – يلق يوم القيامة أثامًا، وأثامًا هو وادٍ في جهنم يعذب فيه الزناة، وفي وادي الزناة يضاعف له العذاب ويخلد فيه مهانًا...

يقول أحد الشباب:

كنت أسمع قول النبي ﷺ: « العينان تزنيان وزناهما النظر »، ولا أتأثر به كثيرًا، ولا أخاف من زنى العين؛ لأنني لم اكن أعرف عقوبته، وأقول في نفسي: أنا أعلم أن زنى العين سيئ، لكنني لا أخاف منه بالقدر الكافي، وفي الوقت نفسه أخاف من زنى الفرج لأنني أعرف أن عقابه في الدنيا الجلد أو الرجم (للمتزوج)، لكن ما هو عقاب من يزني بعينه؟

وذات يوم سمعت شيخًا يربط بين قول النبي ﷺ: «العينان تزنيان وزناهما

النظر»، وبين قول الله تعالى: ﴿... وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾، وقال الشيخ: إن الزنى درجات، فهناك من يزني بعينه فقط، ومن يزني بيده، ومن يزني بفرجه، وهؤلاء الزناة بدرجاتهم - إن لم يتوبوا - يكون عقابهم يوم القيامة في وادٍ في جهنم اسمه (أثاما)، وهو وادٍ خاص بالزناة، وهناك يضاعف لهم العذاب، ويخلد الواحد منهم فيه مهانًا...

هنا فقط بدأت أخاف من زنى العينين، بعد أن كنت أراه شيئًا بسيطًا، وبدأت في رحلتي مع غض البصر، وكنت كلما بدأت بمشاهدة فيلم إباحي أتذكر وادي (آثام)، فأخاف وأتوقف سريعًا، حتى لا يجرني زنى العين (وهو متعة ناقصة) إلى الخلود في جهنم - مع الزناة - معذبًا مهانًا...

(٣) تشجيع الشباب على غض البصر بدون كلام



لم يكتفِ النبي ﷺ بالنصح النظري (ترغيبًا وترهيبًا)، بل تعداه للإبداع التربوي والتشجيع العملي، روى البخاري عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: أَرْدَفَ رسولُ الله ﷺ الفَضلَ بنَ عَبَّاسٍ يومَ النَّحرِ خَلفَهُ عَلَى عَجُزِ راحِلَتِهِ (كان الفضل يركب خلف النبي ﷺ على الناقة)، وكان الفَضلُ رجلًا وضيئًا، فوقف النبيُّ ﷺ للناسِ يُفتيهِمْ، وأقْبَلَتِ امرأةٌ مِن خَثعَمَ وضيئَةٌ

تَستَفْتي رسولَ الله ﷺ، فطَفِقَ الفَضلُ يَنظُرُ إليها، وأعْجَبَهُ حُسْنُها، (وفي رواية: فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه)، فالْتَفَتَ النبيُّ ﷺ والفَضلُ يَنظُرُ إليها، فأخْلَفَ ﷺ بيَدِهِ فأخَذَ بذَقَنِ الفَضلِ، فعَدَلَ وجهَهُ عَنِ النَّظَرِ إليها (وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر) »...

لقد استخدم النبي ﷺ مع الفضل بن العباس - رضي الله عنه - أسلوبًا مبدعًا وحكيمًا ليغض بصره، فالفضل - رضي الله عنه - شاب وليس صغيرًا السن، ويحج مع النبي ﷺ حجة الوداع، ووقف بعرفة، ونزل بمزدلفة، وهو الآن يلبس ملابس الإحرام لم يخلعها بعد، ويحمل الجمرات معه، وفي طريقه لمنى ليرجم الشيطان، بل ويركب خلف النبي ﷺ على ناقته، ومع هذا كله ينظر للفتاة ويعجبه حسنها، فماذا فعل معه النبي ﷺ؟

لقد استخدم النبي ﷺ مع الفضل « العلاج الصامت »، فمد النبي ﷺ يده وأمسك بذقن الفضل برفق، وصرف بصره للناحية الأخرى بعيدًا عن الفتاة، وفي هذه اللحظة يقف بجوار الناقة جمع من الصحابة منهم أخوه الأصغر عبدالله بن عباس (عمره في ذلك الوقت ١٢ – ١٣ سنة في هذا الوقت)، وهو الذي روى الحديث...

وكان من الحاضرين أيضًا سيدنا علي بن أبي طالب، والذي روى لنا القصة - نفسها - لكن من زاوية مختلفة، فقال رضي الله عنه: لوى النبي ﷺ عنق الفضل (يعني أدارها للناحية الأخرى)، فقال العباس (والد الفضل): يا رسول الله، لم لويت عنق ابن عمك؟ فقال ﷺ: « رأيت شابًّا وشابة، فلم آمن

الشيطان عليهما »[1]، وهنا تلاحظ أن النبي ﷺ ترفق بعمه العباس، ولم يقل: إنني أؤدب ابنك فإنه ينظر لفتاة في هذا المشهد المبارك، وهو ليس بصغير، كما أن النبي ﷺ لم يقلل من شأن الفضل حين وصف لوالده ما حدث، بل نسب الشرّ كله للشيطان، فقال: « رأيت شابًّا وشابة، فلم آمن الشيطان عليهما ».

وفي رواية للإمام مسلم يحكي لنا جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - الموقف نفسه لكن من زاوية ثالثة فيقول: وأردف ﷺ الفضلَ بنَ العباسِ (من مزدلفة إلى منى)، وكان (الفضل) رجلًا حسنَ الشعرِ أبيضَ وسيمًا، فلما دفع رسولُ الله ﷺ (من مزدلفة) مرَّت به ظُعُنٌ يجرِين (مجموعة نساء وفتيات يجرين وهن يركبن الجمال)، فطفق الفضلُ ينظر إليهنَّ، فوضع رسولُ الله ﷺ يدَه على وجه الفضلِ (حتى لا ينظر)، فحوَّل الفضل وجهَه إلى الشقِّ الآخرِ ينظر، فحوَّل رسولُ الله ﷺ يدَه من الشقِّ الآخرِ على وجه الفضلِ يصرف وجهَه من الشقِّ الآخرِ ... حتى أتى ﷺ الجمرةَ (في منى) فرماها بسبعِ حصَياتٍ، يكبِّر مع كل حصاةٍ منها...

وهذا يعني أن النبي ﷺ صرف وجه الفضل عن النظر للفتاة، لكن الفضل لم يتوقف عن النظر، بل حوّل وجهه للناحية الأخرى لينظر، فما كان من النبي ﷺ إلا أن تحول بيده للناحية الأخرى ووضعها على وجه الفضل - للمرة الثانية- حتى لا ينظر، إنها الرحمة النبوية والحكمة التربوية في أحسن صورها...

* * *

(١) صحيح الترمذي للألباني ح ر ٨٨٥.

ماذا تفعل حين ترى ابنك ينظر للحرام؟

ذات يوم حكيت لمجموعة من الآباء قصة النبي ﷺ مع الفضل بن العباس في حجة الوداع، وكيف تصرف النبي ﷺ مع الفضل حين وجده ينظر لفتاة، ثم سألتهم: لو كنت مكان النبي ﷺ، وابنك يركب خلفك على الناقة، ورأيته ينظر لفتاة، ماذا كنت ستفعل؟

فقال أحدهم: كنت سأضربه بالكتف، فيقع على الأرض، وأدهسه بالناقة؛ ليتعلم الأدب.

فقلت له: وعندها كيف سيكون رد فعل ابنك عندما تهينه أمام الناس؟

ستأخذه العزة بالإثم، ويترك الحج كله وينصرف، فتكون بذلك قد ساعدت الشيطان على هزيمة ابنك، وحرمت ابنك من ثواب الحج، وربما تنقطع علاقتك بابنك إلى الأبد...

يقول مدير إحدى شركات الحج والعمرة:

ذات عام قررنا أن نشجع المراهقين على الحج؛ لأنهم يعيشون مرحلة عمرية مليئة بالشهوات، والحج يطهر ذنوبهم، ويشجعهم على التوبة، ويظل ذكرى جميلة في نفوسهم، فالمراهق الذي حج بيت الله الحرام يظل يتذكر هذه الرحلة الإيمانية، فيجتهد ألا يقع في معصية حتى لا يفسد حجته...

وبدأنا في تسويق الفكرة على المدارس والنوادي ومراكز الشباب، وأكرمنا الله تعالى بعدد كبير من الشباب والفتيات، فخرجنا في رحلتين؛ واحدة

للشباب وأخرى للفتيات، وفي منى خصصنا مخيمًا للشباب، وآخر للفتيات، وفي أول أيام التشريق حدثت مصيبة...

لقد اكتشف أحد المشرفين ولدًا يتجسس على خيمة الفتيات، فماذا فعل؟

لقد صرخ المشرف على الولد بأعلى صوته، فارتبك ووقع على الأرض، وسمعت البنات صرخة المشرف، فخرجت بعضهن من الخيمة ليعرفن ماذا يحدث، وجاء بعض الشباب، وأمام هذا الجمع الغفير أخذ المشرف يلوم الولد ويعاتبه على جريمته، وهكذا تم فضح (المخطئ) على أعلى مستوى، وكانت النتيجة أنه أقسم ألا يكمل الحج، وخلع ملابس الإحرام ورماها على الأرض، وحمل حقيبته، وانصرف عائدًا إلى بلده...

وحين وصلني الخبر؛ ملأ الحزن قلبي؛ لأننا أجرمنا في حق هذا الولد المسكين، فبدلًا من أن نأخذه للحج ليعود إلى بلده تائبًا عابدًا، تعامل المشرف مع خطئه بطريقة سيئة، وجعله يترك الحج وينصرف، وربما يعود إلى بلده فاجرًا مجرمًا...

وفي المساء اجتمعت بمشرفي الرحلة، وسألتهم: ما رأيكم فيما فعله الولد حين تجسس على خيمة البنات؟ وما طرق التعامل (المختلفة) مع هذا الموقف؟ وكيف سيكون رد فعل الولد مع كل طريقة؟

واستمعت لجميع الآراء والمقترحات، ثم قلت لهم: لو كان النبي ﷺ هو من ضبط هذا الشاب يتجسس على خيمة البنات، ماذا كان سيفعل؟

وحكيت لهم قصة النبي ﷺ مع الفضل بن العباس رضي الله عنه حين كان ينظر للفتاة في حجة الوداع وهو راكب خلف النبي ﷺ على الناقة، فالفضل رضي الله عنه شاب يلبس ملابس الإحرام، وقد وقف بعرفة وبات بمزدلفة وهو الآن يركب خلف النبي في طريقه

لرمى جمرة العقبة الكبرى، ومع ذلك ترفق النبي ﷺ به، ولم يفضحه بين الناس، وجعله يتوقف عن النظر للفتاة، بهدوء دون كلمة واحدة...

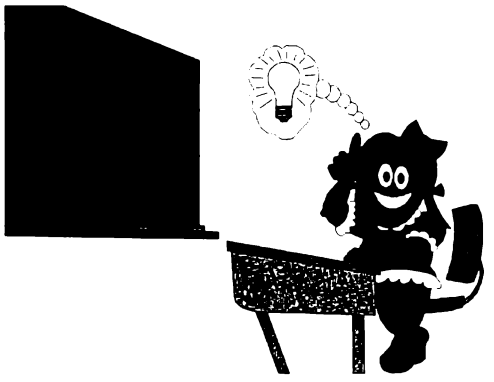
ثم قلت: لو كان النبي ﷺ بيننا ورأى هذا الشاب وهو يتجسس على خيمة الفتيات، لاستخدم معه ﷺ العلاج الصامت، كان النبي ﷺ سيضع يده - برفق - على كتف هذا الشاب، ويأخذه - في صمت - بعيدًا عن خيمة البنات، ولا يفضحه بين الناس...

ولو فعل المشرف ذلك، لأوقف المنكر، وحمى عورة البنات من النظر، ولانتهى الموقف باعتذار الشاب - بأدب - عن فعلته، ووعد بألا يكررها، وأكمل حجه في خشوع، وظل يرى أن ما فعله معه المشرف جميل في رقبته؛ لأنه لم يفضحه وحافظ على صورته أمام الناس رغم أنه مخطئ، لكن ما حدث أننا جعلنا هذا الشاب يترك الحج، ويصر على الإثم، وللأسف فقد خسرنا هذا الشاب، وكسبه الشيطان.

والآن تعالوا نفكر: كيف ننقذه من جديد، قبل أن يظن المسكين ألا توبة له...

ونقول إحدى الأمهات: عندما أشعر أن ابني (المراهق) يجلس أمام التلفزيون (بمفرده)، ويشاهد شيئًا سيئًا، فإنني لا أهاجمه ولا أتكلم معه، فقط أمشي نحو غرفته وأصنع صوتًا بقدمي؛ فيشعر أنني قادمة نحوه، ويقوم فورًا ويغير المحطة قبل أن أصل إليه، وبذلك أكون قد انتصرت على الشيطان، وأوقفت المنكر في بيتي، ولم أهتك ستر ابني، فيظل شكله أمامي جميلاً... أما لو صرخت في وجهه، وفضحته أمام إخوته، فإنه ربما يعاندني، وعندها سأدخل معه في معركة لا أضمن الانتصار فيها، وربما تكون نتيجتها أن أخسر ابني إلى الأبد...

هل تدريب الأبناء على غض البصر واجب على الآباء والأمهات؟



روى ابن ماجة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم»[1]...

وانطلاقًا من هذا الحديث النبوي الشريف فإن ما فعله النبي ﷺ مع أصحابه الكرام كان من باب النبوة والأبوة، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، فإذا كانت زوجات النبي ﷺ أمهات للمؤمنين، فإن النبي ﷺ أب لهم، والجميل أن هذه الآية لها قراءة أخرى عند أبي بن كعب وابن عباس وغيرهما، فتُقرأ كما يلي: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)[2]...

ومن هنا فإن في أفعال النبي ﷺ التربوية قدوة للآباء والأمهات، وكل ما فعله النبي ﷺ مع أصحابه (كأب) يصلح أن ننفذه في بيوتنا ومع أبنائنا وبناتنا...

---

(١) قال الشيخ الألباني: حديث حسن صحيح، انظر: صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ٢٥٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٦ / ٣٨٢، والمطالب العالية لابن حجر العسقلاني ٤ / ١٤٣.

والنبي ﷺ حين يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر، فإنه يفعل ذلك لأنه نبي كريم وأب رحيم، ولذلك فإن عليك - كأب وأم - أن تقتدي بالنبي ﷺ وتشجع أبناءك وبناتك على غض البصر، وذلك من خلال الحكمة والموعظة الحسنة، دون ضرب أو إيذاء، وبأفكار عملية ومبدعة...

- شجع أطفالك على حفظ أحاديث النبي ﷺ في غض البصر، وكافئهم على ذلك.
- ضع قانونًا في بيتك يمنع مشاهدة المناظر الفاضحة في التلفزيون وغيره.
- عندما تسير في الشارع، وعند زيارة بيوت الأقارب، شجع أبناءك على غض البصر.
- كن قدوة لأبنائك في غض البصر.
- كافئ ابنك (ابنتك) عندما يغض بصره، وعندما يمسك الريموت ويغير محطة التلفزيون لأن هناك مشهدًا فاضحًا.

اجلس مع شريك حياتك، وفكرا معًا في كيفية تشجيع الأبناء على غض البصر، وحمايتهم من المشاهد الفاضحة في التلفزيون وغيره، وادعوا أن يحفظ الله تعالى أبصارهم وفروجهم، وأكثر مع شريك حياتك من الدعاء لأبنائك؛ لأننا نعيش في زمن الفتنة الجنسية والمشاهد الإباحية...



الأصل السابع

ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن

الأصل السابع: ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]

إنني أجلس أمام ابني المراهق (١٥ سنة) بملابس النوم (المناسبة)، فأرتدي في الصيف قميصًا طويلاً - تحت الركبة - وبحمالات، وأنا ألبس هذه الملابس أمامه - منذ سنوات - ولم أجد في هذا مشكلة، وأنا أتعمد الظهور أمام ابني بملابس النوم لثلاثة أسباب:

أولاً: عندما كان عمره ٧ سنوات سألت إحدى أساتذة التربية: ماذا ألبس أمام ابني؟ فقالت: البسي ملابس النوم العادية (قصير - بنصف كم - بحمالات - وغيرها)؛ حتى يتعود وهو صغير أن يراك بملابس النوم التي تريحك، فلا ينكرها عليك عندما يكبر.



ثانيًا: ذات يوم كنت أجلس في البيت وألبس عباءة طويلة مع غطاء رأس منزلي جميل، ففوجئت بابني هذا يقول لي: ماما، هل تلبسين النقاب خارج البيت، وتلبسينه داخل البيت أيضًا؟

فقلت في نفسي: عنده حق، لا بد وأن يرى أمه جميلة حتى لا يكره النقاب، فبدأت ألبس أمامه العباءات الملونة والملابس المزخرفة، حتى ملابس النوم (المناسبة) ألبسها أمامه، وهذا ليعرف أن السيدة المنتقبة خارج البيت؛ جميلة في بيتها.

ثالثًا: الجو عندنا حار جدًّا، ولا نملك مكيفات؛ لذلك فإن الملابس المنزلية العادية (العباءات وغيرها) تخنقني، ولا أطيقها على جسدي؛ لذلك أتخفف من ملابسي لأكون أكثر راحة، وأنا أفعل ذلك في وجود ابني؛ حتى لا أشعر أنه يقيد حريتي، وحتى لا أكره تواجده في البيت.

لقد قالت الأم هذا الكلام، وهي مقتنعة به تمامًا...

والسؤال الآن: ما رأيكم فيما تفعله هذه الأم؟

* * *

(وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة).. عورة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاءِ ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ ....﴾ [النور: ٥٨]، فحين تضع الأم (تخلع) بعض ثيابها، وتتخفف منها وقت الظهيرة، وتلبس ملابس خفيفة استعدادًا للنوم، فهذه عورة لا ينبغي للأطفال المميزين (٤-٧ سنوات) والذين لم يبلغوا الحلم بعد أن يروا أمهم في هذه الحالة، فما بالك بالمراهق الذي بلغ مبلغ الرجال؟

تقول إحدى الأمهات:

أنا في العادة محتشمة في لبسي أمامهم، فألبس عباءة منزلية جميلة بنصف كم، وأجمع شعري (بتوكة) بسيطة، وهذا هو اللبس الذي يتناسب مع عمل المنزل.

كنت أعتقد أن أطفالي لا يلاحظون ما أرتديه من ملابس، وذات يوم اشتريت قميص نوم جديدًا من النوع المحتشم جدًّا، كان عبارة عن قميص طويل حتى القدمين، وبنصف كم، وفتحة الصدر ضيقة جدًّا، لكن لونه زاهٍ ومصنوع من الحرير، ولا يختلف عن العباءة المنزلية التي ألبسها في العادة، إلا إنه زاهي اللون جميل المنظر.

وبعد شراء القميص رجعت إلى البيت، ودخلت غرفة النوم ولبسته لأجربه، ثم وقفت أمام المرآة لأرى إن كان مناسبًا أم لا، فدخل ابني الصغير (٤ سنوات) غرفة النوم فجأة، ولما رآني ألبس هذا القميص (العادي جدًّا)، ابتسم ابتسامة (جريئة) ونادى على أخيه الأكبر (٧ سنوات) وهو يقول: تعالَ لتشاهد، ماما اليوم تلبس عروسة...

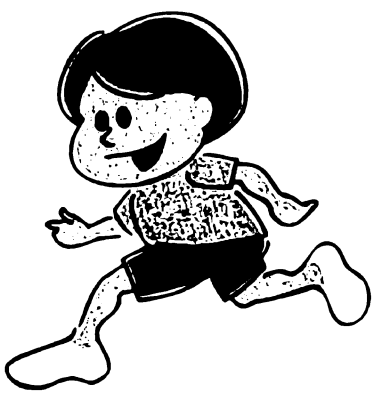
هذا هو حال ابن الأربع سنوات، فما بالكم بمن هو أكبر منه بكثير؟

* * *

ما حدود لبس الأم أمام ابنها؟ والأخت أمام أخيها؟

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاءِ ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ ....﴾ [النور: ٥٨].

حين نقرأ قوله تعالى: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾ نفهم أن المقصود هو وقت القيلولة والذي يتخفف فيه الإنسان من ملابسه ويلبس ملابس النوم، ولقد وصف الله تعالى وقت القيلولة والتخفف من الثياب ووقت النوم بعد العشاء وقبل صلاة الفجر بأنها أوقات عورة يجب سترها، فقال جل شأنه: ﴿ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾، ومن هنا فإن تخفيف الوالدين للملابس عورة يجب سترها عن أعين الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم بعد...



ويقول العلماء: إن المقصود بالذين لم يبلغوا الحلم في الآية: هو الصبي المميز، الذي يستطيع تمييز ما يراه، ويمكنه وصفه، ويتذكره بعد فترة، وهذا يحدث في عادة سن الرابعة تقريبا، إذًا فالأم أو الأخت حين

تلبس ملابس النوم الخفيفة، فهذه عورة يجب سترها عن الطفل ذي الأربع سنوات، فما بالكم بمن هو في العاشرة من عمره؟

وهنا قال العلماء: يباح للطفل المميز والمراهق والشاب أن يرى من ذوات محارمه (أمه - أخته - خالته - عمته - غيرها) ما يظهر منها غالبًا وهي في ثياب الخدمة المنزلية وعمل البيت، فيرى من أمه وأخته ما يلي:

الوجه والكفين والرأس والأذن والعنق واليد الى المرفق والرجل إلى الركبة.

ولا يباح له النظر إلى ما لا يظهر منها غالبًا: كالصدر والظهر وما بينهما من الجانبين والإبط والثدي؛ لأن ذلك لا ضرورة لكشفه، ولا تدعو الحاجة إلى النظر اليه، ولا تؤمن معه الفتنة، ويمكن أن يثير الشهوة؛ فيحرم النظر إليه...

ومن هنا قال الفقيه الحنبلي على بن سليمان المرداوي (المتوفي ٨٨٥ هجرية): يباح النظر لوجه ورقبة ورأس وساق ذات المحرم [١]...

* * *

(١) معونة أولي النهى شرح المنتهى ٣ / ٧ (بتصرف).

ما حدود الزينة التي تظهرها الأم أمام أبنائها؟

حدد القرآن الكريم للمرأة المسلمة الأصناف التي تبدي زينتها أمامهم، وهؤلاء قسمان:

القسم الأول: زوج المرأة فقال جل شأنه: ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾، فالزوج تُظهر له المرأة كل زينة ممكنة، إذ ليس بين الزوج وزوجته عورة، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦]، وروى البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كنتُ أغتسل أنا والنبي ﷺ - يعني من الجنابة - مِن إناء واحد، تختلف أيدينا فيه »، فالإنسان لا عورة بينه وبين زوجته.

القسم الثاني: بقية محارم المرأة وهم سبعة أصناف: أبوها ووالد زوجها وأبناؤها وأبناء زوجها وإخوتها وأبناء إخوتها وأبناء أخواتها... هؤلاء السبعة يأتون في المنزلة الثانية بعد الزوج، وظهور المرأة أمامهم - بزينتها - له حدود...

ما حدود الزينة التي تظهرها المرأة أمام محارمها السبعة (ومنهم أبناؤها)؟

قال العلماء: عندما يقول الله تعالى: ﴿يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني يُظهرن مواضع

الزينة، فلا تظهر مواضع الزينة من جسدها إلا أمام هؤلاء المحارم، ومواضع الزينة عند نساء العرب كانت خمسة هي:

- الحلق في الأذنين.
- العقد أو القلادة في أعلى الرقبة.
- الأساور في اليد.
- الدُّمُلج في العضد (مثل ما كانت تلبسه المصريات القدماء أيام الفراعنة).
- الخلخال في القدم.

فهذه هي مواضع الزينة الخمسة التي تظهرها المرأة أمام محارمها، وهي بذلك تُظهر شعرها وأذنيها ورقبتها وذراعها إلى العضد وقدمها وجزءًا صغيرًا من ساقها، ويتحقق ذلك عندما تلبس المرأة عباءة منزلية فضفاضة بنصف كم، يظهر منها رقبتها، وذراعها إلى المرفق، وتكون العباءة قصيرة نوعًا ما، فتظهر قدمها وجزءًا صغيرًا من ساقها...

ومن هنا يتضح أنه لا يجوز للمرأة أن تلبس ملابس شفافة أمام محارمها (ومنهم أبناؤها)، ولا ترتدي ملابس ضيقة جدًّا تصف جسمها، ولا تلبس شورت وتي شيرت يظهران مفاتن جسمها...

وهناك حديث نبوي جميل جدًّا يقرؤه كثير من الناس، ويظنون أن المقصود منه خارج المنزل فقط، وينسون أنه صالح للتطبيق داخل المنزل وخارجه، هذا الحديث هو ما رواه الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «صنفان من أهل النار

(لم أرهما بعد)؛ رجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس (يعني: ظلمًا وعدوانًا)، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسُهنَّ كأسنِمَةِ البختِ المائلةِ؛ لا يدخلْنَ الجنةَ ولا يجدْنَ ريحَها، وإن ريحَها لتوجدُ من مسيرةِ كذا وكذا »...

وقد فسر العلماء معنى قوله ﷺ: « كاسيات عاريات» بثلاثة معانٍ، هي:

(١) كاسيات عاريات يعني: يلبسن ألبسة قصيرة، لا تستر ما يجب ستره من العورة.

(٢) وقيل معنى كاسيات عاريات بأنهن: يلبسن ألبسة خفيفة لا تمنع من رؤية ما وراءها من بشرة المرأة.

(٣) وقيل معنى كاسيات عاريات: بأن يلبسن ملابس ضيقة، فهي ساترة عن الرؤية لكنها مبدية لمفاتن المرأة.

ومن هنا قال أهل العلم: لا يجوز للمرأة المسلمة أن تلبس ثلاثة أنواع من الملابس أمام أبنائها و محارمها، ولا حتى وسط تجمعات النساء (كالأفراح والزيارات وغيرها)، فلا تلبس: الملابس الضيقة، ولا شديدة القصر، ولا الملابس الشفافة؛ لأن هذه الأنواع الثلاثة تظهر مفاتن المرأة، والتي لا تظهرها المرأة إلا للزوج فقط [١]...

وحتى تدخل المسلمة الجنة؛ عليها ألا تكون من الكاسيات العاريات،

---

(١) انظر: فتاوى الشيخ محمد الصالح ابن عثيمين ٢ / ٨٢٥، والمنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح الفوزان ٣/ ١٧٠.

خارج البيت وداخله، أمام الأبناء والمحارم والصديقات، ولقد وصف النبي ﷺ حال النساء الكاسيات العاريات يوم القيامة، فقال ﷺ عنهن: « لا يدخلْنَ الجنةَ ولا يجدْنَ ريحَها، وإن ريحَها لتوجدُ من مسيرةِ كذا وكذا»، فهن لن يدخلن الجنة، ولن يقتربن منها، لأنهن ممنوعات من شم ريح الجنة، وإن ريحها لتشم من مسيرة مائة عام وقيل سبعين عامًا...

قاعدة مهمة

اللمس في التحريم مثل النظر، فما لا يحل النظر إليه؛ لا يجوز لمسه، بل اللمس أولى بالتحريم، فإذا كان الولد لا يباح له رؤية ثدي أخته، فلا يحل له أن يجلس ملتصقا بها أثناء مشاهدة التلفاز أو غيره، ولا ينام الصبي المميز أو المراهق بجوار أمه، ولا يلمس الأماكن الحساسة من جسم أمه...

متى تسمح لطفلك بالجلوس بين النساء (الأجنبيات- غير المحارم)؟

هناك تجمعات نسائية مغلقة على النساء فقط، ونجد ذلك في الأفراح والحفلات الاجتماعية الخاصة، ولأن هذه التجمعات تكون خاصة بالنساء، فإنهن يتساهلن بعض الشيء في ملابسهن وإظهار شعرهن ووضع الماكياج وغيره، ووسط هذه التجمعات توجد كاميرات متحركة لا ينتبه لها أحد، إنهم الأطفال الصغار، فتجد طفلاً في السابعة أو العاشرة من عمره جالسًا بين النساء، ينظر لجمالهن ويتأمل ملابسهن، دون أن ينتبه له أحد...

فإذا سألت أم أحد هؤلاء الأطفال: لماذا تحضرين ابنك ذا السبع سنوات تجمعات النساء المغلقة؟ ولماذا تسمحين له برؤية النساء على هذه الحالة من الانفتاح في الملبس والماكياج؟

فإنها سترد عليك بلا تردد وتقول: إنه صغير.

وإذا سألت بقية النساء: لماذا تسمحن بحضور ولد عمره ١٠ سنوات؟

فإن جميع النساء ستقول بصوت واحد: إنه صغير.

ومن طرائف هؤلاء الصغار؛ أن إحدى الأمهات أقامت حفلاً لابنتها بمناسبة حفظها ثلاثة أجزاء من القرآن، ودعت صديقاتها وقريباتها للحضور،

وأبلغتهم أن الحفل للنساء فقط، وطبعًا جاءت الأمهات إلى الحفل وفي يد كل منهن ابنها أو ابنتها، وفرح الجميع بالحفل، وانتهى بسلام، وعاد الجميع إلى بيته مسرورًا...

وكان من بين من حضروا الحفل طفل في الرابعة من عمره اسمه محمد، جاء مع أمه وظل طوال الحفل صامتًا ومشغولاً بالطعام والشراب، ولم ينتبه له أحد لأنه صغير، لكنه لما رجع إلى بيته، وجلس يتناول العشاء مع أسرته، تفاجأ الجميع به يقول: بابا؛ على فكرة، شعر خالتي فلانة (صاحبة الحفل) أطول من شعر ماما، وتضع الماكياج، كان الله في عونك يا بابا...

فتعجب الجميع من كلامه، ولم يتمالكوا أنفسهم من الضحك، لكنه كان ضحكًا يشبه البكاء، فالجميع كانوا ينظرون إليه على أنه طفل صغير لا يفهم، في حين أنه رادار متحرك، يفهم كثيرًا مما يحدث حوله...

أيها المربي الكريم...

إن حضور الأطفال وسط التجمعات النسائية محكوم بقانون رباني جميل، هذا القانون ورد في قوله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١]..

وهنا يجيز الله -تعالى- للمؤمنات أن يبدين زينتهن أمام الطفل الذي لم يظهر على عورات النساء، وهذا الطفل هو ابن الجارة وابن الصديقة وغيرها، بشرط أن يكون صغيرًا لا يعرف عورات النساء، أما الطفل الذي ظهر على

عورات النساء وفهمها، فلا تجلس المرأة أمامه إلا بحجابها...

والسؤال الآن: من هو الطفل الذي لم يظهر على عورات النساء؟

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾، يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن، من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية (تمايل جسدهن أثناء المشي)، وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيرًا لا يفهم ذلك؛ فلا بأس بدخوله على النساء، وأما إن كان يعرف ذلك، ويفرق بين المرأة الشوهاء والحسناء، فلا يُمكّن من الدخول على النساء[1]...



ومن هذا المنطلق فإن الطفل يظهر على عورة النساء عندما يفهم عوراتهن ويستطيع وصفها، ويفرق بين المرأة الجميلة وغير الجميلة، بين صاحبة الشعر الطويل والقصير، وهذا كله يحدث في سن الرابعة أو أكبر بقليل، وقبل هذا السن يكون الطفل صغيرًا غير مميز، فيجوز له النظر للنساء الأجانب بدون حجاب؛ ويحضر في تجمعات النساء الخاصة؛ لأنه لا يفهم أحوال النساء وعوراتهن، أما الطفل المميز الذي يفهم عورات النساء، ويستطيع تمييزها ووصفها، فيجب على المرأة أن تستتر منه بحجابها، ولا يصح أن يجلس هذا الطفل المميز وسط تجمعات النساء، حفاظًا عليه، وعلى ما يراه من عورات...

---

(١) تفسير ابن كثير ٦ / ٥٠.

يقول أحد الشباب:

أنا شاب عندي هياج جنسي شديد، ولا هدف لي في الحياة إلا الشهوات الجنسية، والسبب في ذلك هي أمي وصديقاتها، فكيف حدث ذلك؟!

بدأت الحكاية عندما كنت في الخامسة من عمري، كانت أمي تجتمع مع صديقاتها من الجيران يوميًّا بعد صلاة العصر أو العشاء، وكان هذا الاجتماع يتم في بيتنا أو عند إحدى الجارات، ولأنني كنت صغيرًا، فقد كنت أجلس بينهن يوميًّا، وكانت النساء يخلعن النقاب أمامي، ويجلسن بحرية، ويظهرن زينتهن، ولم لا وهو تجمع نسائي مغلق؟!.

ومرت الأيام وبدأت أكبر، لكنهن لم يلاحظن ذلك، إذ كانوا دائمًا يروننني صغيرًا، رغم أنني دخلت المرحلة الابتدائية، وكانت النساء يأخذن حريتهن في الجلوس والكلام أمامي، وينسون أحيانًا أنني موجود، كل هذا وأنا أشاهد وأراقب وأستمع...

وبمرور الأيام بدأت أفهم عورات النساء، ويلفت نظري ملابسهن الجذابة، وتعجبني زينتهن الفاتنة، وبدأت ألاحظ - جيدًا - أماكن الجمال في المرأة؛ ولذلك كنت أراقبهن جيدًا، وخاصة عندما تُخرج إحداهن ثديها لترضع طفلها...

وشيئًا فشيئًا بدأت الرغبة الجنسية تنمو في نفسي، وبدأت أنظر لهن بشهوة، وأشتاق للجلوس بينهن، وأستمتع بالنظر إلى ما يظهر من عوراتهن، إلى أن جاء اليوم الذي احتلمت فيه ليلا للمرة الأولى، كنت حينها في الصف السادس الابتدائي، والمفزع في الأمر أنني كنت أرى في نومي أنني أحضن

إحدى صديقات أمي، وأقبلها...

وفجأة انتهت المرحلة الابتدائية، وبدأت ملامح الرجولة تظهر على وجهي، فقالوا لي: لقد أصبحت كبيرًا، ولا تدخل مجلسنا بعد اليوم، وكانت صدمة كبيرة بالنسبة لي، صدمة نفسية وجنسية، فأنا أحب الجلوس بينهن، وأشتهي النظر إلى عوراتهن، وقد تعودت على الجلوس معهن لسنوات، فماذا سأفعل الآن؟

لقد كانت الشهوة نارًا تشتعل في صدري، ولم أستطع منع نفسي عن جلسة النساء هذه، فبدأت أنتظر اجتماعهن إلى بيتنا، وأجهز طرقًا وأدوات مختلفة للتجسس عليهن، في البداية كنت أتجسس عليهن مباشرة من خلف الأبواب، وفكرت يومًا في صنع ثقب في الجدار لأراقبهن من خلاله، وبدأت أضع الموبايل وأخفيه مكان جلوسهن، وأقوم بتصويرهن، ووصل الأمر لدرجة أنني اشتريت كاميرا، وأخفيتها بإتقان في مكان جلوسهن، وبدأت أشاهدن من خلالها وأنا جالس في غرفتي، كنت أراقب النساء بالكاميرا وأنا نائم على سريري، كنت أنظر لهن بشهوة - فترات طويلة - حتى أنزل المنيّ، وعندها أهدأ قليلًا وأتوقف، وبدأت أسجل لهن مقاطع فيديو لأستمتع بمشاهدتها في الأيام التي لا يأتون فيها لزيارتنا.

وهكذا كان جلوسي بين النساء سببًا في إثارة شهوتي في سن مبكرة جدًّا، وبدرجة زائدة عن اللازم، وكان اجتماعهن في بيتنا سببا في تعلمي طرق التجسس عليهن، ورؤية عوراتهن...

وبعد هذه التجربة المأساوية التي بدأت بطفولة ساذجة، وانتهت بشهوة

فاجرة؛ أنصح كل أم أن تحافظ على طفلها من الجلوس بين النساء، وأن تحميه من النظر إلى عوراتهن، كما أنصح النساء بتوخي الحذر عند الذهاب لبيت إحداهن، فلا يخلعن ثيابهن، ولا يتبرجن بزينة، فربما يكون هناك مراهق يراقبهن بطريقة ما...

الطفل الصغير - غير المميز - لا مشكلة في حضوره اجتماعات النساء، وظهور النساء (الضيوف) أمامه بغير حجابهن لا مشكلة فيه، أما إذا أصبح مدركًا لعورات النساء وفاهمًا لها، ويستطيع تمييز النحيفة من السمينة، والجميلة من الدميمة ؛ ويمكنه ملاحظة أفعالهن ووصفها، فإنه يُمنع من الدخول إلى اجتماع النساء (بدون حجابهن)، ولا يجوز للمرأة الأجنبية أن تتكشف أمامه؛ لأن السن التي يجب على المرأة أن تحتجب فيه من الصبي (الأجنبي - من غير المحارم) هو سن التمييز، والذي حدده بعض الفقهاء بسبع سنين، وحدده البعض الآخر بأربع سنوات...



الأصل الثامن

ما بين السُّرة والرُّكبة عورة

الأصل الثامن: ما بين السرة والركبة عورة

روى الحاكم عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين السرة والركبة عورة»... الحديث صححه الألباني في صحيح الجامع ح ر ٥٥٨٣

بعض الآباء يهتم كثيرًا بستر عورة ابنته وزوجته، لكنه يهمل ستر عورته أمام أولاده وبناته، ويجلس في بيته على راحته، ولا يهتم بتعليم ابنه (الولد) حدود عورته، بحجة أنه رجل، وهل لأنه رجل فليس له عورة؟ وهل لأنه رجل يجلس في بيته كيف يحب؟ هذا للأسف ما يعتقده كثير من الآباء والأولاد...

ولكي يصحح النبي ﷺ هذا الاعتقاد الخاطئ، فقد قال ﷺ: «ما بين السرة والركبة عورة»، وهذا الحديث دليل على أن عورة الرجل - الذي يجب عليه سترها - من السرة إلى الركبة، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى العمل بمقتضى هذا الحديث، وقرروا أن عورة الرجل ما بين السرة والركبة، وليست السرة والركبة من العورة [١]...

(١) انظر المغني لابن قدامة ٢ / ٢٨٢، والمجموع ٣ / ١٧٣.

والجميل في حديث «ما بين السرة والركبة عورة» أن من رواه هو عبدالله ابن جعفر بن أبي طالب، وكان من صغار الصحابة، فهو أول مولود ولد للمسلمين بالحبشة، إذ كان أبوه وأمه ممن هاجروا من مكة إلى الحبشة، وفي العام السابع للهجرة انتقل عبدالله بن جعفر إلى المدينة المنورة بصحبة أبيه وأمه وعمره حوالي ٧ سنوات، وفي السنة الثامنة للهجرة استشهد والده جعفر بن أبي طالب في مؤتة، فكفله النبي ﷺ وتربى في حجره، وتوفي النبي ﷺ وقد تم لعبدالله بن جعفر عشر سنوات تقريبًا...

وهذا يعني أن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب حين سمع النبي ﷺ يقول: «ما بين السرة والركبة عورة» كان عمره ما بين السابعة والعاشرة من عمره، وهذه إشارة مهمة للوالدين والمعلمين، فالطفل يجب أن يسمعك وأنت تتكلم عن حدود عورته، ويفهم هذا جيدًا، بل ويحفظه وينقله لزملائه وأصدقائه، فعبدالله بن جعفر رضي الله عنه سمع النبي ﷺ يتكلم عن حدود عورة الرجل، فوعى كلام النبي ﷺ جيدًا، ورواه للأمة كلها...

* * *

ما فائدة تربية الولد على حفظ عورته؟

عندما يتربى الطفل من صغره (في مرحلة الروضة وما قبلها) على ثقافة العورة، ويدرك الفرق بين عورة الولد والبنت، ويعرف حدود عورته؛ فإنه سيسعى لسترها، ويجتهد حتى لا يراها الناس، وهذا يفيده في أمرين:

أولاً: سيحب الولد ستر عورته، وهذا غالبًا ما يحميه من التحرش، والحسد، واللواط؛ لأنه يبدأ بكشف الأولاد لعورتهم أمام بعضهم، ولو تعود الولد على ستر عورته، وأصبح هذا أصلًا في سلوكه، سيكون من الصعب عليه خلع ملابسه أمام الأولاد، ولن يكون واحدًا من الأولاد الذين يرون كشف عوراتهم أمام بعضهم شيئًا عاديًّا.

ثانيًا: يكره من يكشف عورته، فيغض بصره عنه، وهذا يبعده عن مشاهدة ألعاب وبرامج كثيرة فيها كشف لعورة الفخذ، مثل لعبة المصارعة للرجال (وطبعًا مصارعة النساء)، وهذه المصارعة النسائية أصبح لها اليوم قنوات خاصة تعرضها طوال ٢٤ ساعة، وللأسف يشاهدها بعض الشباب ويظنون ذلك شيئًا عاديًّا...

كما يعرف الطفل خطورة التعري على الشاطئ وفي حمام المدرسة، فيجتهد في ستر عورته، ويتجنب أماكن العري، وهذا كله يحميه في طفولته ومراهقته

من مشاهدة ما يثير شهوته، وإن وقع يومًا في معصية مشاهدة الأفلام الإباحية، فسيراها وهو يدرك أنها حرام، فإنه يعاتب نفسه، ويسارع بالندم والتوبة.

يقول أحد الآباء:



إن تربية الولد منذ صغره على أن له عورة يجب ألا يكشفها أمام الناس مهم جدًّا؛ لأن هذه الفكرة تحمي الطفل من التحرش، وهذا ما حدث مع ابني، فقد ربيته من صغره على أن عورة الرجل من السرة إلى الركبة، وألا يسمح لأحد بأن يخلع له ملابسه، حتى في البيت لا يغير ملابسه أمام والديه أو إخوته، وكذلك يغض بصره عن عورة إخوته الذكور، ولما دخل ابني المدرسة، خفت عليه كثيرًا من الأولاد الأكبر سنًّا، وخاصة في حمامات المدرسة، فقلت لابني يومًا: ماذا تفعل لو قال لك أحد الأولاد الأكبر سنًّا: اخلع البنطلون؟

فقال: لا أعرف ماذا أفعل؟

فقلت له: أنت تعلم أن عورتك يجب ألا يراها أحد، ولكي تحمي نفسك من الولد الذي يطلب منك خلع البنطلون عليك أن تفعل ثلاثة أشياء: تصرخ بشدة، وتجري من أمامه، وتخبر مدير المدرسة ووالديك... وطلبت من ابني أن يذكر الأشياء الثلاثة التي سيفعلها حين يطلب منه أحدهم خلع البنطلون...

وبعد أسبوع فوجئت بمدير المدرسة يتصل بي قائلًا: ماذا قلت لابنك؟

فقلت له: لا أتذكر، ما الأمر؟

فقال المدير: لقد حدثت في المدرسة اليوم حادثة تحرش، فتحرش ولد من الصف السادس بطفل في السنة الأولى، وهذا الولد نجا من التحرش؛ لأنه صرخ وجرى وأخبر المدير، فلما سألناه: من علمك هذا؟ أخبرنا أن ابنك هو من علمه، وأن هذه كانت وصيتك لابنك، وهو بدوره نقلها لزميله، فنجا والحمد لله، فنحن نشكرك...

ويقول أب آخر:

قلت يومًا لابني الذي يبلغ من العمر ١٢ سنة: تعالَ لأحكي لك عن الألعاب الخاطئة التي كنا نلعبها في طفولتنا، كان من زملائنا (في شلة الأصدقاء) أولاد غير مؤدبين، وكان هؤلاء الأولاد يشجعوننا على مشاركتهم في الألعاب السيئة، وكنت أرفض مشاركتهم هذه الألعاب، وكانوا يسخرون مني ويقولون: ستظل طفلًا صغيرًا ولست برجل، وأحيانًا كانوا يهددوني بأن أترك صحبتهم وأبتعد عنهم إذا لم أشاركهم، فكنت أرفض مشاركتهم وأبتعد عنهم.

ومن الألعاب السيئة التي كانوا يلعبونها لعبة «بول من أطول»، فيقف جميع الأولاد في صف، ويخرج كل منهم عضوه الذكري، ويتبول الجميع ويحاول كل منهم دفع بوله لأكبر مسافة، والفائز هو صاحب أطول مسافة، وكان الأولاد يضحكون بطريقة هستيرية خلال هذه اللعبة، وكانوا يرون أن نظر بعضهم لعورة بعض شيء عادي.

ثم قلت لابني: لقد كنت يومها أشعر أن هذه الألعاب سيئة، ولا أحب

المشاركة فيها، ولما كبرت عرفت أنها حرام، وأن هناك شيئًا اسمه « العورة »، وهي للرجال من السرة إلى الركبة، هذه المنطقة لا يحل لأحد ان ينظر إليها أبدًا، بل إن أحدهم قد ينظر لعورتك فيحسدك ويصيبك الأمراض والضعف.

وبعد حوار جميل ابتسم ابني وقال: هناك ألعاب أخطر مما ذكرت يا أبي.

فقلت: ما هي؟

قال: الأولاد في حمام المدرسة يلعبون لعبة: العضو الذكري لمن أطول، فيخرج كل واحد عضوه الذكري ويقيسه ليعرفوا من هو صاحب أطول عضو ذكري، فيفرح هذا الولد ويتباهى أمام الآخرين، وأنا أرفض اللعب معهم.

فحضنت ابني وقبلت رأسه، ووعدته بمكافأة كبيرة؛ لأنه يستر عورته، ولأنه لم يستجب لإغراءات وتهديدات زملائه.

واجبات تربوية:

انطلاقا من قول النبي ﷺ: «غطِّ فخذك فإن الفخذ عورة» هناك مهام تربوية للوالدين:

- على الأب أن يستر عورته عن أولاده، ولا يغير ملابسه أمامهم، ولا يجلس أمامهم بالملابس الداخلية.
- وإن شاهد الأب والأم فخذ ابنهما يظهر أثناء تغيير ملابسه، أو عند جلوسه أمام إخوته، فعليهما أن يقولا له: «غطِّ فخذك فإن الفخذ عورة».
- وعندما يسير الولد مع أبيه في الشارع، ويشاهدان أحدهم يسير

بالشورت القصير، فعلى الأب أن يغرس في قلب ابنه كراهية إظهار العورة، فيقول له: انظر لهذا المسكين، إنه يظهر فخذه، والفخذ عورة، إنه يسير في الشارع ليجمع السيئات، وقد يحسده أحدهم فيصير له حادث، تعالِ يا ولدي نقول الدعاء حتى لا نكون مثله يومًا، ويردد مع ابنه: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك، وفضلني على كثير من خلقه تفضيلا[1]...

علّم ابنك منذ طفولته على أن للرجل عورة يجب سترها، وأن الفخذ عورة، حتى لا تفاجأ به خلال المراهقة وهو يجلس في البيت بالملابس الداخلية - وعورته مكشوفة - أمام أمه وأخواته البنات، أو يمشي في الشارع بصحبة أصدقائه وهم يرتدون الشورت القصير، وحينها قد تدخل مع ابنك في معركة ليستر فخذه، وربما تخرج من هذه المعركة مهزومًا ...

واعلم أن البيت الذي يجلس فيه الأب والأولاد بالملابس الداخلية، يقلّ فيه الحياء، وتتأذى بذلك مشاعر الفتيات والأمهات، وقد تتأثر البنات سلبا فترى أن كشف العورات والنظر إليها شيئًا عاديًّا...

(١) روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «من رأى مبتلًى فقالَ الحمدُ لله الَّذي عافاني ممَّا ابتلاكَ بِهِ وفضَّلني على كثيرٍ ممَّن خلقَ تفضيلًا لم يصبْهُ ذلِكَ البلاءُ»، وفي رواية قال ﷺ: «مَن رأى صاحبَ بلاءٍ، فقالَ: الحمدُ لله الَّذي عافاني مِمَّا ابتلاكَ بِهِ، وفضَّلَني على كثيرٍ مِمَّن خلقَ تفضيلًا، إلَّا عوفيَ من ذلِكَ البلاءِ كائنًا ما كانَ ما عاشَ»، فإن كنت تسير يومًا مع ابنك ورأيت مبتلى بمرض فقل هذا الدعاء ليعافيك الله أنت وابنك، وإن رأيت مبتلى بمعصية كالتدخين وكشف العورة وغيرها، فقل الدعاء مع ابنك ليعافيكم الله -تعالى- من هذا البلاء وتلك المعصية.

يا بُنيّ..
هل تعلم أن فخذ الرجل عورة؟

روى الترمذي أن النبي ﷺ مرّ بـ (جرهد الأسلمي رضي الله عنه) في المسجد، وقد انكشفت فخذه، فقال: «يا جرهد، غط فخذك؛ فإن الفخذ عورة»[١]، وفي رواية لأبي داود عن جرهد الأسلمي رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ عندنا وفخذي منكشفة فقال: « أما علمت أن الفخذ عورة؟ »[٢]...

تقول إحدى الأمهات:



في طفولتي ابتلاني الله -تعالى- بأب وإخوة ذكور لا يهتمون بستر العورات، فكانوا يجلسون في البيت خلال الصيف بالملابس الداخلية، فتنكشف فخذ الواحد منهم تمامًا، وتبدو أعضاؤه التناسلية واضحة ومجسمة (من تحت الملابس) بصورة فظيعة، وخاصة عندما ينام أحدهم وهو يشاهد مباراة كرة قدم أو غيرها، وكانت هذه المناظر تضايقني جدًّا، وتجعلني أكره الرجال، وأخاف من الزواج، وبعد

(١) قال الشيخ الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح الترمذي للألباني ح ر ٢٧٩٥، وصحيح الجامع للألباني ح ر ٧٩٠٦.

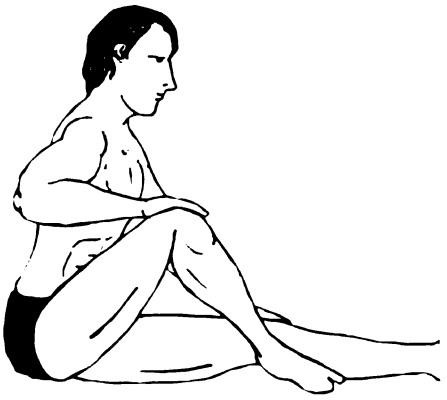
(٢) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٠١٣.

سنين من الصبر رزقني الله تعالى بزوج طيب، أخبرته بقصتي، فترفق بي، وصبر عليّ حتى زال خوفي واطمأن قلبي، ولو لم يفعل ذلك لكان مصيري الطلاق، وكراهية الزواج إلى الأبد...

ويقول أحد الآباء:

كنت أجلس في البيت بالملابس الداخلية وذلك في أيام الحرّ الشديد، وكذلك فعل ابني البالغ من العمر ١٥ سنة، وكنت أعتقد أن هذا الأمر عادي، إلى أن سمعت قول النبي ﷺ: «**غطِّ فخذك؛ فإن الفخذ عورة**»، فقررت أن أصحح خطئي وأستر عورتي أمام أولادي، فبدأت ألبس بنطلونًا أو شورتًا طويلاً إلى الركبة، وقلت لابني: لقد عرفت أنني كنت مخطئًا في إظهار فخذي أمامك وأمام إخوتك، ولقد علمت أن الفخذ عورة، ومن اليوم سأطبق السنة، فقال ابني: وأنا كنت أفعل مثلك، ومن اليوم سأستر فخذي أمام أمي وأخواتي مثلك...

ويقول أحد الشباب:



عندما كنت صغيرًا كنت أرى في قريتنا رجلًا ثريًّا جدًّا، وكان من عادة هذا الرجل أن يجلس أمام بيته وهو يلبس شورتًا ملونًا جميلًا، ويضع قدمًا فوق أخرى وهو يشرب الشاي، وكانت جلسته هذه تدل على سعادة وتحرر، فكنت كلما رأيته أتمنى أن أكون يومًا مثله، وأكون حرًّا في ملابسي، وأمشي في الشارع بالشورت، وذات يوم تكلم شيخ المسجد عن العورات، وقال: إن الفخذ عورة، ومن يكشفها يرتكب

معصية، وله سيئة بكل واحد نظر لفخذه المكشوفة، وربما يرى أحدهم فخذه فيحسده ويصيبه مرض ما...

وكانت كلمات الشيخ صادقة، فتأثرت بها، وبعد أن كنت أرى الرجل الغني يفعل شيئًا جميلًا بجلوسه في الشارع مرتديًا الشورت وفخذه مكشوفة، اكتشفت أنه يفعل مصيبة، وكلما رأيته بعد ذلك وفخذه مكشوفة؛ يسقط من نظري، وأتمنى ألا أكون مثله...

***

عورات أسرية يجب سترها

إذا كان النبي ﷺ قد قال للصحابي الجليل: «غطِّ فخذك؛ فإن الفخذ عورة»، فهذا يعني أننا يجب علينا أن نعلم أبناءنا بحدود عورة أجسادهم، وكيف يسترونها، ويبدأ تدريب الأبناء على ستر عوراتهم من داخل المنزل، والتساهل في كشف العورات داخل البيوت يربي طفلاً متساهلاً في كشف عورته، ومعتادًا على النظر لعورات الآخرين، ويتسبب في كثير من المشكلات الجنسية داخل البيت وخارجه...

☺ هل تقوم الأم بمساعدة المراهق في الاستحمام؟

تقول إحدى الأمهات:



أنا طبيبة نساء وتوليد، وأجتهد حتى لا يأخذني العمل بعيدًا عن أولادي، فبيتي وأولادي هو رقم واحد في حياتي، وأحاول جاهدة أن أجعل أولادي يعتمدون على أنفسهم، إلا أنهم إلى اليوم لا يجيدون الاستحمام بمفردهم، فلا بد أن أنظف للأولاد ظهورهم عندما يستحمون، حتى ابني الكبير البالغ من العمر ١٣ سنة أساعده في الاستحمام، فأجعله يعطيني ظهره - خلال

استحمامه - حتى أدلكه له دون أن أرى عورته، واليوم أسأل نفسي: حتى متى سأظل أساعد أولادي في الاستحمام؟

ونقول أم أخرى:

كل الأمهات تحرص جدًّا على نظافة أطفالها، وخاصة خلال الاستحمام، وتظل الأم تساعد أطفالها في الاستحمام حتى يكبروا فجأة، فتحتار الأم بين أمرين، فهي إما أن تترك الأولاد يستحمون بمفردهم وهي على يقين أنهم لن يستطيعوا تنظيف أنفسهم، أو تظل تساعدهم في الاستحمام رغم أنهم كبروا، ولكي أخرج من هذه الدائرة الصعبة، قررت أن أعلم ابني منذ صغره كيف ينظف جسده خلال الاستحمام، وذلك بداية من عمر ٣ سنوات، فأقول له: أمسك الليفة ودلك جسدك هنا وهنا، ويتبقى ظهره، فأضطر لمساعدته في تدليكه، وظللت شهورًا أفكر في طريقة أجعل بها طفلي يدلك ظهره بنفسه، لأنه يكبر يومًا بعد يوم وأنا أريد أن أنسحب من استحمامه؛ لأريح نفسي من الأعباء، ولكي أعلمه ستر عورته، وما إن بلغ ابني خمس سنوات حتى أكرمني الله -تعالى- بالفكرة التالية، لقد أحضرت ليفة طويلة، وربطها بحبل من جهة وحبل من الجهة الأخرى، وهكذا أصبح لليفة يدان طويلتان، ثم علمت ابني كيف يستخدمها في تدليك ظهره جيدًا دون مساعدة أحد، وبمزيد من التدريب والصبر بلغ ابني ٦ سنوات، وهو بفضل الله يستحم جيدًا بمفرده، وأنا أنصح جميع الأمهات أن تنسحب تدريجيًّا من حمام طفلها، وتخطط لليوم الذي تترك فيه ابنها يستحم بمفرده...

☺ متى تترك الأم طفلها يستحم بمفرده؟

اختلف العلماء في تحديد عورة الصغير أمام والديه وغيرهما، ولقد استرشد بعض العلماء بقول النبي ﷺ: «مُروا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنينَ، واضربوهُم عليها وهمْ أبناءُ عشرٍ، وفرِّقوا بينهُم في المضاجعِ»[1]، واعتمدوا على هذا الحديث في تحديد عورة الصغير أمام والديه، فقال علماء الحنابلة:

- الصَّغيرالذي لم يبلغ سبع سنين: لا عورة له أمام والديه، فيباح (لهما) النَّظر إلي جسمه كله، كما يباح (لوالديه) مس جميع بدنه (عند الاستحمام وغيره)، مع حث الطفل على ستر عورته داخل البيت وخارجه.
- والولد ابن سبع إلى عشر سنوات؛ عورته (أمام والديه) الفَرْجَان فقط، وأمام الأجانب عورته الفرجان وما حولهما من الأمام والخلف.
- والولد ابن عشر سنوات (فأكثر) عورته مثل الكبير تمامًا (من السرة إلى الركبة).
- أما البنت من سبع إلى عشر سنين، فعورتها أمام والديها ما بين السُّرة والرُّكبة إذا لم تكن معالم ثدييها قد ظهرت، ومن الأفضل لها الاستتار أمامهم كالبالغة احتياطًا، وأمام الأجانب (غير المحارم) فعورتها جميع بدنها إلا الوجه والرَّقبة والرَّأس (الشعر)، واليدين إلى المرفقين، والقدم وأعلى منه بقليل...
- والبنت ابنة عشر سنوات (فأكثر) عورتها مثل الكبيرة تمامًا أمام

(١) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٩٥.

محارمها (تلبس ملابس الخدمة المنزلية فيظهر وجهها وعنقها وشعرها واليدان والساعدان والقدمان وجزء من الساق) وأمام الأجانب غير المحارم (تظهر بكامل حجابها) [1]...

وكل هذه الأحكام في الطفولة فقط وقبل البلوغ، أما لو حدث بلوغ للولد أو البنت قبل عشر سنوات، فهو كالبالغين تمامًا، وحدود عورته مثل الكبار.

☺ هل تستحم البنت مع أبيها؟

يقول أحد الآباء:

أعمل إمامًا وخطيبًا في أحد المساجد، وعندما أدخل للاستحمام وخاصة يوم الجمعة، تقول لي زوجتي: خذ ابنتك (٣ سنوات) لتستحم معك، وتناولني البنت وهي عارية، وطبعًا تستمتع البنت بالاستحمام معي، وأنا أجتهد لتكون سعيدة خلال الاستحمام معي، فألعب معها بالماء، وأمزح معها خلال تدليك جسمها، وبدأت البنت تحب الاستحمام معي كثيرًا، وتنتظر اليوم الذي نستحم فيه معًا... فهل استحمام ابنتي معي فيه مشكلة؟ وهل ما أفعله فيه شيء من الحرام أو الخطأ التربوي؟



إن البنت عندما تتعود على الاستحمام مع أبيها، فهذا خطر كبير جدًّا...

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته للدُّكتور وهبة الزُّحيلي، ١/ ٥٩٥ (بتصرف).

لأنها سترى أن مشاهدة عورات الرجل شيء عادي، ومشاهدة الرجل لها عارية شيء طبيعي، في حين أن المفروض أن نربيها على ستر عورتها حتى عن أعين أقرب الناس إليها، وهذا من الحياء، وتتعلمه الفتاة بداية في سن مبكرة، فعندما نغير لها الحفاض فلا نغيره أمام إخوتها أو أبيها إن أمكن ذلك، لتتربى منذ صغرها على ثقافة العورة، فتكبر محبة للستر، وليس في هذا الأمر مبالغة، لأن القصص الواقعية توضح أن البنت إذا كبرت وهي معتادة على الاستحمام مع أبيها أو أخيها، فإن هذا يجعلها تكبر ولديها صعوبة في ستر عورتها، كما أن ما تراه من جسد أبيها وما تلمسه يظل ثابتا في ذاكرتها دون أن تنساه...

تقول إحدى الزوجات:

في طفولتي كان أبي يسمح لي بالاستحمام معه، وكنت أحيانًا أستمتع بذلك، لكن منظر الشعر الكثيف في صدره كان يخيفني، وكنت أصاب بقشعريرة عندما ألمسه، وظللت على هذا الحال أستحم مع أبي حتى بلغت الخامسة أو السادسة من عمري، وظللت من بعدها أخاف من صدر أي رجل، وأكره الشعر الكثيف في صدورهم، والعجيب أن هذه الخبرة المؤلمة ظلت عالقة في ذاكرتي أكثر من عشرين سنة، حتى أصبحت خائفة من الزواج، لأنني سأضطر للاقتراب من رجل في صدره شعر كثيف، كان هذا الأمر رغم بساطته يخيفني، ومرت الأيام، وتزوجت، وكان أجمل شيء في زوجي أن الشعر الموجود في صدره خفيف جدًّا، فحمدت الله على هذه النعمة، فلو كان شعر صدره كثيفًا ربما كنت سأخاف من لمسه، وأكره الاقتراب منه، ويكون مصيري الطلاق، كل هذا بسبب خطأ يعتقده البعض بسيطًا وهو استحمام البنت مع أبيها...

وتقول إحدى الفتيات:



في طفولتي كان أبي يأخذني للاستحمام معه، كان يظن أن هذا الأمر يسعدني، لكن منظر أعضائه التناسلية (الكبيرة) كان يخيفني، وهذا جعلني أخاف من كل الرجال، وإلى يومنا هذا أخاف من الزواج؛ ولذلك ذهبت لطبيبة نفسية لعلي أجد عندها علاجًا، ولا أدري هل سيفيد علاجها أم لا، وكان يمكنني تجنب هذا كله لو تركني أبي أستحم وحدي، أو حتى تركني أستحم مع أمي، سامحه الله، وسامح الله أمي التي سمحت له بذلك...

☺ هل تنظف الأم شعر العانة أمام ابنتها؟

يقول أحد الآباء:

ابنتي ثلاث سنوات، وكانت زوجتي تظن أن البنت صغيرة؛ لذلك لم تكن تستر عورتها من البنت، لدرجة أن زوجتي كانت تجلس أمام البنت وتقوم بتنظيف شعر العانة (بالوسائل النسائية المعروفة)، وكانت زوجتى تظن أن هذا الأمر عادي، فالبنت صغيرة وهي أنثى وستتعلم يومًا هي الأخرى كيف تنظف شعر العانة، وكنت أطلب من زوجتى ألا تفعل ذلك أمام البنت، فكانت تتهمني بالمبالغة في الخوف، وأنني لا أفهم شيئًا في تربية البنات، ولم تستجب زوجتي لكلامي إلا بعد أن حدثت كارثتان: الأولى أن البنت حاولت يومًا تقليد أمها، وقامت بتنظيف منطقة العانة لديها فأصابت نفسها بجروح

بسيطة، وطبعًا هذا الأمر أصاب أمها بالرعب الشديد، والكارثة الثانية أننا كنا يومًا في زيارة والدتي، وكان اجتماعًا أسريًّا جميلاً، وفوجئت بزوجتي تقول لجدتها أمام الجميع: ماما تنظف شعرها الموجود في منطقة العورة (العيب) لتكون جميلة ونظيفة، فهل تنظفين شعرك مثلها يا جدتي؟

☺ هل نترك الطفل يستحم مع أخيه؟

من الممتع أن يشترك الطفل مع أخيه في الاستحمام، وكذلك البنت مع أختها، وهذا يسعد الأطفال كثيرًا، وخاصة أنهم سيلبعون بالماء ويرش بعضهم بعضا، لكن احتكاك الأطفال جسديًّا خلال الاستحمام قد يكون خطرًا، وخاصة عندما يكبر الأولاد فوق سن السابعة...

تقول إحدى الأمهات:

من الأشياء التي يعشقها أطفالي في الصيف، أن يدخل الأولاد الذكور إلى البانيو معًا، ويستحمون في جو من المرح واللعب، وبمرور الأيام كبر الأولاد، وحاولت منعهم من الاستحمام معًا فلم أستطع، فجلست يومًا أفكر في طريقة يسترون بها عورتهم خلال الاستحمام، والحمد لله وجدت فكرة جميلة، لقد قررت أن أجعلهم يستحمون معًا وهم يلبسون ما يغطي عورتهم، مثلما ينزلون البحر تمامًا، وفعلت ذلك مع أولادي بداية من عمر ٥ سنوات، لكنني اليوم أفكر في طريقة أجعل بها كل واحد يستحم بمفرده، وأتمنى لو لم أسمح لهم من البداية بالاستحمام معًا...

وتقول أم أخرى:



ابني الكبير ١٤ سنة يساعدني بفضل الله في كثير من أعمال المنزل، ودربته على تحمل مسئولية إخوته الصغار، لدرجة أنني أجعله يساعد أخاه الصغير في الاستحمام، وظل لسنوات يفعل ذلك، حتى بلغ أخاه ٥ سنوات، وفوجئت بالصغير يقول لي: ماما، أخي الكبير يضايقني كثيرًا خلال الاستحمام، ويلاعبني في أماكن عيب، فانتبهت فجأة أنني كنت مخطئة عندما جعلت ابني الكبير يساعد أخاه في الاستحمام، وحمدت الله أنني لم أجعله يساعد أخته الصغيرة أبدًا...

☺ متى نمنع الأولاد من الاستحمام معًا؟

روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «مُروا أبناءَكُم بالصَّلاةِ لسَبعِ سنينَ، واضرِبوهم عليهَا لعَشرِ سِنينَ، وفرِّقوا بينَهُم في المضاجِعِ»[1]...

اختلف العلماء في السن التي نفرق فيه بين الأبناء في أماكن النوم، فقال بعضهم نفعل ذلك في سن السابعة؛ لأن «وفرقوا بينهم في المضاجع» معطوفة على قوله «مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين»، وفرقوا بينهم في المضاجع في

(١) قال الشيخ الألباني: حديث حسن صحيح، انظر: صحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٩٥.

السن نفسها...

وقال فريق آخر: نفرق بين الأولاد في أماكن النوم في سن العاشرة؛ لأن قوله: «وفرقوا بينهم في المضاجع» معطوفة على قوله: «واضربوهم عليها لعشر سنين»...

وإذا كان التفريق بين الأولاد والبنات، وبين الأولاد وبعضهم في أماكن النوم واجبًا في عمر السابعة أو العاشرة، حتى لا يحدث احتكاك جسدي ولا يكون هناك كشف للعورات بينهم، كل هذا وهم نائمون، فما بالكم وهم يستحمون في الحمام بدون ملابس؟ التفريق هنا يكون أولى وأوجب؛ لذلك فإن على الوالدين أن يفرقا بين الأولاد في الاستحمام بداية من سن السابعة؛ لأن الطفل في هذه السن يكون تركيزه قد زاد، وحبه للاستطلاع الجنسي قد كبر، ومن الأفضل ألا نترك الأولاد من البداية يستحمون مع بعضهم، فيتعودون من صغرهم أن كل واحد يستحم بمفرده، ولا نستجيب لطلب أحدهم أن يستحم مع أخيه، فيكبر الأولاد وهم هادئون، ونحن مطمئنون...

هل يعرف ابنك (ابنتك) حدود عورته التي يجب أن يسترها عن عيون إخوته، وعن والديه، وعن الناس جميعًا؟

وهل يعرف ابنك (ابنتك) حدود عورة الناس (رجال - نساء) التي يجب أن يغض بصره عنها؟



الأصل التاسع

«فمن اتَّقَى الشبهَاتِ فقد استَبرَأَ لدينِهِ وعِرضِهِ»

الأصل التاسع: «فمن اتَّقَى الشبهَاتِ فقد استَبرَأَ لدينِهِ وعِرضِهِ»

روى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ (وأشار إلى أذنيه) يقول: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعِي يرعَى حولَ الحِمَى، يوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فيهِ، ألا وإن لكلِّ ملكٍ حِمى، ألا وإن حِمى اللهِ في أرضِه مَحارِمُه»...

☺ هل يفهم الطفل الفرق بين الحلال والحرام والشبهات؟

راوي الحديث الذي بين أيدينا هو النعمان بن بشير رضي الله عنه، والده هو بشير بن سعد الأنصاري، وأمه هي عمرة بنت رواحة أخت عبدالله بن رواحة (أحد الأمراء الثلاثة في غزوة مؤتة والذي استشهد فيها رضي الله عنه).

والنعمان بن بشير هو أول مولود في الإسلام يولد للأنصار (كما كان عبدالله بن الزبير بن العوام أول مولود في المدينة يولد للمهاجرين)، ولد النعمان بن بشير في السنة الثانية للهجرة، وتحديدًا بعد ١٤ شهرًا من هجرة النبي ﷺ، ولما ولد النعمان حملته أمه وجاءت به إلى النبي ﷺ، فباركه النبي ﷺ، وأمسك النبي بتمرة فمضغها، ثم أخذ منها جزءًا ومسح فم الصبي من

الداخل، فكان أول ما دخل جوف النعمان بن بشير هو التمر المخلوط بريق النبي ﷺ، وبشر النبي ﷺ أم النعمان بأن ابنها سيعيش حميدًا، ويقتل شهيدًا، ويدخل الجنة[1].

وهكذا ندرك أن النعمان بن بشير كان صغير السن حين سمع هذا الحديث من النبي ﷺ، فقد توفي النبي ﷺ والنعمان حوالي تسع سنوات، ومع ذلك فقد حفظ النعمان الحديث ووعاه ونقل للأمة بفهم وإتقان، ويؤكد النعمان على ذلك فيقول: سمعت النبي ﷺ ويشير إلى أذنيه تأكيدًا على سماعه وفهمه وحفظه عن النبي ﷺ، وهذا كله يعني أن الصبي المميز (سبع سنوات) والأكبر قليلًا يفهم الكلام عن الحلال والحرام، ويدرك أن هناك شبهات يجب أن يتجنب الوقوع فيها، وفي هذا درس مهم للآباء والأمهات وهو: ضرورة الحوار مع الأطفال عن الحلال والحرام، وتحذيرهم من الشبهات، وشرحها لهم حتى لا يقعوا فيها...

ولوالدة النعمان بن بشير موقف جميل مع ترك الشبهات...

فلقد كان بشير بن سعد (والد النعمان) متزوجًا بأكثر من زوجة، وكان له أبناء منهن جميعًا، فأرادت عمرة بنت رواحة (والدة النعمان) أن يكون لابنها ميزة على إخوته غير الأشقاء، وظلت عامًا كاملًا تطلب من زوجها أن يعطي ابنها منحة خاصة به لا يعطيها لأحد غيره، بحجة أنه صغير وغير ذلك، وظل بشير بن سعد (والد النعمان) يماطلها عامًا كاملًا ولا يستجيب لها، إلى أن جاء في يوم من الأيام وقال لها: سأعطي ابنك هدية لا أعطي مثلها لأحد من

(١) البداية والنهاية ٨ / ٢٤٤.

إخوته، سأعطيه - رغم صغر سنه - عبدًا يكون ملكًا له...

وكان من الطبيعي أن تفرح والدة النعمان بهذه الهدية الخاصة؛ لأن ابنها سيفوز بمنحة خاصة لا يحصل عليها أحد من إخوته غير الأشقاء، وخاصة أنها ظلت عامًا كاملًا تلح على زوجها أن يعطي ابنها هذه العطية، لكنها لم تفرح، ولم تسرع في قبول هذه المنحة؛ لأنها شعرت أن فيها شبهة، وربما تكون حرامًا؛ لأن ابنها فقط هو من حصل على هذه المنحة من أبيه، ولم يأخذ إخوته غير الأشقاء مثله، فقالت لزوجها: لا أرضى (بهذه الهبة) حتى تُشهد عليها رسول الله ﷺ، وطلبت ذلك حتى تتأكد أن هذه المنحة حلال طيب، وحتى تحافظ على ابنها من الحرام...

ويحكي النعمان بن بشير ما حدث بعد ذلك فيقول:

أعطاني أبي عَطِيَّةً (عبدًا يكون ملكًا لي وحدي)، فقالتْ (أمي) عمرةُ بنتُ رواحَةَ: لا أَرْضى حتَّى تُشْهِدَ رسولَ الله ﷺ.

فأَخَذَ (أبي) بيدِي، وأنَا غلامٌ، فأَتَى بي النبيَّ ﷺ فقالَ: إنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي (هذا) منْ عَمْرَةَ بنتِ رَوَاحةَ عطيَّةً، فَأَمَرتْني أن أُشْهدكَ يا رسولَ الله.

فقال ﷺ: يا بشير، ألك ولد سوى هذا؟ قال (أبي): نعم.

فقالَ ﷺ: « أعطيتَ سائرَ ولدكَ مثلَ هذا؟ ».

قالَ (أبي): لا.

فقال ﷺ: « فلا تشهدني إذًا، فإني لا أشهد على جور (ظلم) »، ثم قال ﷺ: «فاتَّقوا اللهَ، واعدِلوا بينَ أولادِكُم ».

فَرَجَعَ (أبي) فردَّ عَطِيَّتَهُ (وأخذ العبد الذي وهبه لي)[١].

وهنا درس مهم لكل الآباء والأمهات، فقد حرصت والدة النعمان بن بشير ألا يأخذ ابنها شيئًا فيه شبهة واحتمال أن يكون حرامًا، حتى يتربى ابنها بالحلال الخالص، وكانت النتيجة أن ابنها الصغير أصبح صحابيًّا جليلًا، يسمع الحديث من النبي ﷺ فيحفظه وينقله للأمة، فيتدارسه العلماء، ويعمل به المؤمنون مئات السنين، إنها بركة الحلال والبعد عن الشبهات...

والعجيب أن ابنها الصغير - ذا التسع سنوات أو أقل - هو من سمع النبي ﷺ يحذر من الشبهات والوقوع فيها، فحفظه من النبي ﷺ ونقله للأمة كلها، ولِمَ لا وقد رأى أمه تعمل بما في هذا الحديث، وتبتعد عن كل شبهة تشك أنها حرام؟!

يقول أحد الآباء:

ربيت أطفالي منذ صغرهم على محبة الحلال، وكراهية الحرام، والابتعاد عن الشبهات، فقد كنا نمتلك محلًا صغيرًا للبقالة، ولم أكن أبيع فيه السجائر أبدًا، وظللت لأكثر من عشر سنوات لم أدخل المحل علبة سجائر واحدة، وكنت كثيرًا ما أتكلم مع أولادي عن الحلال والحرام، فهذا الشيء نبيعه لأنه حلال، وهذا لا نبيعه لأنه حرام، وهذا نشك فيه فنبتعد عنه، ويعلم الله أنني ظللت لسنوات لا أبيع في المحل الأطعمة التي تخدع الأطفال رغم أن فيها مكاسب كبيرة...

وفجأة مررنا بأزمة اقتصادية طاحنة؛ اضطررت على أثرها أن أغلق المحل، فجلست مع زوجتي وأولادي وقلت لهم: أنا سعيد جدًّا.

---

(١) صحيح البخاري ح ر ٢٥٨٧، وصحيح مسلم ح ر ١٦٢٣.

فقالوا: لماذا؟ لقد خسرنا المحل؟

فقلت لهم: أنا سعيد جدًّا لأننا على مدار عشر سنوات قضيناها في المحل، لم نذل أنفسنا لأحد حتى نبيع له، ولم نكذب على أحد، ولم نغش، ولم نأكل جنيهًا حرامًا.



وبدأت أبحث عن عمل آخر، ولاحظت أن أطفالي يحملون الهم ويخافون من المستقبل، رغم أن أعمارهم بين ٧ و ١٠ سنوات، فكنت عندما يأتيني عرض لوظيفة ما أجلس معهم وأستشيرهم، وأقول لهم: أول شرط في العمل أن يكون حلالاً، وكانت تأتيني وظائف للعمل في فنادق تبيع الخمور وبراتب كبير، فأجمع أولادي وأخبرهم أن الراتب كبير لكنها حرام، وأسألهم: هل تأكلون حرامًا؟ فيقولون في صوت واحد: لا، فقلت لهم: إذًا سيأتي الفرج والبركة بإذن الله، فقط عليكم أن تزيدوا من الدعاء والأمل في كرم الله تعالى...

وذات يوم حدث موقف أسعدني كثيرًا، فقد اتصل بي أحد الأصدقاء يخبرني أنه قد وجد لي عملاً، فأخبرت زوجتي وأولادي، وطلبت منهم الدعاء، وذهبت لمقابلة صديقي، والحمد لله وجدت بدلاً من الوظيفة اثنتين، فرجعت سعيدًا، وقبيل أن أصل إلى البيت رآني ابني ذو العشر سنوات، فجرى

نحوي وقال وهو يلهث: هل وجدت عملاً؟

فقلت: نعم.

فقال فورًا وبلا تردد: هل العمل حلال يا بابا؟

فلم أتمالك نفسي ودمعت عيناي من الفرح، وقلت له: وهل تعرف أن أباك يأكل حرامًا أو يطعمكم حرامًا، والله لقد شعرت أن كلمات ابني وسؤاله عن الحلال تساوي كنوز الدنيا كلها؛ وشعرت حينها أنني نجحت في تربيته على محبة الحلال، والبحث عنه...

* * *

كيف تكلم أطفالك عن الشبهات؟

في البداية ارسم لأبنائك الشكل التالي:

حلال	شبهات	حرام

ثم اشرح لهم ما هو الحلال والحرام والشبهات، وذلك كما يلي:

هناك أطعمة حلال يحضرها بابا للبيت، فإن أكلت منها فهذا حلال خالص.

وهناك أطعمة حرام كلحم الخنزير، أو الأطعمة التي يسرقها الناس من المحلات والأسواق وغيرها، والأكل منها حرام واضح تمامًا.

وهناك نوع ثالث من الأطعمة تشك في أمره، وتعتقد أنه ربما يكون حرامًا، ومثال ذلك أن يعطيك زميلك طعامًا وأنت تظن أنه سرقه، وإن واجهت زميلك وسألته فإنك تخسر صداقته، فتضطر لأخذه منه لكنك لا تأكله وترميه أو تعطيه لفقير...

وهناك مثال آخر أكثر وضوحًا، أنت يا بني تملك قلمًا من مال حلال، فالكتابة به حلال، وأن تسرق من زميلك قلمه فهذا حرام، والحالة الثالثة أن يضيع قلمك، وتجد قلمًا يشبهه، لكنك تشك أنه ليس قلمك، فتخاف من الحرام وتتركه حتى يكون كل ما تكتبه حلالاً...

ولقد كان رسول الله ﷺ أشد الناس حرصًا على ترك الشبهات، روى البخاري ومسلم عن أنس أن النبي ﷺ وجد تمرة في الطريق فقال: «لولا أني أخاف أن تكون من (تمر) الصدقة؛ لأكلتها»، وفي رواية للبخاري يقول ﷺ: «إني لأَنْقَلِبُ إلى أهلي، فأَجِدُ التمرةَ ساقطةً على فراشي، فأَرْفَعُها لآكُلُهَا، ثم أَخْشَى أن تكونَ صدقةً فألْقِيها»، فالنبي ﷺ يخشى أن تكون هذه التمرة ليست ملكًا لأهل البيت، وأنها من تمر الصدقة الذي يوزع في بيت النبي ﷺ، فيتركه النبي ﷺ رغم أنه جائع؛ لأن الصدقة محرمة على النبي وأهله؛ ولذلك لما أخذ الحسن بن علي ﷺ تمرة من تمر الصدقة، ووضعها في فمه، قال له النبي ﷺ: «كِخٍ كِخٍ. ارْمِ بها، إنا لا تحل لنا الصدقة؟»[1]...

* * *

(١) صحيح مسلم ح ر ١٠٦٩.

كيف تشرح
لأطفالك الشبهات عن طريق الألعاب؟

• هناك ألعاب حلال مثل: كرة القدم، تنس الطاولة، (اطلب من أطفالك أن يذكروا أمثلة للألعاب الحلال).



• وهناك ألعاب حرام مثل: ألعاب القمار، والألعاب التي فيها إيذاء للحيوان (مثل ربط دجاجة والتصويب عليها بالحجارة وإيذائها)، وألعاب الإنترنت التي فيها عري وقبلات... (شجع أطفالك على التفكير في ما هي الألعاب الحرام)، والألعاب التي فيها نرد.

• ثم تأتي الألعاب التي فيها شبهة، فتشك أن فيها حرامًا ولو قليلاً، مثل لعبة البلي (كرات الزجاج الملونة)، عندما تلعب بالبلي مع أخيك للتسلية يكون حلالًا جميلًا، لكن عندما تلعب به مع صديقك، ويكون فيه مكسب وخسارة، وعندما تكسب من صديقك عددًا من البلي، وتبيعه بمبلغ من المال، يكون هذا المال فيه شبهة فلا تدري هل هو حلال أم حرام، فيكون من الأفضل تركه، حتى لا يدخل الحرام على مالك...

وهنا درس مهم: طالما أنت في الألعاب الحلال، فليست هناك مشكلة في دينك ولا في أخلاقك، وحين تترك الألعاب التي فيها شبهة؛ يظل دينك سليمًا وعرضك بريئًا، أما حين تمارس الألعاب التي فيها شبهة حرام، فإنك تتعود عليها، ويمكن في أي لحظة أن تنزلق نحو لعبة حرام، فكلما أكثرت من الوقوع في الشبهات فقد اقتربت من الحرام، ويوشك أن تقع فيه...

يقول أحد الآباء:

كان ابني في طفولته يلعب البلي (كرات الزجاج الملونة) مع الأطفال في الشارع، فيكسب منهم ويخسر، وذات يوم فوجئت بأن معه مبلغًا من المال، فسألته عن مصدره؟ فقال: لقد كسبت عددًا كبيرًا من البلي، وبعته لأصدقائي، وهذا هو الثمن.

فقلت له: أنا أشك أن هذا المال ليس حلالاً؛ لذلك فهو شبهة، وربما يكون حرامًا، فلا تدخله يا بني على نقودنا في البيت، ولا تجعله يبيت في بيتنا الليلة، ولا تشتري به طعامًا فيتعب جسمك.

والحمد لله استجاب ابني وذهب وأعاد المال لأصحابه، وكافأته على ذلك مكافاة كبيرة، ومن يومها لم يعد يبيع البلي لأحد، ولا يكسب منه مالاً؛ لأن في هذا المال شبهة وربما يكون حرامًا...

ومرت السنوات، وذهب ابني في شبابه للعمل في أحد الفنادق، فاشترطت عليه أن يكون العمل حلالاً، ولا يقبل وظيفة فيها حرام، فأخبرني أن عمله في الحسابات ولا علاقة له بالمحرمات...

وعمل ابني في هذه الوظيفة لعدة أشهر وكان الراتب كبيرًا، لكنني فوجئت به ذات يوم يترك العمل، فسألته عن السبب؟ فقال: طردوني.

فقلت: كيف؟

قال: كنت جالسًا في المكتب، فطلب مني مدير الفندق أن أذهب وأحسب عدد الصناديق الموجودة في إحدى السيارات لتدخل في الحسابات، ولما ذهبت هناك اكتشفت أنها صناديق خمر، فرجعت سريعًا وقلت للمدير: أنا لا أتعامل مع الخمر.

فقال المدير: أنت لن تحملها ولن تقدمها لأحد، أنت فقط ستحسب عددها.

فقلت: ولا حتى هذا سأفعله، إنني أريد الحلال فقط... وكانت النتيجة أنه طردني من العمل.



يكمل الأب الحكاية ويقول: لما عرفت سبب طرد ابني من العمل؛ قمت إليه وحضنته، وبكيت فرحًا؛ لأن الله وفقني ورأيت ثمرة تربية ابني على ترك الشبهات، وتذكرت عندما كان صغيرًا يلعب البلي (كرات الزجاج الملونة) ويكسبه من الأطفال ويبيعه مقابل المال، وكيف

كنت أنهاه عن ذلك، وأنهاه عن هذا المال (الحرام) وأخيفه منه، وحمدت الله - تعالى- أن هذه كانت النتيجة في كبره، وقلت لابني: أنا فخور بك، وأحمد الله -تعالى- الذي رزقني ابنًا مثلك، وأنا على يقين أن الله -تعالى- سيبدلك وظيفة خيرًا منها؛ لأن من ترك شيئًا في الحرام، عوضه الله -تعالى- خيرًا منه في الحلال.

* * *

شبهات جنسية
لا يعلمها كثيرٌ من الناس

عندما نقرأ قول النبي ﷺ: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»، يجب أن نتأمل قوله ﷺ: «لا يعلمهن كثير من الناس»... وهذا يعني أن هناك شبهات كثيرة لا يعلمهن كثير من الناس، وتكون النتيجة أنهم يقعون فيها ويرتكبون الحرام، وبما أن سبب وقوع الناس في هذه الشبهات هو عدم معرفتهم أنها أقرب للحرام؛ فإن من الواجب على الآباء والمربين أن يعرّفوا أبناءهم بهذه الشبهات، حتى يحذروا منها ويجتنبوها، فيكون دينهم وعرضهم نقيًّا بريئًا...

يقول أحد الآباء:

ذات يوم رجع ابني المراهق من مدرسته باكيًا، فسألته عن السبب؟

فقال: ضربني المدير اليوم ظلمًا، فقد كنت أسير مع صديقي، فقام بمعاكسة فتاة، وأنا لم أشترك معه، فاشتكت البنت للمدير، فسألها عن أسماء من آذوها، فذكرت اسم زميلي وذكرت اسمي معه، وأنا والله لم أعاكسها، وطبعًا لم يصدقني المدير، وعاقبني مع زميلي.

فقلت له: يا بني، أنت مظلوم، والمدير معذور.

قال: كيف؟

فقلت: أنت تمشي مع ولد سيئ يعاكس البنات، فسيعتقد الجميع أنك مثله، وإن لم تكن شريكًا له في جريمته، إما أن تكون شريكًا له، لكن من يراك تمشي معه سيظن أنك راضٍ عما يفعله، وشريك له في أفعاله.

فسألني ابني: وكيف أبرئ نفسي في مثل هذا الموقف؟

قلت له: عندما تمشي مع زميلك، وتراه يخطئ ويعاكس فتاة، فأعلن اعتراضك عليه بصوت عالٍ تسمعه الفتاة، وابتعد عنه فورًا، وهكذا يعرف الجميع أنك غير راضٍ عما يفعله.

* * *

علّم ابنك كيف يتعامل مع الشبهات الجنسية

يمكنك أن تشرح لأبنائك موضوع الشبهات الجنسية التي يمكن أن يتعرضوا لها، ويبدأ هذا الأمر بشرح حديث النبي ﷺ: « الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات»، وبعد ذلك تشرح لهم الشبهات بالتفصيل كما يلي:

(١) شبهة ركوب الفتاة للمصعد مع رجل بمفردها

قل لأبنائك وبناتك: في حياة البنات هناك حلال واضح، وحرام واضح، وأمور مشتبهات تشك أن فيها حرامًا، وترى أنها قد تقودها إلى الحرام، والمثال التالي يوضح ذلك...

- هناك حلال واضح وهو جلوس البنت مع زميلاتها بمفردهن.
- وهناك حرام واضح: وهو جلوس الفتاة مع ولد غريب في مكان خالٍ من الناس ولا يوجد غيرهما.
- وهناك أمور فيها شبهة، تشك الفتاة أن فيها حرامًا، أو سينتج عنها حرام، فتبتعد عنها، وخير مثال على ذلك: ركوب البنت المصعد مع رجل غريب بمفردهما، فهذا فيه شبهة كبيرة؛ لأن الرجل قد يتحرش بها؛ لأنه لا

يوجد من يراه أو يدافع عن البنت، حتى لو كانت هناك كاميرات مراقبة في المصعد، وهناك شبهة ثانية في هذا الأمر، فالناس حينما يرون الفتاة تخرج من المصعد مع هذا الرجل، فقد يظنون أنهما كانا يفعلان حرامًا خلال تواجدهما بمفردهما في المصعد؛ لذلك يجب على البنت أن تبتعد عن هذه الشبهة، ولا تركب المصعد مع رجل بمفردها، فإن وقفت البنت لتركب المصعد ووجدت فيه رجلاً بمفرده، فلا تركب وتنتظر حتى يأتي مصعد آخر، أو حتى يعود المصعد نفسه فارغًا أو به مجموعة من الناس، أما إن كانت الفتاة تركب مع مجموعة من الناس، ونزلوا جميعًا ولم يبقَ إلا رجل، فلا تكمل البنت الصعود معه بمفردها، بل تنزل وتنتظر مصعدًا آخر، وهكذا تكون قد ابتعدت عن الشبهة، وحافظت على دينها وعرضها بريئًا..

(٢) شبهة جلوس الطفل على رجل المراهق

حذر طفلك الصغير من الجلوس على رجل المراهق والكبير ما عدا بابا وماما وجده وجدته (ومن تحدده له)، وعلّمه أن هذا عيب، وفي الوقت نفسه تكلم مع ابنك المراهق (وحتى قبل البلوغ) عن خطورة جلوس الصغار على رجله، وكيف أن في هذا شبهة...

- فهناك حلال واضح: مثل الجلوس على السرير أو على الأرض.
- وهناك حرام واضح: كأن تجلس البنت على رجل شاب أو مراهق.
- وهناك شبهة قد يأتي من ورائها شك وريبة، وذلك حينما يجلس الطفل على حجر المراهق، فقد يلعب المراهق مع طفل صغير، وخلال اللعب يجلسه على رجله، فيظن أحدهم أن المراهق يجلسه على عضوه الذكري، ويحتك به

بطريقة سيئة، ويتحرش به، بل إن الطفل نفسه الجالس فوق المراهق قد يفهم الأمر خطأ، ويظن أن المراهق يتحرش به؛ فيذهب لوالده شاكيًا، وتحدث كارثة، والمراهق العاقل هو من يبتعد عن هذه الشبهة، ولا يجلس طفلًا (أو طفلة) على رجله في لعب أو غيره...

(٣) شبهة رد البنت على الرقم الغريب في التليفون



التعامل مع التليفون ينقسم إلى ثلاث حالات هي: حلال، وحرام، وشبهة..

فعندما تكلم البنت زميلتها في التليفون؛ فهذا حلال، ما دام لا يضيع صلاة، ولا يتكلمان في حرام.

وإذا تكلمت البنت مع ولد على التليفون بكلمات حب وعشق؛ فهذا حرام؛ لذلك ترى البنت تختبئ وهي تفعله.

وهناك حالة ثالثة فيها شبهة، والعجيب أنها قد تبدأ بحلال ثم تجر إلى حرام، وهذه الشبهة هي رد البنت على الرقم الغريب الذي يتصل على تليفونها، وبعض البنات ترى أن الرد على أي رقم غريب شيء عادي، لكن هذا الأمر قد يؤدي إلى معاكسات ومضايقات، فمن ابتعدت عن هذه الشبهة فقد حافظت على دينها بريئًا، وعرضها طاهرًا، إلا أن تكون طبيعة عملها تستلزم منها أن يرد على جميع الأرقام التي يعرفها والتي لا يعرفها، كأن تكون طبيبة تستغيث بها النساء...

وعندما ترى الفتاة رقمًا غريبًا يتصل على تليفونها، تقرر أن ترد لترى من المتصل، فتتفاجأ بشاب يتغزل بها ويعاكسها، وهنا تغلق البنت الشريفة الهاتف في وجهه، ويتكرر اتصاله، وتكون البنت في حيرة من أمرها، هل تخبر أباها بما حدث مع أنه قد يشك فيها؟ أم تكتم الخبر وتظل تقاوم وحدها؟ إنها حين تختار الحل الثاني فلا تضمن أن تضعف يومًا أمام إلحاح هذا الشاب، وتفتح قلبها لهذا المتصل (الذئب)...

ولا يسلم الأولاد (الذكور) من شبهة الرد على الرقم الغريب، فقد رأيت بنفسي ولدًا مؤدبًا يدرس في مدرسة ثانوية مشتركة، وكان هذا الولد يكره الحرام بطريقة عجيبة، ويرفض إقامة علاقة حب مع أي فتاة، مع أن معظم الأولاد والبنات في فصله لهم علاقات غرامية متعددة، وذات يوم أُعجبت به إحدى زميلاته، واتصلت به - من رقم غريب - وأخبرته أنها معجبة به، فشتمها وأغلق التليفون في وجهها، وعلمت بقية البنات في الفصل بما حدث، فشعرت البنت المتصلة بالإهانة، فتراهنت مع زميلاتها على الإيقاع به، وحاولت كثيرًا لكنها فشلت، ولما لم يستجب لها، قررت أن تنتقم، فافتعلت مشكلة وادعت كذبًا أن هذا الشاب المسكين يعاكسها، واشتكته إلى المدير، وللأسف صدقها وعاقب الولد ظلمًا، وكان الولد بإمكانه أن يستريح من هذا كله من البداية؛ لو أنه من النوع الذي لا يرد على الرقم الغريب...

والسؤال الآن: كيف يتعامل أبناؤنا مع مشكلة الرقم الغريب؟

يقول أحد الآباء:

لقد تكلمت كثيرًا مع زوجتي وأبنائي عن كيفية التعامل مع الرقم

الغريب، ووضعت قانونًا في بيتي يقول: لا نرد أبدًا على رقم غريب لا نعرفه، وإن كان صاحب الرقم الغريب يعرفنا ويريد شيئًا مهمًّا، فليرسل رسالة يخبرنا فيها من هو...

والحمد لله طبقنا هذه الفكرة في بيتنا لسنوات، وأصبح جميع أقاربنا يعرفون أننا لا نرد على الرقم الغريب، فقبلوا ذلك بعد مناوشات وحوارات واعتراضات.

وعندما يتصل أحد الأرقام كثيرًا على تليفون زوجتي أو ابنتي، ونشك أنه لإحدى الصديقات أو القريبات، أو أنه أمر طارئ، فإنني آخذ التليفون وأرد على الرقم الغريب، فإن لم أكن موجودًا يرد أحد الأولاد الذكور، فإن كانت سيدة تريد زوجتي أو ابنتي أوصلها بها، وإن كان رجلاً فاجرًا - يعاكس - فإنه سيتوقف فورًا حين يسمع صوت رجل؛ لأنه سيظن أنه أخطأ في الرقم، أو يعرف أن هناك رجلًا في هذا البيت يحمي بناته وأخواته...

ويقول أب آخر:

عندما أشتري لابني (ابنتي) تليفونًا جديدًا، فإنني قبل أن أعطيه له، أقول: قبل أن تستخدم هذا التليفون أوصيك بأمرين؛ أولاً: لا تستخدمه إلا في خير، فيبارك الله -تعالى- لك فيه ويأتي يوم القيامة شاهدًا لك، قائلًا: إنك ما فعلت به إلا خيرًا، والوصية الثانية: لا ترد على الرقم الغريب، وعندما تفعل ذلك ربما يسخر منك زملاؤك، ويتهمونك أنك غريب أو ضعيف، هنا قل لهم: أنا لست غريبًا، أنا متميز لأنني أحترم نفسي... ثم أحضن ابني قبل أن أعطيه التليفون، وأقبل رأسه قائلًا: هذه قبلة التليفون الجديد، ومعها حضن مجانًا،

وأعطيه التليفون... وبعد ذلك أسأله كل فترة عن أخبار التليفون، وهل ما زال يعمل بوصيتي أم لا؟ وما المواقف التي تعرض لها سلبًا وإيجابًا بسبب وصيتي...

ويقول أب ثالث:

سمعت قصصًا كثيرة عن انحراف المراهقين (أولادًا وبنات) بسبب التليفون أو الأجهزة الإلكترونية الحديثة؛ لذلك وضعت في بيتي قانونًا لاستخدام التليفون والأجهزة الإلكترونية منذ كان أولادي صغارًا...

فلا أشتري تليفونًا لأحد من أولادي قبل سن معينة اتفقت معهم عليه، وبالنسبة للشحن أجعل ابني يساهم بشيء ولو قليلاً من مصروفه، ليحافظ على الرصيد، والأهم من هذا كله أنني أمنع استخدام الأجهزة الإلكترونية في بيتي بعد الساعة السابعة مساء في الشتاء، والتاسعة مساء في الصيف، ولا ينام التليفون في حضن أحد، فجميع الأجهزة الإلكترونية تكون في الصالة، ومتاحة للجميع بدون رقم سري، ومن حق أي واحد أن يتفحص تليفون غيره كما يشاء، بما في ذلك تليفون بابا وماما، وهذا يعطي أمانًا للجميع، ويجعل التليفونات نظيفة دائمًا...

ملاحظة مهمة:

بعض البنات تكون جريئة زيادة عن اللازم، فتظن أنها يجب أن ترد على أي رقم غريب يتصل بها، حتى وإن كان المتصل شابًّا يغازلها، فإنها تشتمه وتلقنه درسًا قاسيًا، ونحن نقول لهذه الفتاة الطيبة: هل تعلمين أن بعض المتصلين لديهم مرض غريب جدًّا وهو الاستمتاع بصوتك وأنت تشتمينه،

فمجرد ردك وسماع شتائمك يحدث له حالة عجيبة من التلذذ؛ لذلك تجدينه لا يتوقف عن الاتصال بك رغم أنك تشتمينه، ومن هنا فإن أكثر البنات راحة هي من لا ترد على الرقم الغريب، وسيحترم أصدقاؤها ذلك عندما تقرر هي أن تفعل...

ملاحظة ثانية:

الرد على الرقم الغريب يشبهه تمامًا إضافة شخص غريب على حسابك على الفيسبوك أو غيره، وكذلك فتح رسالة (إلكترونية) من شخص مجهول، فقد يكون فيها فيروس أو شيء فاضح؛ لذلك يجب أن تعلم أبناءك طرق الأمان في التعامل مع الإنترنت، وربما ترسله لمتخصص يعطيه «دورة» في الأمان وكيفية الحفاظ على الخصوصية خلال التعامل مع الكومبيوتر والإنترنت...

(٤) شبهة خلع الملابس في المحلات وغيرها

مع انتشار كاميرات المراقبة في كل مكان، أصبح من الصعب الاحتفاظ بالخصوصية في غرف تغيير الملابس (الخاصة بالسيدات) في النوادي، وصالات الجيم، ومحلات الملابس، وغيرها...

والصحف اليومية تحمل قصصًا مفزعة لبنات تم تصويرهن في غرف قياس الملابس بالمحلات، وبعد ذلك تم تهديدهن بهذه الصور، وقد يكون ذلك سببًا في وقوع الفتاة في الفاحشة، وبناتنا بحاجة لمعرفة مثل هذه القصص لأخذ الحذر والحيطة.

وهنا يقول صاحب أحد محلات الملابس النسائية:

جميع المحلات فيها كاميرات تصوير لمراقبة الزبائن، وتوضع الكاميرات كذلك في غرف القياس، حتى لا تسرق السيدات الملابس وتلبسها تحت ملابسها التي دخلت بها... هذا في المحلات المحترمة، فما بالك بأصحاب القلوب المريضة؟

تقول إحدى الأمهات:

كانت ابنتي المراهقة - متهورة - نوعًا ما، فكنت كثيرًا ما أكلمها عن عدم خلع ملابسها في غرف قياس الملابس في المحلات؛ لأن هناك كاميرات مراقبة تصورها، وأنواع من الزجاج تظهر في غرفة القياس كأنها مرآة، بينما تظهر من الناحية الأخرى كزجاج عادي يظهر كل شيء من خلاله (مثل هذا الذي يستخدم في غرف التحقيقات في الأفلام الأجنبية).

وكانت ابنتي تتهمني بأنني خائفة زيادة عن اللازم، وحاولت كثيرًا أن إقناعها، لكنني فشلت، وذات يوم ألهمني الله تعالى بفكرة جميلة، جلست يومًا مع ابنتي، وفتحت الكمبيوتر، ودخلت على الإنترنت، وبدأت أبحث عن «مراقبة السيدات في غرف قياس الملابس»، فوجدت حوادث ومقاطع فيديو وغيرها توضح كيفية التجسس على السيدات في غرف خلع الملابس، كل هذا وابنتي تشاهد معي في ذهول، وبعد نصف ساعة فوجئت بها تقول: ماما، أنا لم أصدقك إلا اليوم، كنت أظنك تخافين علي زيادة عن اللازم، لكنني اليوم فقط اكتشفت كم أنت محقة، ومن اليوم لن أخلع ملابسي في أي مكان خارج البيت.

وتقول إحدى الفتيات:

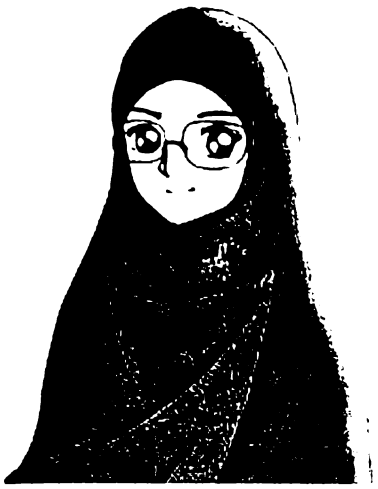
ربتني أمي منذ طفولتي على قاعدة تقول: لا تخلعي ملابسك أبدًا في المحلات، ففي غرف قياس الملابس هناك عيون تراقبك بطريقة ما (من خلال كاميرات صغيرة أو ثقب في الجدار أو غيرها).

فكنت والحمد لله ألتزم بوصية أمي، وكانت المحلات نوعين؛ نوع يعطي فرصة أسبوعًا أو أسبوعين لاستبدال الملابس، فكنت أعود إلى البيت وأتأكد من قياس الملابس وأغيرها دون مشكلة، والنوع الآخر من المحلات كان يشترط أن يتم قياس الملابس عنده، ولا يسمح باستبدالها بسهولة، فشكوت ذلك لأمي، فقالت: أخبري صاحب المحل أنك تشترين الملابس لأختك، وأنها في البيت، فإن وافق وسمح لك بأخذ الملابس إلى البيت لقياسها؛ فهذا خير، وإن رفض يكون قد حرم نفسه من الربح، وتكونين أنت قد حفظت عرضك، فبعض أصحاب المحلات يصمم على أن تقيسي ملابسك عنده ليتلصص عليك ويشاهدك وأنت عريانة، وقد يصورك ويبتزك بهذه الصور، ثم قالت أمي: أعلم يا ابنتي أن هذا الأمر سيتعبك ذهابًا وإيابًا، لكن العفاف والطهارة يستحقان هذا المجهود، وكله في ميزان حسناتك... وكانت فكرة أمي ذكية وجميلة، وطبقتها والحمد لله لسنوات، وبإذن الله سأعلمها لبناتي...

يا ابنتي.. هل تعرفين معنى أن يكشف الله ستره عنك؟

أيها المربي الكريم...

إن من أصول التربية - الجنسية - للفتاة؛ أن تعلّمها متى وأين وكيف تخلع ملابسها خارج بيتها...



فمن واجبك أن تعلم ابنتك ألا تخلع ملابسها في غير بيتها إلا لضرورة قصوى، كالكشف عند طبيب، وعند إجراء الأشعة وغيرها، وألا تخلع ثيابها إلا في مكان تتأكد فيه من ستر عورتها، وهناك حديث مهم جدًّا يجب أن تتعلمه كل فتاة، يقول النبي ﷺ: «ما من امرأةٍ تنزِعُ ثيابَها في غيرِ بيتِها؛ إلا هتكَتْ ما بينَها وبينَ اللهِ مِن سِترٍ»[(١)]...

ولهذا الحديث قصة جميلة، فقد دخلَ نِسوةٌ من أَهْلِ الشَّامِ علَى السيدة عائشةَ رضيَ الله عنها، فقالَت: مَن أنتنَّ؟ قلنَ: مِن أَهْلِ الشَّامِ، قالَت: لعلَّكنَّ منَ (بلدة) الكورةِ الَّتي تدخلُ نساؤُها الحمَّاماتِ (العامة التي تستحم فيها النساء)؟ قُلنَ: نعَم، فقالَت عائشة رضي الله عنها: أما إنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما منَ امرأةٍ تخلَعُ ثيابَها في غيرِ بيتِها؛ إلَّا هتكَت الستر بينَها وبينَ ربها»[(٢)]... فقد أنكرت السيدة عائشة على المرأة أن تخلع ثيابها في الحمامات العامة (الخاصة بالنساء) من أجل أن تستحم؛ لأنها لا تضمن إن كان هناك من يطلع عليها أم لا، ولا تأمن على نفسها من عيون الآخرين...

وهنا سؤال مهم: ما معنى قوله ﷺ: «هتكت الستر بينها وبين ربها»؟

إننا جميعًا نعيش في ستر الله تعالى، ولولا هذا الستر كانت الفضيحة مصيرنا

---

(١) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٠١٠، والسلسلة الصحيحة للألباني ح ر ٣٤٤٢.

(٢) الحديث صححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ح ر ٤٤٠١.

جميعا، فلا أحد منا يستطيع أن يعيش ساعة دون ستر الله تعالى؛ ولذلك كان النبي ﷺ يوميًّا يسأل الله -تعالى- أن يستر عوراته: روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال:

لم يكنْ رسولُ الله ﷺ يدَعُ (لم يكن يترك) هؤلاءِ الدَّعَواتِ حين يُصبحُ وحين يُمسي (يعني كان النبي ﷺ يداوم عليها ويقولها حين يصبح وحين يمسي)؛ (يقول): «اللهمَّ إني أسألُك العافيةَ في الدنيا والآخرةِ، اللهم إني أسألك العفوَ والعافيةَ في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهمَّ استُرْ عوراتي، وآمِنْ رَوْعاتي، اللهم احفظْني مِنْ بينِ يديَّ ومِنْ خلفي، وعَنْ يميني وعَنْ شِمالي، ومِنْ فوقي، وأعوذُ بعظمتِك أنْ أغتالَ مِنْ تحتي» قال ابن عمر: يَعني الخَسْفَ (فلا تخسف بي الأرض) [(١)].

فإذا كان النبي ﷺ مع طهارة ظاهره وباطنه يسأل الله تعالى - يوميًّا - أن يستر عوراته، فما بالكم بنا نحن المساكين المذنبين...؟

ومع احتياج المسلم لمزيد من ستر الله -تعالى- عليه في الدنيا والآخرة، إلا أنه - بجهله - يفعل أشياء تكون سببًا في كشف ستر الله عنه، وحين يكشف الله تعالى عنه ستره، تكون الفضيحة مصيره في الدنيا والآخرة...

والمسلم يكشف ستر الله تعالى بثلاث طرق (على الأقل):

الطريقة الأولى تشمل الرجال والنساء: وهي التفاخر بالذنوب والمعاصي التي سترها الله تعالى، فقد يعصي العبد ربه في ستر، ثم يصبح فيتكلم مع زملائه متفاخرًا أنه بالأمس شرب كذا، أو كان في صحبة كذا من الخبيثين،

(١) مسند الإمام أحمد ٧ / ١١، والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب ح ر ٦٥٩.

وهذا يصدق فيه قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «كلُّ أمَّتي مُعافًى (يعني يرجى له عفو ربه ومغفرته) إلَّا المُجاهِرينَ (فلا عفو لهم من الله تعالى)، وإنَّ منَ المُجاهرةِ أن يعمَلَ الرَّجلُ باللَّيلِ عملًا، ثُمَّ يصبِحَ وقد سترَه الله، فيقولَ: يا فلانُ، عمِلتُ البارحةَ كذا وَكذا، وقد باتَ يسترُه ربُّهُ، ويصبِحُ يَكشِفُ سترَ الله عنهُ»...

والطريقة الثانية تشمل الرجال والنساء أيضًا، وهي تتبع عورات المسلمين والتجسس عليهم لفضحهم، والبحث عن عيوبهم من أجل فضحها، ولقد حذر النبي ﷺ بشدة من هذا الأمر فقال: «يا مَعْشَرَ مَن آمن بلسانِه ولم يَدْخُلِ الإيمانُ قلبَه، لا تغتابوا المسلمينَ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهم، فإنه مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيه المسلمِ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَه، ومَن تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَه، يَفْضَحْهُ ولو في جوفِ بيتِه»[1]... فمن بحث عن عورة أخيه ليفضحها، فضح الله -تعالى- أدق أسراره حتى لو كان يفعلها مختفيا في جوف بيته بعيدا عن أعين الناس، ومنه ما قاله الغزالي رحمه الله:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترا من مساويكا

واذكر محاســـــن ما فيهم إذا ذُكروا ... ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

أما الطريقة الثالثة فهي خاصة بالنساء: فتكشف المرأة ستر الله عليها، حين تتساهل في خلع ثيابها خارج بيتها، وهذا مصداق لقوله ﷺ: «ما من امرأةٍ تنزِعُ ثيابَها في غيرِ بيتِها؛ إلا هتكَتْ ما بينَها وبينَ اللهِ مِن سِترٍ»[2]، وفي رواية للإمام أحمد

(١) صحيح الجامع للألباني ح ر ٧٩٨٤، وصحيح أبي داود للالباني ح ر ٤٨٨٠.

(٢) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٠١٠، والسلسلة الصحيحة للألباني ح ر ٣٤٤٢.

يقول ﷺ: «أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها خرق الله عنها ستره»[1]... فحين تتساهل الفتاة في خلع ثيابها خارج بيتها، فإنها بذلك تهتك الستر الذي بينها وبين الله -تعالى-، فيهتك الله تعالى ستره عنها، وتكون الفضيحة مصيرها، ومواقع الإنترنت اليوم خير شاهد على ذلك، فكم من امرأة هتكت ستر الله عليها، وخلعت ثيابها خارج بيتها، فتم تصويرها وفضحها في بقاع الأرض كلها...

وحين يكشف الله -تعالى- ستره عن عبده، لا يفضحه في الدنيا فحسب، بل ربما يكون مصيره الفضيحة والعذاب يوم القيامة، روى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «إن اللهَ يُدْنِي المؤمنَ، فيَضَعُ عليه كنفَه ويَسْتُرُه، فيقولُ: أَتَعْرِفُ ذنبَ كذا؟ أَتَعْرِفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم. أَيْ ربِّ، حتى إذا قرَّرَه بذنوبِه، ورأى في نفسِه أنه هلَكَ، قال: سترْتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفِرُها لك اليوم، فيُعْطَى كتابُ حسناتِه، وأما الكافرُ والمنافقُ (الذي لم يستره ربه) فيقولُ الأشهاد (بعد فضيحتهم على رءوس الأشهاد من الجن والإنس والملائكة): هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»...

أيها المربي الكريم...

هل عرفت الآن كم أنت وأبناؤك محتاجون لستر الله تعالى في الدنيا؟ وهل عرفت قيمة أن يسترك الله تعالى يوم القيامة؟ ساعتها سيغفر لك ذنوبك، ويعطيك كتابك بيمينك، ويتحقق فيك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق ٧ - ٩]، وقوله جل شانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي

(١) صححه الألباني في غاية المرام ح ر ١٩٥.

ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤]

ومن هذا المنطلق علّم ابنتك (وأختك وزوجتك) أنها إذا كانت تريد الحفاظ على ستر الله تعالى عليها في الدنيا والآخرة، فعليها أن تحافظ على حجابها، وألا تتهاون في خلع ملابسها خارج بيتها، وألا تخلع ثيابها إلا لضرورة شرعية، وتتأكد أن المكان الذي ستخلع فيه ثيابها آمن تمامًا؛ فلا عين تراها، ولا كاميرا تصورها...

والسؤال الآن: هل المطلوب من المرأة ألا تخلع ثيابها خارج بيتها نهائيًا؟

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: إذا خلعت المرأة ثيابها لمصلحة في بيت أخيها، أو بيت أبيها، أو بيت محرمٍ لها، أو بيت مأمون عند أخواتها، وفي بيت ليس فيه خطر عليها في تغيير ملابسها، والاغتسال على وجهٍ ليس فيه إظهار العورة للناس، وليس فيه خطر عليها، فالأقرب -والله أعلم- أنه لا حرج في ذلك، وأن مراد النبي ﷺ - من الحديث - هو النهي والتخويف من خلع المرأة ملابسها على وجه يكون فيه خطر عليها...

وقال بعض أهل العلم: مراده ﷺ في هذا الحديث هو منع المرأة من التساهل في خلع ملابسها في غير بيتها، أما خلع ثيابها في مكان آمن - كبيت أهلها ومحارمها - من أجل تغيير الملابس المتسخة أو غيرها من المقاصد المباحة البعيدة عن الفتنة؛ فلا حرج في ذلك... والله أعلم[1].

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء، ١٧/ ٢٢٤ (بتصرف).



أيها المربي الكريم...

إن هناك عيونًا كثيرة تراقب الفتاة في كل مكان تذهب إليه، ولم تعد المشكلة في خلع ملابسها في المحلات والنوادي والجيم وحمامات السباحة النسائية، بل إن الفتاة لم تعد تأمن على نفسها حين تخلع ثيابها في بيت العائلة عند الجد والجدة...

تقول إحدى الأمهات:

كانت ابنتي (المراهقة) أحيانًا تبيت عند جدها وجدتها، وفي بعض الأيام تدخل الحمام لتستحم، وطبعًا تخلع ملابسها، وذات يوم أحست ابنتي بشيء غريب، لقد شعرت أن هناك من يراقبها وهي في الحمام، فأخبرتني بالأمر، فاتفقت معها على طريقة نكتشف بها إن كان هناك من يراقبها أم لا، وكانت النتيجة مأساوية، لقد اكتشفت أن ابن عمها قد صنع ثقبًا في مكان ما، يراقبها من خلاله، فتعلمت من يومها أنا وابنتي ألا نخلع ثيابنا إلا في مكان نتأكد فيه - مائة بالمائة - أنه ليس هناك لص يراقبنا...

اجلس مع شريك حياتك وفكرا معًا في الشبهات الجنسية التي يمكن أن يتعرض أبناؤكم لها، وكيف يمكن تحذيرهم منها.

ثم اجلس مع أولادك وبناتك، وكلمهم عن الشبهات (الجنسية) التي تمس العرض وتهدم السمعة الطيبة، واشرح لهم أمثالاً عملية مثل: ركوب الفتاة للمصعد مع شاب، ومصاحبة البنت لأخرى سيئة السمعة حتى لو كانت طيبة، وجلوس الأطفال على حجر المراهقين خلال اللعب، والرد على الرقم الغريب، واستمع لوجهة نظر أبنائك، واسألهم: هل هناك شبهات جنسية أخرى (في المدرسة والشارع وعلى الإنترنت) يمكن أن يقع فيها الإنسان دون أن يشعر؟ ويجب عليه أن يتجنبها...

يا بُنيّ..
إذا وقعت في شبهة فكيف تبرئ نفسك؟

اسأل ابنك (وابنتك) ماذا تفعل إن وقعت في شبهة ما، وخفت أن يظن الناس بك سوءًا؟

وبعد أن تستمع لآرائهم، أخبرهم أن أفضل طريقة للتعامل مع الظنون المحتملة، والمصائب المتوقعة، يكون بالمصارحة وتبرئة النفس قبل أن تقع المصيبة، حتى لو ظننت أن المصارحة قد تجلب غضب أحد والديك، لكن الصمت يجلب شرًّا كبيرًا، وقدوتنا في ذلك رسول الله ﷺ، إذ علمنا سرعة المصارحة وتبرئة النفس قبل أن يظن الناس بك سوءًا ويظلموك...

روى البخاري ومسلم عن السيدة صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ أنها قالت:

كان رسولُ الله ﷺ مُعتكِفًا فأتَيتُه أزورُه ليلًا، فحدَّثتُه ثم قُمتُ (لأرجع إلى بيتي)، فقام معي ﷺ (ليوصلني)، وكان مَسكنُها في دارِ أسامةَ بنِ زيدٍ، فمرَّ رجلانِ منَ الأنصارِ، فلما رأَيا النبيَّ ﷺ أسرَعا، فقال النبيُّ ﷺ: «على رِسلِكما (تعاليا) إنها صَفِيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ» (زوجته ﷺ وأم المؤمنين). فقالا: سُبحانَ الله يا رسولَ الله (يعني وهل يمكن أن نشك فيك يا رسول الله ونظن أنك تمشي مع امراة غير أَزواجك، ما كان هذا أبدًا).

قال ﷺ: «إنَّ الشيطانَ يَجري منَ الإنسانِ مَجرى الدمِ، وإني خَشيتُ أن يَقذِفَ في قلوبِكما سُوءًا» (شرا)...

أيها المربي الكريم...

إن قاعدة «الصراحة المبكرة»، وتبرئة النفس قبل أن يشك الناس، يحتاجها أبناؤك كثيرًا في طفولتهم، ومراهقتهم، بل وفي بداية حياتهم الزوجية، فالأسرار السيئة مهما كانت بسيطة تسبب حملًا نفسيًّا كبيرًا على صاحبها، ولكي تريح أبناءك علمهم ضرورة الصراحة المبكرة...

يقول أحد الآباء:

جلست مع ابنتي يومًا وقلت لها: عندي موضوع أحب أن آخذ رأيك فيه...

لو كان هناك شاب يعاكس فتاة في التليفون، ويتصل بها كثيرًا، وهي تشتمه وترفض التواصل معه، لكنها تخشى أن يعرف أبوها بالأمر فيسيء بها الظن، فماذا تفعل؟

تعالي لنرى ردود أفعالها المختلفة والنتائج المتوقعة...

الاحتمال الأول: لو كتمت الفتاة الأمر عن أبيها؛ خوفًا من أن يتهمها بسوء الأدب، فستحمل وحدها عبئًا ثقيلاً، وربما يخدعها الذئب المتصل، فيطلب منها لقاءً واحدًا، أو صورة واحدة؛ حتى يتوقف عن معاكستها، فتوافق المسكينة طمعًا في توقفه، وخوفًا من أبيها، لكنها تقع في مشكلة أكبر؛ لأن الذئب (الذي يعاكس) كذاب دائمًا.

الاحتمال الثاني: لو أخبرت أباها، ربما يشكرها ويقبل رأسها ويثني عليها لو كان واعيًا، وقد يضربها ويصرخ في وجهها ويتهمها بسوء الأدب ويقول: لم يكن ليعاكسك إن لم تكوني سيئة... لكن البنت مع هذا الألم والظلم تكون قد نجت من يد الذئب، ورفعت عن كاهلها حملاً ثقيلًا؛ لأنها لن تضطر للاستجابة للذئب الذي يطاردها خوفًا من أبيها.

وهناك حل ثالث: إن كان أبوها لن يتفهم، تخبر الفتاة أمها وتشركها في المشكلة، أو تطلب العون من أخيها فيطرد الذئب بعيدًا، وكل التجارب تثبت أن البنت كلما كانت وحيدة وبعيدة عن أهلها فإنها تكون ضعيفة وفريسة سهلة، أما حين يدرك الذئب أنها أخبرت أهلها بما يحدث، فإنه سيبتعد مذعورًا، والفتاة حين تخبر أهلها بمشكلتها تكون قوية، لأنها ترتمي في أحضان الجماعة الأسرية، وقد قال النبي ﷺ: «عليكم بالجماعة؛ فإنما يأكل الذئب - من الغنم - القاصية»[1]، والقاصية هي الوحيدة والبعيدة عن أهلها، فإن اقتربت من أهلها ابتعد الذئب فورًا، وهذه القاعدة تنطبق على الذئب الحيوان والذئب الإنسان...

وفي النهاية قلت لابنتي: هل تعرفين لماذا تكلمت معك في هذا الأمر؟

لقد أردت أن أخبرك أنني أثق بك، وأعلمك كيف تتصرفين حين يتعرض لك أحد الذئاب البشرية، وإن وقعت زميلتك يومًا في هذا الفخ واستشارتك تجد عندك حلاً، وتعرفين كيف تساعدينها على النجاة...

ولقد فرحت ابنتي بهذا الحوار كثيرًا، لدرجة أنها قبلت رأسي قبل أن

(١) صحيح النسائي للألباني ح ر ٨٤٦، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ح ر ٤٢٧.

تنصرف، وهي لم تفعل ذلك منذ سنوات...

ويقول أب آخر:



كنت معتادًا أن أجلس كل ليلة على جهاز الكمبيوتر لأشاهد الأخبار على الإنترنت، وذات يوم فوجئت - على الصفحة الرئيسية لمحرك البحث - بصور وإعلانات سيئة، وتطور الأمر لإعلانات فاجرة وصور بنات بالبكيني وفي أوضاع فاجرة، فكنت أغض بصري، وأغلق الصفحة الرئيسية سريعًا حتى لا تراني زوجتي أو أحد أولادي فيظنوا بي سوءًا...

وبعد أيام قلت في نفسي: سأواجه الإعلانات الفاضحة (التي تخرج إجباريًا) على محرك البحث بطريقة ذكية، سأشن حربًا - عائلية - ضد هذا الباطل، سأصنع جيشًا من زوجتي وأولادي وأتعاون معهم لنهزم هذا الفجور وأهله...

فناديت زوجتي وقلت لها: تعالي شاهدي ما يحدث، هذه الصور تظهر إجباريًا لأي واحد يفتح محرك البحث هذا، ففزعت زوجتي من درجة الفسق والفجور، وقالت: أغلق بسرعة.

فقلت لها: لو كنت أجلس على الكمبيوتر (ببراءة) وفجأة ظهرت هذه الصور، وجئت أنت فجأة وشاهدتها أمامي، ماذا كنت ستفعلين؟

فقالت: كنت سأصنع معركة.

فقلت لها: لذلك ناديت عليك لكي لا أقع في تلك الشبهة، لقد حميت نفسي من سوء ظنك، وحميتك من سوء الظن بي.

والآن حان دور الأولاد، نادي عليهم.

فاستجابت زوجتي، وجاء الأولاد، فقلت لهم: أنتم ترونني كل يوم أجلس على الكمبيوتر، وأدخل على الإنترنت، فهل تتوقعون أنني أشاهد أشياء سيئة؟

فقالوا جميعًا: طبعًا لا... وبعضهم كان يبتسم ابتسامة خبيثة.

ففتحت الكمبيوتر، وجعلتهم يشاهدون الصور الخبيثة، وقلت لهم: كان هذا الموقع نظيفًا لسنوات، ومنذ أسبوعين بدأت هذه الصور الخبيثة تظهر فيه كإعلانات، والآن، هل تعرفون لماذا أجعلكم تشاهدونها؟

فقالوا: لنحذر منها.

فقلت: نعم، لكنَّ هناك سببًا أهم، وهو أن أحمي نفسي من سوء ظنكم بي، فلو جاء أحدكم يومًا ورآني جالسًا أمام الكمبيوتر وهذه الصور تظهر فيه، فربما يقول في نفسه: بابا قد انحرف... ولذلك أنا أجعلكم تعرفون ما يحدث لأحمي نفسي من ظنكم السيئ، وأحفظكم من إساءة الظن بأبيكم، وأبرئ نفسي.

فقال أكبر أولادي: من الأفضل أن تغير محرك البحث هذا بآخر لا تظهر فيه إعلانات، وأنا سأقوم بهذه المهمة.

إن من يبرئ نفسه مبكرًا، ويشرح موقفه دون أن يسأله أحد؛ حفاظًا على نفسه من شك الناس، فإنه يطبق سنة نبوية كريمة، ويحفظ نفسه من شرور كثيرة، وأجمل قاعدة تحفظ البيوت من الخراب هي: الصراحة المبكرة، فلا نسمح لذئب باستدراج بنت أو زوجة، كذلك لا نسمح لخبيثة أن تسيء لسمعة زوج أو ابن...

لا تضع نفسك
في شبهة أمام أبنائك

أيها المربي الكريم...

لا تمزح أمام ابنتك مع سيدة قريبة لك (أخت زوجتك – زوجة أخيك...)، لأن ابنتك حينها ستراك رجلاً فاسدًا، وتسقط من نظرها، وقد تفهم ابنتك من تصرفك هذا أن من يمزح معها بتلك الطريقة (الفاسدة) فعليها أن تسمح له بذلك، ولا تقاومه؛ لأن هذا شيء عادي...

ولا تحضر مجلات ولا جرائد بها صور فاضحة إلى بيتك؛ لأن ابنتك ستجدها مخبأة هنا وهناك عندما تنظف الغرفة، وعندها ستظن بك سوءًا، ولا تشاهد أفلامًا إباحية على الكمبيوتر أو الآيباد ويكتشفها ابنك أو ابنتك فجأة، لأنهم سيعرفون أنك الفاعل، وحينها تسقط من نظرهم، وقد يشاهدون بحجة أن أباهم يشاهد.

لا ترد على التليفون بطريقة توحى بالشك والريبة، ولا تسمعك ابنتك تكلم سيدات (في خفية) ولو كن قريبات أو حتى زميلات في العمل.

وفي النهاية حافظ على صورتك الجميلة في عيون أبنائك، ولا تجعلهم يرونك في موضع شك وشبهة؛ حتى لا تفقد احترامهم، ولكي لا تندم على فقدان برهم...

يقول أحد الآباء:

أمتلك محلاً لبيع الملابس، وذات يوم حدثت لي مشكلة كبرى...

ذات يوم كنت في المحل وحدي، لأنه وقت الغداء والعمال في الاستراحة، وبينما أنا جالس في أمان الله، إذ دخلت علي إحدى جاراتنا، وأنا أعرفها جيدًا وأعرف زوجها وأولادها، وطلبت نوعًا معينًا من العباءات، وبينما هي تشاهد الموديلات عرضت علي - صراحة - أن أمارس معها الفاحشة، وبلغ بها الإجرام أن أعطتني المواعيد المناسبة، وذلك خلال فترة تواجدها في العمل، وهي للأسف تعمل في مكان جيد جدًّا...

فقلت لها: إني أخاف الله، فأنا متزوج ولي بنات، وأخاف عليهن.

فلم تقتنع المرأة بكلامي، وبدأت تتحرش بي، وتمسك بيدي.

وبينما هي على هذا الحال، دخلت ابنتي إلى المحل فجأة، وشاهدت ما يحدث، فانصرفت المرأة مسرعة.

ووقفت ابنتي مذهولة، ووقفت أنا ساكتًا لا أدرى ماذا أفعل، لكن الله -تعالى- وفقني وقررت مصارحة ابنتي وتبرئة نفسي من هذه الشبهة، فحكيت لها ما حدث بالضبط، وشكرتها لأنها جاءت في الوقت المناسب، ولم أكتفِ بذلك، بل وطلبت منها أن تكون معي وأنا أخبر أمها بما حدث...

وفي المساء جلست مع ابنتي وزوجتي، وحكيت الحكاية، فبكت زوجتي وحمدت الله على نجاتي منها، ثم جلسنا نفكر كيف نتصرف مع هذه السيدة وأمثالها، فقد كانت للأسف ثاني امرأة تعرض علي نفسها خلال هذا الأسبوع...

لم تتوقف القصة عند هذا الحد، فبعد شهرين تقريبًا من هذه القصة، ماتت زوجتي، وحزن الجميع لفراقها، وبعد أسبوع من وفاتها، جاءتني ابنتي وقالت وهي تبكي: بابا، الحمد لله أنك أخبرت أمي بقصة السيدة التي تحرشت بك في المحل، الحمد لله لأن أمي لن تأتي يوم القيامة فتكتشف أنك خائن، الحمد لله أنك قلت لها القصة قبل أن تموت...

* * *



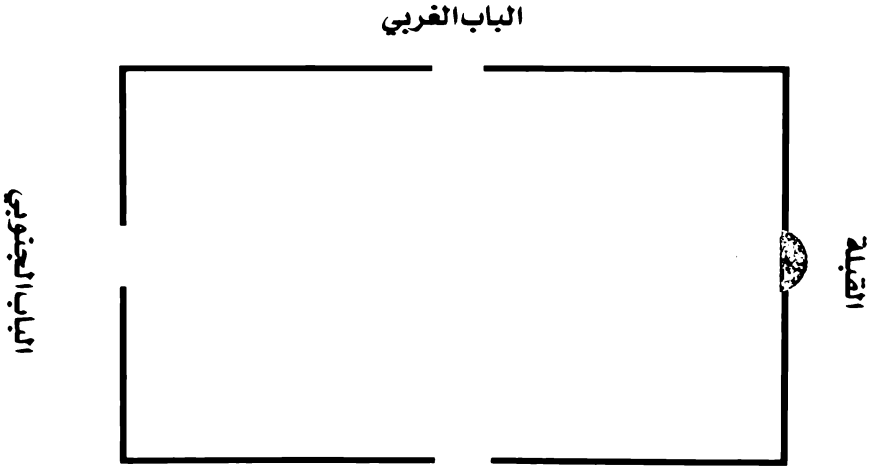
الأصل العاشر

« خير صفوف الرجال أولها
وشرها آخرها »

الأصل العاشر: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها»

روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «خيرُ صفوفِ الرجالِ (في الصلاة) أولُها، وشرُّها آخرُها، وخيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها، وشرُّها أولُها»...

لما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة بنى المسجد النبوي، وكان المسجد في بدايته عبارة عن ساحة واحدة مستطيلة الشكل، فكان طوله ٣٥ مترًا، وعرضه ٣٠ مترًا، وارتفاع جدارنه حوالي مترين، وكانت القبلة في جهة الشمال (تجاه بيت المقدس قبل تحويل القبلة)، وكان للمسجد ثلاثة أبواب: الباب الأول في الجنوب في الجهة المقابلة للقبلة، والباب الثاني في الشرق، والباب الثالث في الغرب...



رسم توضيحي للمسجد النبوي عند بنائه في العهد النبوي

وفي هذا المسجد كان الصحابة (رجالاً ونساء وصبيانًا) يجتمعون لأداء الصلاة، ولأنه لم تكن هناك صوتيات ولا ميكرفونات توصل الصوت بعيدًا، فقد كان الجميع يقفون للصلاة في ساحة المسجد ليسمعوا خطب النبي ﷺ ويقتدوا به في الصلاة...



وحتى لا يختلط الرجال بالنساء، فقد خصص النبي ﷺ أحد أبواب المسجد الثلاثة للنساء لا يدخل منه غيرهم، روى أبو داود عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لو تركنا هذا الباب للنساء»، فترك الرجال هذا الباب للنساء يدخلون منه وقت الصلاة، أما في غير أوقات الصلاة فكان بعضهم يدخل منه، أما عبدالله بن عمر فقد بلغ من شدة حرصه على تنفيذ أمر النبي ﷺ أنه لم يدخل من هذا الباب بعد ذلك أبدًا، لا في وقت الصلاة ولا في غيرها، ولاحظ ابنه نافع ذلك فقال: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[١]...

ولكي تكون النساء بعيدة عن الرجال أثناء الصلاة، كان النبي ﷺ يجعل الرجال في الصفوف الأولى، ويليهم صفوف الصبيان ثم صفوف النساء، روى البيهقي: «أن النبي ﷺ كان يليه في الصلاة الرجال، ثم الصبيان، ثم النساء»[٢]،

(١) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٥٧١.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٣ / ٩٧، والحديث ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الجامع للألباني ح ر ٤٦٢٥.

وبذلك يكون الصبيان حاجزًا طبيعيًّا بين الرجال والنساء...

ومع أن صفوف الرجال بعيدة عن صفوف النساء ويفصل بينهما الصبيان، إلا أن النبي ﷺ قال: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها»...

وهكذا يحث النبي ﷺ أصحابه الرجال على الابتعاد عن النساء، فيقفون في صف الرجال الأول، كما يشجع ﷺ النساء على الابتعاد عن الرجال؛ فيكنّ في صف النساء الأخير...

وكلما زاد البعد عن مخالطة الجنس الآخر خلال الصلاة؛ زاد الأجر وعظم الفضل؛ لأن قول النبي ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها» يعني أكثرها في الأجر والفضل، ومعنى قوله ﷺ: «وشرها آخرها» أي أقلها ثوابًا وفضلاً، وهذا يعني أنه كلما ابتعد الرجل عن النساء ووقف في الصف الأول؛ زاد أجره، أما إذا صلى في الصف الأخير وأصبح قريبًا من النساء فقد قل ثوابه.

وكذلك الأمر بالنسبة للنساء، فمن وقفت في الصف الأخير بعيدًا عن الرجال؛ زاد ثوابها، ومن صلت في صف النساء الأول قريبًا من آخر صفوف الرجال؛ قل ثوابها؛ وذلك لأن احتمال اختلاطها بالرجال أكبر، وهنا يقول الإمام النووي رحمه الله: إنما فضَّل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال في الصلاة، لبُعدهنَّ عن مخالطة الرجال، ورؤيتهم، وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم، وسماع كلامهم، ونحو ذلك[1]، وبذلك يحافظ النبي ﷺ على قلوب النساء فتبقى طاهرة، وعلى قلوب الرجال فتظل عفيفة نقية...

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ٤ / ٢١٠.

ولعلك تتعجب هنا وتقول: النبي ﷺ يخبر الصحابة بأن يحرصوا على الابتعاد عن الاختلاط مع أنهم أطهر هذه الأمة قلوبًا، وهم في بيت من بيوت الله، وهم واقفون أمام الملك - جل شأنه - في الصلاة، ومتجهون للقبلة ركوعًا وسجودًا، وإمامهم في الصلاة رسول الله ﷺ، ومع ذلك يوصيهم بالبعد عن الاختلاط، ويخبرهم أنه كلما زاد البعد عن صفوف الجنس الآخر؛ عظم الأجر... فما بالكم بنا نحن المساكين؟ إذا كان المطلوب من الصحابة الابتعاد عن الاختلاط في المسجد، فإن المطلوب منا أن نكون أشد حذرًا منه، وخاصة أننا نعيش في زمن الفتنة الجنسية...

لقد وضع النبي ﷺ منظومة جميلة تحمي قلوب المؤمنين والمؤمنات في المسجد، فخصص للنساء بابًا يدخلون منه غير باب الرجال، وشجع الرجال على الوقوف في الصف الأول من صفوف الرجال، وحث النساء على الوقوف في الصف الأخير من صفوف النساء، ولكي تكتمل هذه المنظومة كان النبي ﷺ ينتظر قليلاً عقب الانتهاء من الصلاة ويظل جالسًا في المسجد هو ومن صلى معه من الرجال، بينما تسرع النساء في الخروج من المسجد عقب انتهاء الصلاة مباشرة والعودة إلى بيوتهن، روى البخاري عن أم سلمة - رضي الله عنها - أَنَّ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنْ (الصلاة) الْمَكْتُوبَةِ؛ قُمْنَ (يرجعن إلى بيوتهن)، وَثَبَتَ رَسُولُ الله ﷺ، وَمَنْ صَلَّى مِنَ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللهُ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ الرِّجَال...

وهكذا لا يحدث اختلاط داخل المسجد، ولا ازدحام بين الرجال والنساء لحظة الخروج منه...

وهنا قد يسأل أحد الأبناء:

هل الاختلاط بين الرجال والنساء مسموح به في البيت الحرام عند الطواف وغيره؟

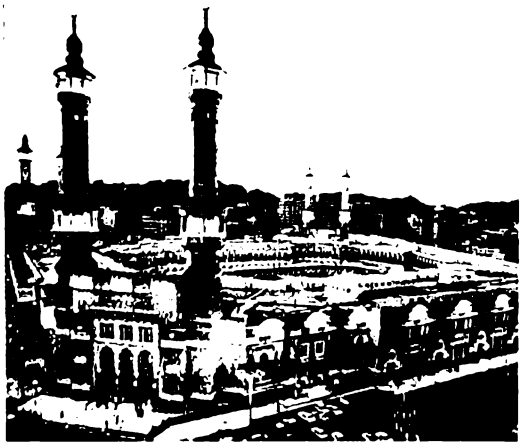
ويجيبنا عن هذا السؤال الإمام البخاري رحمه الله، حيث يروي عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء بن أبي رباح - التابعي الجليل - أنه قد طاف نساء النبي ﷺ مع الرجال (حول البيت في الحرم)؟

فقلت: أبعد الحجاب أو قبل؟ (يعني أبعد فرض الحجاب عليهن أم بعده)؟

قال عطاء: إي لعمري، لقد أدركته بعد الحجاب.

قلت: كيف يخالطن الرجال؟

قال عطاء: لم يكن يخالطن (الرجال)، كانت عائشة -رضي الله عنها- تطوف حجرة من الرجال (بعيدة عنهم)، لا تخالطهم، فقالت امرأة: انطلقي نستلم يا أم المؤمنين (يعني نستلم الحجر الأسود ونلمسه)، فقالت عائشة: عنك، وأبت (رفضت حتى لا تختلط بالرجال)... ولكنهن كن إذا دخلن البيت (الكعبة المشرفة)، قمن حتى يدخلن، وأخرج الرجال (فلا يدخلن الكعبة مع الرجال)...



فائدة تعلمها لابنتك:

إذا صلت النساء مع الرجال في نفس المكان وليس بينهما حائل (مثل صلاة العيد في الخلاء بدون حاجز بين الرجال والنساء، والصلاة في الحرم

المكي) فخير صفوف النساء (وأكثرها ثوابًا) هو آخرها وأبعدها عن الرجال؛ لأنها الأبعد عن الاختلاط والأكثر أمانًا من الفتنة...

أما إذا صلت النساء بمفردهن، أو صلين جماعة مع الرجال لكن بينهما حائل، فخير صفوف النساء وأعظمها أجرًا هو أولها؛ لعدم وجود اختلاط، ولأن خير الصفوف في الصلاة أولها بالنسبة للرجال أولها، وهو الحال نفسه حين تصلي النساء بمفردهن بعيدًا عن الرجال [1]...

* * *

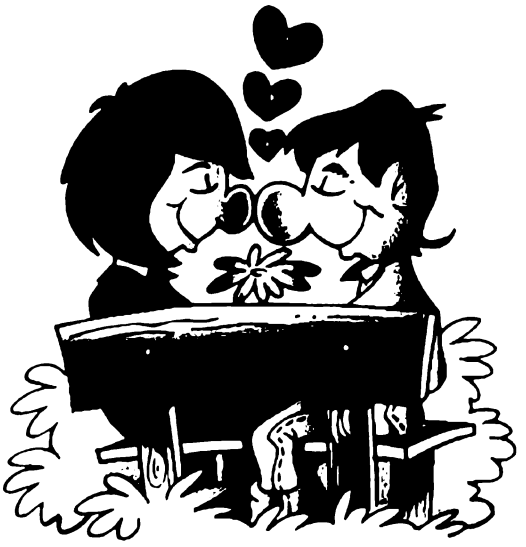
(١) هذا ما قاله الإمام النووي -رحمه الله- في المجموع شرح المهذب ٤ / ١٩٢، ١٩٣ (بتصرف).

الاجتماع مباح، والاختلاط ممنوع، والخلوة حرام

اجتماعات الرجال والنساء (الشباب والفتيات) تشمل ثلاث درجات:

- اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد (بدون اختلاط): كاجتماع الأولاد والبنات في الجامعة في المدرج نفسه يستمعون المحاضرة، بحيث يجلس الأولاد في جانب خاص بهم، بينما تجلس البنات في جانب آخر، وهذا الاجتماع بدون اختلاط مباح.

- اختلاط الرجال بالنساء وامتزاجهم معًا جلوسًا وكلامًا: فيختلط الأولاد بالبنات في قاعة الدرس، ويجلس بعضهم بجوار بعض، ويتبادلون الكلمات والكتب والأقلام وغيرها، وهذا الاختلاط غير الضروري ممنوع.



- جلوس رجل وامرأة في مكان بمفردهما: فنتيجة الاختلاط بين الشباب والفتيات، يرتبط ولد ببنت، ويلتقيان في مكان بمفردهما أمام الناس في الحديقة وغيرها، ثم تحدث الخلوة بعيدة عن أعين الناس، ثم تحدث الكارثة، ومن هنا كانت الخلوة حرامًا.

وعندما نتأمل ما فعله النبي ﷺ مع صحابته الكرام، نجد أنه ﷺ قد سمح للرجال والنساء بالاجتماع في مكان واحد وهو المسجد، ولو أراد النبي ﷺ منع اجتماعهم؛ لأمر النساء بالصلاة في البيت وعدم الحضور إلى المسجد، لكن النبي ﷺ سمح للرجال والنساء بالاجتماع في المسجد وفي ساحة واحدة، ومن هنا يكون اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد ليس محرمًا؛ إذا كان القصدُ منه المشاركة في تحقيق هدف نبيل مثل: اكتساب علم نافع، أو عمل صالح، أو مشروع خيّر، أو جهاد لازم، أو غير ذلك مما يتطلب تعاونًا مشتركًا في التخطيط والتوجيه والتنفيذ...

ولأن الاجتماع بين الرجال والنساء (في المسجد أو غيره) قد يؤدي إلى الاختلاط بينهم، فقد وضع النبي ﷺ عدة قواعد تنظم اجتماعهم، بل ومدح النبي ﷺ من يبالغ في الابتعاد عن الجنس الآخر، فكان خير صفوف الرجال أولها (وأبعدها عن النساء)، وخير صفوف النساء آخرها (وأبعدها عن الرجال)، بينما شرّ صفوف الرجال آخرها (لأنها أقرب إلى صفوف النساء)، وشر صفوف النساء أولها (لأنها أقرب إلى صفوف الرجال)... وبناء على ما فعله النبي ﷺ في المسجد؛ يكون الاختلاط بين الرجال والنساء وامتزاجهم ببعضهم ممنوعًا؛ حفاظًا على قلوب الجميع طاهرة نقية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وعندما يسمح الإسلام باجتماع الرجال والنساء (الشباب والفتيات) في مكان واحد كالمسجد، والسوق، والمستشفى، فإنه يمنع الاختلاط والامتزاج

بينهم إلا لضرورة مثل: ذهاب المرأة إلى الطبيب، أما في الظروف العادية فلا اختلاط ولا امتزاج بين الشباب والفتيات، وذلك حفاظًا على قلوب الرجال والنساء، وحتى لا تحدث الخلوة بين شاب وفتاة، وهذه الخلوة حرام لقول النبي ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما»[1]، فمن كان الشيطان ثالثهما كانت الندامة مصيرهما...

إن اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد (لهدف جيد) قد يؤدي إلى الاختلاط، والاختلاط قد يؤدي إلى خلوة الرجل مع امرأة لا تحل له... ولكي يحقق الإسلام المصالح وفي الوقت نفسه يحمي قلوب الرجال والنساء من الزيغ ؛ فقد أباح الإسلام اجتماع الرجال والنساء، لكنه شجع الطرفين على عدم الاختلاط ، وحرم خلوة رجل مع امرأة (ليست من محارمه)؛ حفاظًا على القلوب من الزيغ والانحراف، فمن حافظ على نفسه من الاختلاط، لم يقع في الخلوة، وحفظه الله -تعالى- من الفاحشة، أما من تساهل في الاختلاط، فمن السهل أن يقع في الخلوة، وهنا تحدث الكارثة...

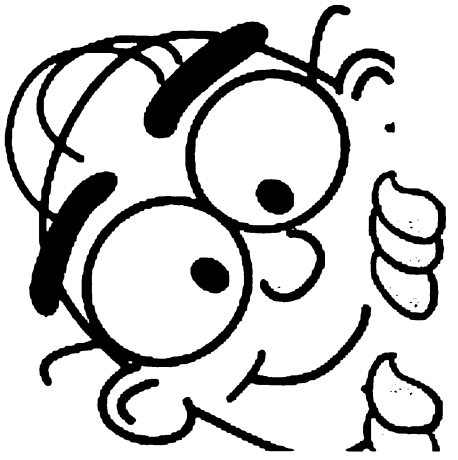
☺ الاختلاط بين الأقارب (في العائلة)

للأسف بعض حالات التحرش بالبنات والأطفال يرتكبها الأقارب وأبناؤهم، وهنا ندرك قيمة قول النبي ﷺ: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أرأيت الحمو؟ (يعني هل يدخل الحمو

(١) مسند الإمام أحمد ١ / ٧٣، والحديث صححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ح ر ٥٩٥٧.

على النساء؟) فقال ﷺ: «الحمو الموت» رواه البخاري ومسلم...

المراد بالحمو: هم أقارب الزوج مثل أخيه وابن أخيه وابن أخته وعمه وابن عمه، وغيرهم ممن ليسوا بمحارم لزوجته وبناته، أما والد الزوج وابنه فإنهم محارم لزوجته.



وقول النبي ﷺ: الحمو الموت، يعني احذر منه حذرك من الموت، وخف منه على أهل بيتك أكثر من خوفك عليهم من الموت، ولا تسمح له بالدخول على زوجتك وبناتك؛ لأن الخوف منه يكون أكثر من غيره، والشر يتوقع منه أكثر من غيره، لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير أن ينكر عليه أحد، فعنده حجة أنه ابن عمها أو أخو زوجها، وعادة الناس التساهل في دخوله على نساء أقاربه، مع أنه مثل الموت تمامًا، وهو أولى بالمنع من الدخول بمفرده على النساء بدون وجود الزوج والأب...

ومن هنا يجب أن تعرف بناتنا (وأولادنا) أنواع الأقارب، وحدود الاختلاط معهم...

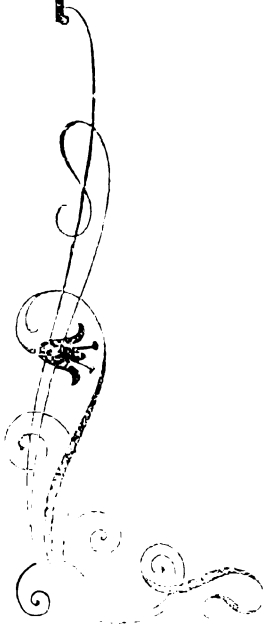
وينقسم الرِّجال بالنسبة للمرأة إلى قسمين من حيث الملابس والكلام والاختلاط والمعاملة:

(١) قسمٌ يجوز لها أن تظهر أمامهم بلباس المهنة (عباءة بنصف كم ويظهر شعرها وقدمها) وتخاطبهم وتخالطهم، وهم: المحارم الذين لا يجوز لها

الزَّواج منهم كالأخ والأب والعم والخال.

(٢) وقسمٌ لا يجوز لها أن تظهر أمامهم إلَّا باللِّباس الشَّرعي الكامل، ولا يجوز لها محادثتهم ولا مخالطتهم إلا عند الضَّرورة أو الحاجة، وهم: الأجنبي عنها (الغريب)، والأرحام غير المحارم كابن الخال وابن الخالة وابن العمِّ وابن العمَّة...

* * *



علّم ابنك (ابنتك)
كيف يتعامل مع الاختلاط



لما سمح النبي ﷺ للصحابة (رجالاً ونساءً) بالاجتماع في المسجد في ساحة واحدة، علمهم كيف يتعاملون مع هذا الاجتماع الذي يضم رجالاً ونساء، فشجع الرجال على الوقوف في الصف الأول بعيدًا عن النساء، وشجع النساء على الوقوف في الصف الأخير أبعد ما يكون عن الرجال، وخصص بابًا في المسجد للنساء يدخلن ويخرجن منه، وكان النبي ﷺ بعد الصلاة يجلس مع الرجال في المسجد قليلاً؛ حتى تنصرف النساء أولاً...

وعندما نتأمل قول ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها»، نلاحظ أن الخطاب هنا للرجال والنساء على حد سواء؛ لأن المرأة ليست وحدها المأمورة بالابتعاد عن الاختلاط، بل الرجال أيضًا، والخوف من الاختلاط لا يكون على البنات فقط، بل يكون على الأولاد أيضًا، وهذه رسالة مهمة للآباء والأمهات، فبعضهم يخاف فقط على البنت ويمنعها من الاختلاط مع الأولاد، بينما يترك ابنه يختلط بالبنات كما يشاء، بحجة أنه ولد، مع أن خطر الاختلاط يحيط

بالولد والبنت؛ لذلك جاء الأمر النبوي للرجال والنساء على حد سواء...

يقول أحد الآباء:

قبل أن يدخل أولادي المدرسة، كنت بين خيارين: الأول: أن أدخلهم مدارس مشتركة (حكومية) وهي رخيصة جدًّا، أو أدخلهم مدارس خاصة غالية الثمن؛ يفصل بعضها بين الأولاد والبنات، فيخصصون مدرسة للاولاد وأخرى للبنات، فاخترت المدارس الحكومية لأنها الأرخص، ولأنني تربيت في مدارس مشتركة ولم تحدث مشكلة، ولأن أولادي ذكور ولا خوف عليهم، إنما الخوف يكون على البنات...

وبعد سنوات سمعت حديث النبي ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها»، وفهمت معناه، ورأيت مدى حرص النبي ﷺ على منع الاختلاط في المسجد حيث الصلاة والخشوع، وكيف أمر ﷺ الرجال قبل النساء بالبعد عن الاختلاط، وهنا قررت أن أستجيب لأمر النبي ﷺ، وأجعل أولادي في خير الصفوف، وأضحي بشيء من المال، لأحمي أولادي (وبنات الآخرين) من الاختلاط، ونقلت أولادي فورًا إلى مدرسة خاصة تفصل بين الأولاد والبنات، وكنت سعيدًا جدًّا بدفع مصروفات أولادي في هذه المدارس رغم أن مصروفاتها كبيرة، وقلت في نفسي حين يسألني الله تعالى: فيم أنفقت مالك؟ سأقول: يا رب؛ أنفقت مالي في تطبيق سنة نبيك ﷺ...

أيها المربي الكريم...

هناك حالات كثيرة تضطر إلى اجتماع الرجال والنساء معًا في مكان واحد،

كما في السوق وبيت العائلة والحافلة وبيت الله الحرام وغيرها؛ لذلك أعطى النبي ﷺ نموذجًا راقيًا لكيفية إدارة هذا الاجتماع، والمربي الناجح هو من يقتدي بالنبي ﷺ ويعلم أبناءه كيف يتصرفون بحكمة عندما تفرض عليهم الظروف التواجد في مكان يضم الرجال والنساء معًا، وكيف يحمون أنفسهم من الاختلاط غير الضروري، والذي يوقعهم في شبهات وأخطاء كثيرة...

اسأل ابنك (ابنتك) عن صور الاختلاط (الحرام) في المدرسة والنادي وغيرها

كثير من أطفالنا لا يعرفون معنى الاختلاط، وهم بحاجة للشرح العملي الذي يجعلهم يفهمون الفرق بين اجتماع الأولاد والبنات في مكان، وبين اختلاطهم معا، كما أن الصغار بحاجة لمعرفة صور الاختلاط في الفصل والشارع وبيت العائلة ليتجنبوها...

كيف تشرح لأطفالك معنى الاختلاط؟

يقول أحد الآباء:



ذات يوم ذهبت لصلاة الجمعة بصحبة ابني ذي العشر سنوات، وهناك تكلم الخطيب عن حرمة الاختلاط بين الرجال والنساء، وكانت خطبة جميلة، لكن كثيرًا من الشيوخ لا يلاحظون أن بَيْن المصلين أطفالًا صغارًا، يلتقطون بعض الكلمات ويفهمونها خطأ، وبعض هؤلاء الصغار يسأل والديه، والبعض الآخر يظل ساكتًا ويحتفظ بالمفاهيم الخاطئة في عقله، والحمد لله ابني من النوع الذي يسأل ويحاول أن يفهم، وهذا طبعًا يسبب لي تعبًا كبيرًا وخاصة يوم الجمعة، وكان شيخ المسجد يتعمد الكلام بطريقة لا يفهمها الصغار، بل وتبدو صعبة على بعض الكبار، وكم تمنيت أن يبسط الشيخ بعض المعلومات للصغار، أو يخصص جزءًا من الخطبة لشيء يناسب الأولاد والفتيات الصغار...

في هذا اليوم استمع ابني للخطبة بإنصات، وفهم أن الاختلاط حرام،

لكن العجيب في الأمر أنه لم يفهم معنى الاختلاط، فالشيخ لم يشرح معناه كفاية، ففوجئت بابني يقول: بابا، خطبة اليوم جعلت الحياة معقدة جدًّا وصعبة.

فقلت: كيف ذلك؟

قال: إذا كان الاختلاط حرامًا، فمعنى ذلك ألا أسير في شارع فيه بنات، وألا أذهب للمدرسة؛ لأن الفصول مشتركة وتجمع الأولاد والبنات معًا، ولا أذهب للسوق لأنه مختلط...

فابتسمت وقلت له: هناك فارق يا بني بين الاجتماع والاختلاط، فاجتماع الرجال والنساء معًا في مكان ما حلال ومباح، أما اختلاطهم (لغير ضرورة) فهو حرام.

فقال ابني: لا أفهم.

فقلت له: قم فأحضر طبقًا فارغًا، وكيس الملح، وكيس الفلفل.

فابتسم وقال: لماذا؟ فقلت له: ستعرف.

وبعد أن أحضر ابني الأدوات، وضعت الطبق أمامه، ووضعت بعض الملح في جانب، وبعض الفلفل في جانب آخر، وقلت له: في هذا الطبق حدث الآن اجتماع للملح مع الفلفل؛ هذا اجتماع لأن كلاً منهما بعيد عن الآخر.

ثم قمت بخلط الفلفل مع الملح حتى امتزج كل منهما بالآخر، ثم قلت لابني: الآن تحول اجتماع الفلفل والملح إلى اختلاط.

هنا ابتسم ابني وقال: الآن فهمت، فاجتماع الأولاد والبنات في الفصل

ليس حرامًا، بشرط أن يجلس الأولاد في جانب، والبنات في جانب آخر، فهذا حلال.

فقلت له: لو كان هذا حرامًا ما أرسلتك يومًا إلى المدرسة، ولكن الحرام أن يتطور هذا الاجتماع إلى اختلاط.

فقال ابني: هل معنى هذا ألا أتكلم مع البنات أبدًا؟

فقلت: إن كان الكلام لشيء ضروري فهو عادي، أما إن كان غير ضروري فهو حرام.

ثم سألت ابني: تعالى نفكر في صور الاختلاط (الحرام) التي قد تحدث في الفصل...

وبعد حوار جميل وصلت مع ابني إلى النتيجة التالية: كل ولد يجلس بجوار بنت فهذا اختلاط - ولد يكلم بنت ويحكيان معًا في الواقع وعلى النت اختلاط محرم - خطابات الحب بين الأولاد والبنات اختلاط محرم - عندما يلعب الأولاد (الكبار) مع البنات فهذا اختلاط محرم، وأيضًا فإن مصافحة الولد لبنت (غير أخته وأمه وخالته وعمته وجدته...) اختلاط وجريمة وحرام.

* * *

ضع في بيتك قانونًا يمنع الاختلاط

تقول إحدى الفتيات:

تعلمت في بيتنا كيف أعيش حياة جميلة بدون اختلاط، إذ كان أبي يضع في بيتنا قانونًا يمنع الاختلاط، ورأيت هذا القانون يطبق في بيتنا منذ كنت طفلة صغيرة وحتى بلغت ١٧ سنة، فقد خصص أبي في البيت مكانًا للضيوف من الرجال، وآخر للضيوف من النساء، فإذا جاء عمي وأولاده، فإن أبي يستقبله بالترحاب، ويدخل الرجال إلى مجلسهم بعيدًا عن مجلس النساء، رغم أن شقتنا لم تكن كبيرة، إلا أن أبي كان يحرص دومًا أن يجلس الرجال بعيدًا عن النساء، وإذا جاءت زميلاتي لزيارتي؛ كان أبي لا يدخل علينا، كما يمنع إخوتي الذكور من الدخول، وكانت أمي تدخل للترحيب بهن والتعرف عليهن، وفي المناسبات الأسرية التي يجتمع فيها الجميع في بيت الجد والجدة، كان الرجال والنساء يجتمعون في صالة كبيرة لتناول الطعام، فكان أبي يحرص على تنظيم المكان، بحيث تكون منضدة طعام الرجال في ركن بعيد عن منضدة طعام النساء، وهكذا كان عدم الاختلاط قانونًا عمليًّا في بيتنا؛ بهدوء ورفق ومحبة، والجميل أن الضيوف كانوا يلتزمون بقانون بيتنا، حتى لو كانوا في بيوتهم لا يعملون به، بل وعند زيارتنا لهم كانوا يعرفون أننا لا نحب الاختلاط، ويحترمون مشاعرنا، ويفصلون بين الرجال والنساء في مكان الجلوس...

ويقول أحد الآباء:



ذات يوم دعانا جارنا لفرح ابنته، ولأنني أعرف أحوال جارنا في بيته، كنت أعلم أن هذا الفرح سيكون مختلطًا، وستجلس العروس أمام الرجال والنساء، وربما تكون هناك فقرة للرقص، فقلت في نفسي: هذه فرصة جميلة لتربية أولادي...

وفي المساء اجتمعنا على العشاء، فقلت للأولاد: جارنا اليوم دعانا لحضور عرس ابنته، فهل سنحضر أم لا؟

فقال الجميع: لا بد وأن نحضر لأنهم جيراننا، ومن حقهم علينا أن نحضر فرحهم، وهم طيبون لم نرَ منهم شرًّا.

فقلت لهم: قبل أن نقرر علينا أن نعرف طبيعة هذا الفرح، هل هناك مكان للرجال وآخر للنساء، أم سيكون عبارة عن سمك لبن تمر هندي (مختلط)، وبذلك تكون الشياطين مدعوة للحضور.

فقال ابني ذو العشر سنوات: سيكون فرحًا سيئًا؛ لذلك لن نحضر.

فقلت له: سيحزن جارنا ولن يتفهم موقفنا، فماذا نفعل حتى لا نغضب ربنا، ونسعد جارنا؟

وبعد حوار جميل اتفقنا على أن أذهب بمفردي لقاعة العرس، وأقدم التهنئة للجار (والد العروس)، وأنصرف سريعًا، وبذلك نكون قد أجبنا دعوة

الجار، وفي الوقت نفسه لم نحضر عرسًا فيه شيء حرام، وفي نهاية الحوار قلت لأولادي: ليخبرني كل واحد منكم كيف سيكون عرسه؟ وكيف سينظمه؟

فقال ابني ذو العشرة أعوام: أنا طبعًا لن أجعل زوجتي تجلس أمام الرجال؛ لأن من يفعل ذلك ليس برجل، وسيكون هناك مكان للرجال وآخر للنساء، مثل عرس عمي فلان الذي حضرته معك...

وهنا أدركت أن حضور الأولاد والبنات للأفراح المحترمة، والتي فيها فصل للرجال عن النساء، مهم جدًّا؛ لأنهم يشاهدون نموذجا عمليًّا للعفة والطهارة، ويؤثر إيجابا في أفكارهم المستقبلية عن تنظيم أفراحهم الشخصية...

ويقول أحد الشباب:

كان أبي ذكيًّا جدًّا في تعليقاته، فإن حضرت معه فرح أحد الأقارب، ورأينا العروس تجلس كاشفة عن جسدها، وزوجها جالس بجوارها، كان أبي يقول: أترى هذا الذي يترك عروسته تجلس عريانة أمام الرجال والشباب، ويرون عورتها من كل اتجاه، إنه ليس برجل، إنه (...)، وكرر أبي هذه الكلمات أمامي كثيرًا، حتى أصبحت كارهًا لمن يعرض عروسه أمام الناس، وقررت ألا أكون مثله أبدًا...

أما إذا حضرنا فرحًا محترمًا، العروس بين النساء، والعريس فقط بين الرجال، كان أبي يقول: هذا العريس رجل؛ لأنه يستر زوجته، ويحمي شرفه... فكنت أحب أن أكون مثل هذا الرجل، وأستر زوجتي عن عيون الناس...

ومرت السنوات، وأحببت إحدى الفتيات، كنت أراها ملتزمة بدينها، وكان أبي يرى العكس، لكنني صممت على خطبتها، وبينما نحن نجهز للفرح،

أخبرتها أن الرجال سيكونون في مكان، بينما تجلس هي بين النساء، فرفضت هذه الفتاة بشدة وقالت: هل أنا لست جميلة حتى تحجبني عن الناس؟ لا بد وأن يرى الجميع أنني عروس جميلة، إنني أحلم بهذا اليوم من سنين...

هنا تذكرت كلمات أبي التي قالها لي في كل الأفراح التي مرت عبر سنوات طوال، والآن حان موعد الاختبار، هل سأكون رجلاً وأستر زوجتي، أم سأكون (....) شيئًا آخر؟

وقررت أن أكون رجلاً، وصممت على أن يكون الفرح محترمًا، لكن الفتاة رفضت، فتركتها فورًا، وقد كنت في قمة السعادة حين تركتها، وتحول حبي لها إلى كراهية عجيبة، لقد نجوت بشرفي، وساعدني على ذلك كلمات أبي البسيطة، لقد قررت أن أكون رجلاً وليس شيئا آخر، ورزقني الله تعالى من هي أحسن منها دينًا وخلقًا وجمالاً...

عندما تأخذ أطفالك لحضور حفل زفاف أحد الأقارب، فهذه ليست فرصة للسعادة والمرح فحسب، بل إنها فرصة كبيرة للتربية، فعندما يراك ابنك سعيدًا في عرس ما ؛ فهذا يعني أنك تقول له: ليكن فرحك مثل هذا، سواء أكان هذا الفرح فيه اختلاط ومعاصٍ، أم كان عرسًا طاهرًا جميلاً... وأنت أيها الأب الكريم، وأيتها الأم الحنون، لو تأملت ترتيبك ليوم زفافك، ستجد أنه كانت نتيجة (لأحلامك وقناعاتك) التي كونتها حول هذا اليوم، وهذه الأحلام جاءت من مجموعة الأفراح التي حضرتها على مدار سنوات عمرك الماضية، وتعليقات أبيك وأمك على هذه الأفراح؛ لذلك فنحن اليوم نرسم مع أطفالنا صورة يوم زفافهم في المستقبل.

يا بني (يا ابنتي)..
ماذا تفعل حين تُضطر للاختلاط؟

في قصة سيدنا موسى -عليه السلام- موقف جميل جدًّا عن كيفية تعامل البنت مع الاختلاط...

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣-٢٤].



لقد كانت هاتان الفتاتان مضطرتين لرعي الغنم بدلاً من أبيهما المريض، وهناك بئر واحدة يسقي منها الرعاء أغنامهم، وطبعًا تختلط وتمتزج الأغنام والأشخاص على البئر، فماذا تفعل هاتان الفتاتان؟ هل تختلطان بالرجال وتسقيان سريعا؟ أم تنتظران وتحرسان أغنامهما حتى ينتهى الرعاء من سقي أغنامهم؟

لقد اختارت الفتاتان الابتعاد عن الاختلاط ومزاحمة الرجال على البئر، واختارتا الطريق الأصعب؛ حفاظًا على العفاف والطهر، فكانت الفتاتان

تجمعان غنمهما، وتحرسانها في تعب ومشقة، فالقرآن الكريم يصف حالهما بقوله جل شأنه: ﴿تَذُودَانِ﴾ يعني تمنعان غنمهما من الاختلاط بأغنام الرجال، حتى لا تكون سببًا في اختلاطهما بالرجال...

ولما رأى موسى هذا المشهد تعجب من أمرهما، وسألهما: ما خطبكما؟ فأخبرتاه بالقصة، فما كان منه إلا أن سقى لهما، وكانت هذه أول بركات العفاف والبعد عن الاختلاط، ثم إن موسى جلس تحت الشجرة، لما جاءته إحدى الفتاتين تمشي على استحياء، ودعته - بكلمات محددة - لإجابة دعوة أبيها، ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ كلمات محددة تتعلم منها فتياتنا كيف تتصرف حين تضطر للكلام مع الرجال، فهدفها يجب أن يكون محددًا، وتعبر عنه بكلمات قليلة، وتقولها للرجل باستحياء وأدب، ولا تقل كلمة واحدة زائدة عن الحاجة، فلا تقل لمن يقدم لها خدمة: لا يوجد رجل مثلك، ليت كل الرجال مثلك...

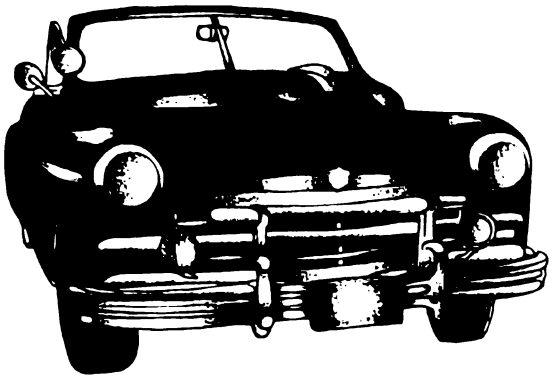
لقد كانت الفتاة عند البئر تعرف الرجال جيدًا، وتتعامل مع الاختلاط بذكاء، وما يؤكد ذكاءها أنها لما رأت ما فعله سيدنا موسى معها هي وأختها، جاءت أباها وقالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾، فقد رأت موسى قويا في سقيه للغنم، أمينا في تعامله معها هي وأختها، فلم يتكلم معهما بعد أن سقى لهما، فقضى المهمة ثم ذهب مباشرة ليجلس تحت الشجرة ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، فلم يقل سيدنا موسى للفتاتين بعد أن سقى لهما: أي خدمة أخرى، ولم يطل في الحوار معهما حول مشكلتهما، مع أنه غريب وجائع ومتعب

وحزين... وكان موسى -عليه السلام- أمينا مع الفتاة حين جاءته تدعوه للقاء أبيها، فقد جعلها تمشي خلفه وتدله على الطريق بالكلمات (يمين – شمال – إلى الأمام - هذا البيت)، وهذا درس للشباب في كيفية التعامل مع الاختلاط مع البنات بحكمة وذكاء...

لقد كانت الفتاة وأختها مبدعتين في التعامل مع الاختلاط (الضروري)، وكان موسى -عليه السلام- حكيما في التعامل معهما، وكانت نتيجة هذا العفاف وحسن إدارة الاختلاط خيرًا للجميع؛ إذ تزوجت إحدى الفتاتين بموسى عليه السلام، فجعلها العفاف زوجة لنبي من أولي العزم من الرسل، وكان عفاف سيدنا موسى -عليه السلام- سببًا في حصوله على مكان آمن يقضي فيه عشر سنوات بعيدًا عن بطش فرعون، كما رزقه الله تعالى زوجة وعملاً...

يقول أحد التجار:

أنا من أسرة ثرية جدًّا، وكنت في شبابي أبحث عن زوجة لكن بشروط صعبة جدًّا، فقد كنت أريد فتاة جامعية، ملتزمة بدينها، ولا تعرف أنني غني، فقد كنت أخشى أن تتزوجني من أجل مالي فقط... ولم تكن هذه بالمهمة السهلة...



وذات يوم تعطلت سيارتي فجأة، واكتشفت أن البنزين قد نفد، فسألت عن أقرب محطة وقود، فقالوا: اركب هذه السيارة ستوصلك إلى محطة البنزين، وركبت السيارة وكانت عبارة عن ميكروباص صغير فيه مقعدان

(طويلان) متقابلان، ولم يكن في السيارة غير فتاة وامرأة على مقعد، فجلست على المقعد المقابل وبدأت أنتظر، وبدأ الركاب في التوافد، فقلت في نفسي: أكيد هناك مقعد للرجال وآخر للنساء، لكن هذا لم يحدث، فقد اكتملت السيارة إلا موضعًا واحدًا بجوار الفتاة، وجاء رجل ليجلس في هذا المكان، ففوجئت بالفتاة تخرج من حقيبتها كتابًا كبيرًا، وتضعه بينها وبين الرجل حتى لا يلتصق جسمها بجسمه، فثار الرجل وصرخ: هل سنأكلك؟

واكتفت الفتاة بالصمت، وكذلك فعل الجميع، وانحدرت من عينيها دمعات حزينة... وانطلقنا.

ظللت طوال الطريق أراقب الفتاة والرجل، ومررنا بمحطة الوقود لكنني كنت قد نسيت أمر البنزين تمامًا، ولم أعد أفكر إلا فيما فعلته الفتاة؛ إذ لم أجد يومًا فتاة تفعل مثلها؛ ولذلك فهي قد تكون الكنز الذي أبحث عنه...

وصلت السيارة إلى وجهتها الأخيرة، ونزل الجميع من السيارة، وانطلقت ماشيًا خلف الفتاة لأعرف من تكون دون أن تشعر، وكانت المفاجأة أن أحد الجيران أخبروني أنها طالبة في كلية الطب، ومن أسرة فقيرة، وتضطر يوميًّا للتعامل مع الاختلاط في السيارات، فتحمي نفسها قدر المستطاع في عالم ينهش ما استطاع من أجساد البنات...

وهنا ذهبت لإحضار البنزين، ورجعت إلى السيارة وأنا أحمل في قلبي عنوان الفتاة، فقد قررت الزواج بها بعد أن أتأكد من خلقها ودينها...

وبمرور الأيام عرفت عنها خيرًا أكثر مما رأيته، فتزوجتها وعشت معها

أجمل أيام عمري، واليوم مضى على زواجنا أكثر من عشرين عامًا، وجدت خلالها ثمرة اختياري لفتاة تعرف ربها، وتعرف كيف تحمي نفسها...

ويقول أحد الآباء:

أولادي في مدارس مشتركة، ففي الفصل الواحد تجد الأولاد والبنات، فالبنات يجلسون في جانب، والأولاد في جانب آخر، وكل المدارس على هذا الشكل، فقررت أن أعطي أطفالي تطعيمات ضد الاختلاط وهم في المرحلة الابتدائية، وكنت كثيرًا ما أحذرهم من الجلوس بجوار البنات، وفي الصف الرابع والخامس أحذرهم من اللعب مع البنات؛ لأن الأولاد أقوياء وقد يصيب أحدهم بنتا دون أن يشعر وتحدث له مشكلة...

وكنت أسأل أولادي كثيرًا: ما أخبار الاختلاط اليوم؟ كيف تتصرفون بحكمة؟ وكيف يتصرف الأولاد الطائشون؟ وعن طريق هذه الحوارات عرفت مصائب، فعلاقات الغرام منتشرة في المرحلة الابتدائية، وخطابات الحب منتشرة بين الأولاد والبنات، وبسببها تحدث مشكلات كبيرة، وكنت أمدح أولادي وأكافئهم كلما ابتعدوا عن الاختلاط.

وذات يوم رجع ابني من المدرسة مسرورًا، وقال لي: لقد نجاني الله -تعالى- اليوم من مصيبة، لقد قامت المعلمة بإجراء اختبار نصف التيرم، ولكي لا يغش أحد من زميله، أجلست كل ولد بجوار بنت، والحمد لله أجلستني وحدي في المقعد الأخير... فقبلت رأسه فورا وقلت له: لقد نجاك الله -تعالى- لأن نيتك طيبة، لكن تعال نفكر لو اضطررت للجلوس بجوار بنت، فماذا تفعل حتى تحمي نفسك؟

وتقول إحدى الفتيات:

في مرحلة المراهقة كنت أذهب مع أمي لشراء ما أحتاجه من ملابس داخلية، وفي نهاية المرحلة الثانوية أخبرتني صديقتي أنها تشتري ملابسها الداخلية من محل متميز، وهناك موديلات جميلة وحديثة، فطلبت من أمي أن تسمح لي بالذهاب مع صديقتي لشراء ما أحتاجه، وبعد إلحاح شديد وافقت أمي، وذهبت مع صديقتي وأنا سعيدة جدًّا؛ لأنني لأول مرة أشتري بمفردي ما أحتاج إليه، ودخلت المحل مع صديقتي وكان متميزًا كما أخبرتني، لكنني فوجئت هناك بمصيبة، إن الذي يتعامل مع النساء ويناولهم الملابس الخاصة ويبدل المقاسات (رجل)، وليس سيدة كما كنت أرى في المحلات التي تشتري منها أمي، وكانت صديقتي تتعامل معه بطريقة عادية، تخيل أن تختار شيئًا خاصًّا جدًّا تلبسه وتطلب منه مقاس smole فيقول لها الرجل بوقاحة (طبيعية): هذا سيكون صغيرًا عليك، خذي مقاس large، وهي تتقبل كلامه بطريقة عادية جدًّا، بل وتبتسم له وتشكره.



ولأن فطرتي سليمة والحمد لله رفضت هذا الأمر تمامًا، وقلت لصديقتي: لن أشتري من هنا، فسألتني عن السبب؟

فقلت لها: كيف أتعامل مع رجل في مثل هذه الأمور الحساسة؟

لن أفعل ذلك أبدًا، ورغم

اعتراض صديقتي، ومشاهدتي لكثير من النساء يتعاملن مع الرجل بطريقة عادية (وقحة)، إلا أنني صممت على وجهة نظري، ورجعت للبيت وأنا مصدومة مما يحدث.

وحكيت لأمي ما حدث، فدمعت عيناها من الفرح، وضمتني إلى صدرها، وقالت: كم أنا فخورة بك يا ابنتي، ولقد نسيت أن أخبرك أن بعض المحلات النسائية (الخاصة) يبيع فيها رجال، وحاولت الاتصال بك لأحذرك من الشراء منها، لكنني لم أستطع وانشغلت بأعمال البيت، ودعوت الله تعالى أن يوفقك للخير، ولما رجع أبي أخبرته أمي - بفخر وسعادة - بما حدث لي، ففرح أبي كثيرًا وأثنى عليّ، وأعطاني مكافأة كبيرة.

وبعد هذا الموقف كان أبي يقول لي: علمي أخواتك كيف يتعاملن مع الرجال في المدرسة والسوق وغيرها، فأنت والحمد لله خبيرة، وطبعًا كانت أمي تتابعني وتعلمني ما أحتاج إليه؛ لأعلم أخواتي الصغيرات...

اسأل ابنتك (وابنك):

ما أفضل مكان تجلس فيه (تجلسين فيه) في الفصول الدراسية المشتركة؟ خير صفوف البنات هي الأبعد عن صفوف الأولاد.

ماذا تفعل لو: طلب منك زميلك (زميلتك) قلمًا أو كتابًا؟

احكِ لي موقفًا محرجًا حدث لك (أو لزميلك وزميلتك) بسبب الاختلاط.

ماذا تفعل لو:

- اضطررت في الحافلة للجلوس بجوار شاب (أو فتاة)؟

- ذهبت لبيت زميلتك، ففوجئت بأخيها (١٠ سنوات فأكبر) يجلس معكم؟

- دخلت عند الجارة، أو إحدى القريبات وتحرش بك أحد الأولاد (حاول لمسك – تقبيلك – احتضانك)؟

كيف تجعل أبناءك يرون الاختلاط على حقيقته؟

يقول أحد المعلمين:



لاحظت أن كثيرًا من الشباب والفتيات - في المرحلة الثانوية - يتعاملون مع الاختلاط على أنه شيء طبيعي، والسبب في ذلك أن هؤلاء الشباب منذ طفولتهم يرون الاختلاط بين الرجال والنساء عاديًّا في كل شيء، فالفصول الدراسية مشتركة تجمع بين الأولاد والبنات في مكان واحد، والأفراح والمناسبات العائلية عادة ما تكون مختلطة، وكل مظاهر الحياة تقريبًا مختلطة، فكبر هؤلاء الصغار وهم يعتقدون أن الاختلاط شيء عادي...

لكنني رأيت أن من واجبي كمعلم أن أجعلهم يرون الاختلاط على حقيقته، فدخلت فصل الصف الثالث الثانوي يومًا، ووزعت على الأولاد والبنات الاستبيان التالي:

الاختلاط هو تواجد الشباب والفتيات (الرجال والنساء) في مكان واحد

مع بعضهم، وامتزاجهم معًا كلامًا وجلوسًا وغيرها...

- والسؤال الآن: هل الاختلاط (حرام – حلال – لا أعلم)؟
- لو كانت هناك مدرسة مختلطة وأخرى غير مختلطة ماذا تختار؟ حافلة مختلطة وأخرى غير مختلطة ماذا تختار؟ ولماذا؟
- هل مرّ عليك موقف محرج بسبب الاختلاط؟

وطلبت من الأولاد والبنات أن يجيبوا عن هذا الاستبيان كتابة، ولا يكتبوا أسماءهم على الأوراق، حتى تكون إجاباتهم صادقة وأكثر واقعية...

وبعد انتهاء الأولاد والبنات من الإجابة، جمعت الأوراق، وأخبرتهم أنني سأخبرهم بالنتيجة بعد أسبوع...

ورجعت إلى البيت وأنا مشتاق لأعرف ماذا كتب الطلاب، ولما راجعت الأوراق، وجدت نسبة كبيرة منهم ترى أن الاختلاط حلال، ويفضلون المدارس والحافلات المختلطة (لأنهم يرون الاختلاط شيئًا عاديًّا منذ طفولتهم، وبعضهم يرى أن الحياة بدونه ستكون مملة)... لكن عددًا كبيرًا منهم كتب موقفًا محرجًا تعرض له بسبب الاختلاط، فجمعت كل المواقف المحرجة التي حدثت للبنات في ورقة، وطبعتها بعدد البنات في الفصل، وكتبت المواقف المحرجة التي حدثت للشباب في ورقة أخرى، وطبعتها بعدد الأولاد في الفصل، وهكذا أصبحت جاهزًا للموعد القادم معهم...

وبعد أسبوع وفي الموعد المحدد دخلت الفصل، وشكرت الأولاد والبنات

على تجاوبهم الجيد في الإجابة عن الاستبيان، وقلت لهم: الآن سأوزع عليكم النتيجة، وفيها المواقف السيئة التي حدثت لبعضكم بسبب الاختلاط، ولقد كتبت مواقف البنات في ورقة خاصة للبنات فقط، ومواقف الشباب في ورقة خاصة بهم، وذلك منعًا للإحراج... ووزعت عليهم الأوراق.

أولاً: مواقف محرجة خاصة بالفتيات

تقول إحدى الفتيات:

كنت في أيام الدورة الشهرية، وأضع فوطة صحية لأحمي ملابسي من دم الحيض، لكن الدم زاد عن الحد ووصل إلى ملابسي الخارجية، وظهر أثر الدم على ملابسي من الخلف، ورآه أحد زملائي، فأشار إلى ملابسي بإشارة لم أفهمها، فنادى على إحدى زميلاتي، وأشار لها بنفس الإشارة، فاحمر وجهها خجلا، وهمست في أذني قائلة: دم الحيض ظهر على ملابسك من الخلف... والله لقد تمنيت ساعتها أن أموت، وطلبت من والدي فورًا أن ينقلني إلى مدرسة أخرى، أو على أقل تقدير لفصل آخر، وتمنيت ألا أرى هذا الزميل في حياتي مرة أخرى، وقلت في نفسي: ليتني كنت في مدرسة للبنات فقط، ولم أتعرض لهذا الموقف المهين...



وتقول فتاة أخرى:

كنت في أيام الدورة الشهرية، وبينما أخرج فوطة صحية من حقيبتي؛ سقطت من يدي على الأرض، ورآها عدد من زملائي الأولاد، وضحكوا... ومن شدة ارتباكي وقعت أنا على الأرض، وأنقذتني

إحدى زميلاتي، وجلست أبكي، وحكيت لها ما حدث، فقالت: لا بد وأن نشكو هؤلاء الأولاد للمدير، فقلت لها: وماذا سنقول له؟ لن أفضح نفسي أكثر من ذلك...

وتقول فتاة ثالثة:

أثناء الفسحة، جلست في الفصل وحدي أعدل ملابسي، وبينما أنا على هذا الحال دخل أحد زملائي فجأة ليأخذ شيئًا من حقيبته، ورآني على هذا الحال، فاعتذر وخرج، لكنني كنت متأكدة أنه رآني في وضع غير لائق، وبدأت ألوم نفسي كثيرًا، ورجعت إلى البيت ودخلت غرفتي وبدأت أبكي لأنني شعرت بالإهانة، وفي اليوم التالي تمارضت حتى لا أذهب للمدرسة ولا أرى هذا الولد، ويومًا بعد يوم كرهت المدرسة، وضعف مستواي الدراسي، ولم أسترح إلا بعد أن انتقلت إلى فصل آخر...

ثانيًا: مواقف محرجة خاصة بالشباب

يقول أحد الشباب:

لم أكن أفكر في الحب يومًا، لكن من كثرة مشاهدتي للبنات في الفصل، وكثرة قصص الحب أعجبتني إحدى الفتيات، وتبادلت معها كلمات الحب ورسائل الغرام، وبادلتني المشاعر نفسها، وظللت أحبها لشهور، وأحلم بها ليل نهار، وفجأة اكتشفت أنها تحب زميلاً آخر، فملأ الحزن قلبي، وسألتها: لماذا الخيانة؟ فقالت بكل بساطة: هو أغنى منك وأجمل وأكثر شياكة في ملبسه...

وكانت النتيجة حالة نفسية مأساوية، لم يعد للطعام ولا للشراب طعم، لم

يعد للمذاكرة معنى، فكل شيء في حياتي أصبح باللون الأسود، وفقدت الثقة في نفسي، وفي نهاية المأساة حاولت الانتحار، لكن الله تعالى أنقذني، وقررت ألا أسلم قلبي لفتاة تلعب به بعد اليوم...

ويقول شاب آخر:

كنت أصعد يومًا على سلم المدرسة، وأمامي بعض البنات، وفجأة تعثرت إحداهن وسقطت باتجاهي، فتلقيتها بذراعي، وكانت النتيجة غريبة جدًّا، فقد اتهمتني الفتاة أنني من تسبب في تعثرها، رغم أنني أنقذتها من السقوط، ولقد فعلت ذلك لتنقذ نفسها من الإحراج، وبدلاً من أن تشكرني كذبت واتهمتني زورًا بأنني أمسكت قدمها لتقع...

وأصبح الأمر حديث المدرسة كلها، فهذا يقول: إنها أسقطت نفسها باتجاهك لأنها تحبك، وهذه تقول: إنه ولد فاجر ومحترف في الإيقاع بالبنات... وخشيت أن يصل الأمر إلى مدير المدرسة وإلى والدي فيعاقبني ظلمًا، لكن الله سلّم، ولم تشكني البنت للمدير؛ لأنها تعرف جيدًا أنني مظلوم.

ويقول شاب ثالث:



في فصلنا كان يجلس خلفي ولد مشاغب، يعاكس البنات كثيرًا، وذات يوم صنع صاروخًا من الورق، وجعله يطير باتجاه البنات، فسقط على إحداهن، وحدثت حالة من الهرج والمرج، كل هذا والمعلم يشرح، ولكي يحمي هذا الولد

نفسه؛ اتهمني - كذبًا - بأنني من فعل هذه الجريمة، ولم يعطني المعلم فرصة لأدافع عن نفسي، وجاء زميلي (المجرم) بشاهد زور من بين الزملاء وأكد روايته، فبرأه وأثبت علي التهمة، ولم أستطع الدفاع عن نفسي، فعاقبني المعلم، ووصل الخبر إلى مدير المدرسة فعاقبني ظلمًا، والأسوأ من هذا كله أن أبي صدق رواية المدير الخاطئة، ولم يدافع عني أمامه، وعاقبني هو الآخر، لكن سوء ظنه بي - رغم أنني مؤدب - كان أشد بكثير من عقابه لي...

ويقول شاب رابع:

أنا إنسان حساس جدًّا، وأرفض أن يهينني أحد المعلمين أمام زملائي، وخاصة أن فصلنا نصفه من البنات، وذات يوم سألني أحد المعلمين سؤالاً، فلم أجب عنه، فقرر أن يضربني، ورفضت ذلك بشدة، فحدث بيننا صراع عجيب، فهو يريد أن يثبت قدرته أمام طلابه وخاصة البنات، وأنا أريد أن أثبت للبنات أنني رجل، ونتيجة لذلك وقعت الكارثة، وضربت المعلم، وحدثت مشكلة كبيرة جدًّا، فُصلت على أثرها من المدرسة، ورسبت هذا العام، كل هذا بسبب وجود البنات في فصلنا، ولو كان فصلنا من الأولاد فقط لكان ضرب المعلم لي أقل إحراجًا بكثير، وكان تعامل الأولاد مع المعلمين أفضل بكثير، فوجود البنات يشجع الأولاد على مزيد من سوء الأدب مع المعلمين ليثبتوا أنهم رجال.

كيف يرى أبناؤك الاختلاط؟
وهل يعرفون كيف يحمون أنفسهم من مشكلاتهم؟

اجلس مع أولادك وبناتك وتحاور معهم - بهدوء - حول الأسئلة التالية:

هل الاختلاط (حرام – حلال – لا أعلم).

لو كانت هناك مدرسة مختلطة وأخرى غير مختلطة، ماذا تختار؟ حافلة مختلطة وأخرى غير مختلطة ماذا تختار؟ ولماذا؟

هل مرّ عليك موقف محرج بسبب الاختلاط؟

متى تتجنب الاختلاط ؟ وكيف تتعامل معه حين تضطر له؟

كيف تحمي نفسك من مشكلات الاختلاط الاضطراري في المستشفى والحافلة، وغيرهما؟

الاختلاط الإلكتروني
هل يشبه الاختلاط الواقعي؟

كثير من مصائب البنات تبدأ بـ cilk (ضغطة زر)

تقول إحدى الفتيات:

أنا والحمد لله فتاة ملتزمة بديني؛ ولذلك أبتعد في حياتي عن الاختلاط بالشباب، سواء أكان ذلك في بيت العائلة أم في الجامعة، ومع ذلك حدثت لي كارثة كبيرة بسبب الاختلاط، ليس الاختلاط الواقعي، بل بسبب الاختلاط الإلكتروني (على الإنترنت)...



لقد كنت أرى الاختلاط - الواقعي حرامًا وخطرًا، وكم حاول بعض الشباب (الذئاب) الإيقاع بي، لكنني والحمد لله كنت منتبهة جدًّا، ونجوت منهم بسلام، لكن نظرتي للاختلاط على الإنترنت كانت مختلفة، حيث كنت أراه شيئًا عاديًّا، وليس بحرام، وخاصة أنني لن أجلس في خلوة واقعية مع شاب، وسأحدد أنا الموضوعات التي سأتكلم معه فيها مع الشباب، وهذه النظرة الخاطئة كانت السبب في وقوعي في الكارثة...

لقد كنت أقبل صداقة الشباب على الفيس بوك وتويتر وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي، لكنني كنت ذكية (من وجهة نظري) ولا أختار إلا شبابًا ملتزمين، (وكيف يكون ملتزمًا من يكلم الفتيات في أمور عامة وخاصة؟)، ويومًا بعد يوم توطدت علاقتي بأحدهم، وبدأت أحكي له على الفيس بوك خصوصيات حياتي، أحكي له أحزاني حين أكون حزينة، أنقل له أخبار أسرتي، فيواسيني ويسعدني بكلماته وآرائه الجميلة، وكان في الوقت نفسه يكلمني عن أخباره ومشكلاته...

وفجأة طلب مني مقابلته، وأقسم أن هذا اللقاء من أجل الزواج وليس من أجل اللعب للعب، فوافقت بعد إلحاح شديد منه، وأكرمني الله -تعالى- بأن أخذت صديقتي معي في هذا اللقاء، وهذا أغضبه كثيرًا وقال: كنت أريدك وحدك...

هذه الكلمة كانت كفيلة بأن أفهم ما يريده مني، لكنني كنت غبية، وحاولت صديقتي أن تشرح لي كم هو كاذب ومخادع، لكنني لم أصدقها؛ لأنني أحببته على الإنترنت قبل أن أراه، وبدأت أقابله بمفردي، ومرة بعد مرة سلمت له نفسي، وحدثت الكارثة، فطلبت منه أن يتزوجني بأي طريقة، ووعدني بذلك ثم اختفى فجأة، وحاولت الوصول إلى بيته وعمله، لكنني اكتشفت أن كل المعلومات التي أعطاها لي كانت كاذبة، كل ما كتبه على الإنترنت كان كذبًا، ولم يكن شابًّا ملتزمًا كما كان يدعي، بل كان ذئبًا متخصصًا في استدراج الفتيات الملتزمات على الإنترنت، والأعجب من ذلك أنني اكتشفت بعد فترة من الزمن أن هذا الشاب قد يكون غير مسلم من الأساس...

☺ يا ابنتي.. هل تسمحين لنفسك بالاختلاط على الإنترنت؟

كثير من البنات تبتعد عن الاختلاط الواقعي (في المدرسة – في النادي – في الجامعة – وغيرها)، لكن بعضهن يتساهلن في الاختلاط مع الشباب عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وهذا الاختلاط قد يكون أشد خطرًا من الاختلاط الواقعي، لأن الفتاة إن جلست مع شاب في حديقة أو نادٍ، فسيكون هناك حدود للكلام بينهما، وكل منهما يخفض صوته حتى لا يسمعهم أحد...

أما على الإنترنت فليس هناك أعين تراقب، وليس هناك حدود للحوار، وكل منهما يحكي للآخر خفايا نفسه، وفي الاختلاط الإلكتروني قد تظن البنت أنها لن تقع في شر، لأنه ليس اختلاط واقعي وليس (حرام)، فتترك لنفسها العنان، حتى تقع في المصيبة، فقد تتبادل البنت أسرارها وصورها الخاصة مع شاب (ذئب)، يجعلها سيفًا مسلطًا على رقبتها يومًا ما، ويهددها بالفضيحة إذا لم تسلمه نفسها، فتكون البنت بين الاستسلام للذئب، أو الفضيحة أمام الأهل، وللأسف كثير من البنات تختار الاستسلام، فيأخذ منها الذئب ما يريد، ثم تحدث الفضيحة أمام الأهل بعد ذلك...

ومن هنا يجب على كل مربي أن يعلم بناته (وأولاده) قواعد الاختلاط على الإنترنت، ويعلمهم أن الأصل عدم الاختلاط على الإنترنت، فلا تسمح البنت بصداقة ولد على الفيس، وكذلك لا يفعل الولد، فالشاب يصاحب الشباب، والفتاة تصاحب الفتيات عبر صفحات التواصل الاجتماعي، والرجل يشكو همومه لأصدقائه الرجال، والفتاة تشكو همومها لصديقاتها الفتيات، هذا هو الأصل ولا يجوز الاختلاط الإلكتروني إلا لحاجة أو ضرورة

ملحة، كطلب العلم وسؤال العلماء وغيرها، وللتواصل بين الرجال والنساء على الإنترنت قواعد مهمة، منها:

- تكون الكتابة في المجموعات العامة بحيث يراها الجميع، أما أن تكتب على الخاص فلماذا ترسل لها رسالة خاصة باسمها؟ وأنتِ لماذا ترسلين له رسالة خاصة باسمه؟
- لا تمدح الفتاة رجلاً وتثني عليه كثيرًا، لأن المدح الكثير طريق للحب، وكذلك يحذر الشاب من مدح فتاة كثيرًا حتى لا يتحرك قلبها نحوه.
- لا تنادِ الطرف الآخر باسمه مجردًا، فذلك يرفع الكلفة ويوطد علاقة لا داعي لها.
- لا تتحدث عن أسرارك الشخصية، ولا تضع صورتك ومعلوماتك الشخصية، فالفتاة التي تضع صورتها على مواقع التواصل الاجتماعي لا تدري من سيأخذ هذه الصورة، وأين ستمضي هذه الصورة، وكيف ستستخدم؟
- اجتهد أن تتم الكتابة في أوقات النهار: فمن أراد أن يكتب شيئًا على صفحة التواصل الاجتماعي (للجنس الآخر) فليكتب نهارًا، أما الكتابة ليلًا لغير ضرورة وحاجة، فهذا يسقط الاحترام والعفاف الاجتماعي بين الرجال والنساء، فالبنت حينما تكتب رسالة لأحد الشباب في الثانية ظهرًا، لها معنى يختلف تمامًا عن كتابتها في الثانية ليلا، كما أن كثيرًا من الذئاب البشرية لا يصطادون الفتيات إلا ليلاً؛

لأنه يعلم أنها في الليل ستكون وحيدة بعيدا عن أهلها، والشيطان معها يساعده على الإيقاع بها.

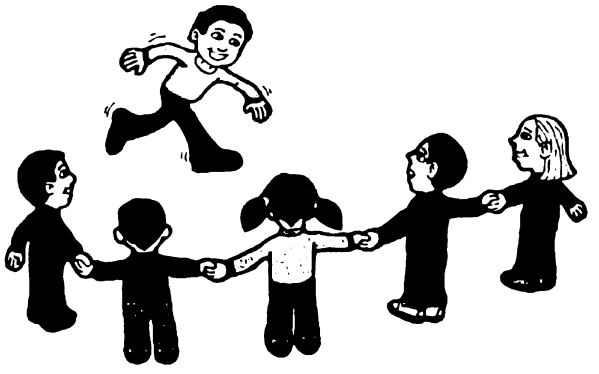
- لا تظن البنت أن وضعها منشورات دينية على صفحتها سيحميها من التحرش الإلكتروني، فهناك ذئاب متخصصون في الإيقاع بالفتيات الملتزمات.

❊ ❊ ❊

متى نمنع الاختلاط بين الأولاد والبنات خلال اللعب؟

متى نفصل بين الأولاد والبنات في اللعب؟ وفي أي سن نجعل الأولاد يلعبون وحدهم والبنات وحدهن؟

لكي نجيب عن هذا السؤال، لا بد أن نقف وقفة تأمل أمام قول النبي ﷺ: «مُروا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنينَ، واضربوهُم عليها وهمْ أبناءُ عشرٍ، وفرِّقوا بينهُم في المضاجعِ»[1]...



ولكي نفهم هذا الحديث النبوي الشريف ونفهم الأصول الجنسية والشرعية الواردة فيه، علينا أن نسأل أولاً: ما معنى قول النبي ﷺ وهم أبناء سبع؟ وهم أبناء عشر؟

إننا عندما نقول هذا الولد ابن سنة، يعني أنه قد مضى من عمره عام، وعندما نقول: هذه البنت ابنة ثلاث سنوات، فهذا يعني أنها تمت ثلاث سنوات من عمرها وبدأت في الرابعة، وتبعا لذلك نفهم قول النبي ﷺ: «مروا

(١) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٩٥.

أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين»، فهذا يعني أن نأمر أولادنا بالصلاة عند تمام سبع سنين وفي أول يوم من السنة الثامنة، وعندما يقول النبي ﷺ: «واضربوهم عليها لعشر»، فهذا يعني أن نضربهم على ترك الصلاة بعد تمام عشر سنوات، وفي بداية العام الحادي عشر من عمرهم...

والآن نعود للحديث النبوي الشريف لنفهم ما فيه من قواعد شرعية للتربية الجنسية الأسرية...

النبي ﷺ يخبرنا أن بداية الأمر بالصلاة يكون بعد تمام سبع سنوات هجرية، وفي أول يوم من السنة الثامنة، وهذه هي السن المناسبة لأمر الطفل بالصلاة، وقبل هذه السن كان الطفل صغيرًا، فيصلي في البيت أحيانًا، وأحيانًا أخرى يأتي إلى المسجد، لكنه كان يفعل ذلك بإرادته وعلى سبيل اللعب والتقليد، وكنا نسمح له أحيانًا بالصلاة دون وضوء لأنه صغير، أما حين يتم الطفل سبع سنوات ويبدأ في عامه الثامن فيجب أن نأمره بالوضوء والصلاة...

وفيما مضى كان الولد صغيرًا، وكنا نسمح له بالصلاة مع أمه في مسجد النساء، لكننا اليوم بعد أن أتم سبع سنوات سنأمره بالصلاة مع الرجال فقط، فقد أصبح كبيرًا ولا يصح له الصلاة بين النساء، والبنت كذلك نأمرها عند تمام السابعة أن تصلي مع النساء بعيدًا عن الرجال.

وهكذا يتضح أن اكتمال سبع سنوات – للولد والبنت - هو بداية الفصل بين الجنسين في الصلاة، وهذه إشارة واضحة إلى العمر المناسب لبداية الفصل بين الأولاد والبنات في اللعب وفي بقية شئون الحياة، فعندما تتم البنت سبع سنين نمنعها من اللعب مع الأولاد في العائلة والنادي وغيرها، وكذلك الحال بالنسبة للولد...

وفي الحديث النبوي الشريف أمر بالفصل بين الأولاد والبنات في النوم، فالنبي ﷺ يقول: «وفرقوا بينهم في المضاجع»، لكنك قد تسأل: متى نفرق بين الذكور الإناث في أماكن النوم؟

ولكي تعرف الإجابة هيا بنا نعيد قراءة الحديث مرة أخرى، يقول النبي ﷺ: «مُروا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنينَ واضربوهُم عليها وهمْ أبناءُ عشرٍ، وفرِّقوا بينهُم في المضاجعِ»، وهنا اختلف العلماء في قراءة الحديث...

فبعضهم قال: وفرقوا بينهم في المضاجع معطوفة على قول النبي ﷺ: «مروا ابناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين»، وعلى ذلك يكون الفصل بين الأولاد والبنات في النوم وغيره عند تمام سبع سنوات...

وبعض العلماء قال: قول النبي ﷺ « وفرقوا بينهم في المضاجع» معطوفة على قوله: «واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»، فالتفريق في أماكن النوم يكون بعد تمام العشر...

وما نلاحظه في زماننا من النضج المبكر للأولاد والبنات، يجعل الأولى – تربويًّا – هو الفصل بين الجنسين في النوم بداية من تمام سبع سنين، وهو نفس السن المناسبة للبدء في الفصل بين الأولاد والبنات في الصلاة واللعب وغيرها، ونبدأ في هذه السن في تدريب أطفالنا على اللعب مع أبناء جنسهم، ويستمر التدريب ثلاث سنوات، حتى يتم الفصل النهائي والحازم عند تمام العاشرة، أما لو حدث بلوغ مبكر للبنت قبل هذه السن، فنأمرها فورًا بالتوقف عن اللعب مع الذكور.

وعندما نتأمل حال أصحاب النبي ﷺ، نجد أنهم قد فرقوا بين الذكور والإناث في اللعب من سن ٧ إلى عشر سنوات، فهذه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- تحكي لنا أنها كانت تلعب مع البنات (فقط) وهي في سن التاسعة؛ روى البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت:

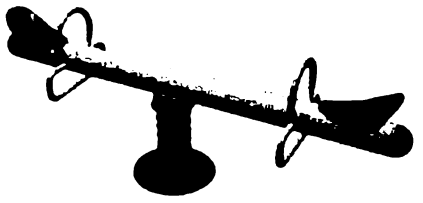
قدمنا المدينة (بعد الهجرة) فوعكت شهرًا (أصابتها الحمى وتساقط شعرها)، فوفى شعري جميمة (يعني بعدما شفاني الله -تعالى- طال شعري حتى وصل إلى أذني)، فأتتني أم رومان (أمها زوجة سيدنا أبي بكر) وأنا على أرجوحة ومعي صواحب لي، فصرخت بي (أمي) فأتيتها، وما أدرى ما تريد، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج (يعلو نفسي ويهبط من اللعب والجري) حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت (أمي) شيئا من الماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من النصار في البيت، فقُلْن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه، وأنا يومَئذٍ بنت تسع سنين، فبنى بي (يعني تزوجني) وأنا بنت تسع سنين[1]...

وفي هذا الموقف الجميل نلاحظ أن السيدة عائشة - رضي الله عنها - وهي بنت تسع سنين تلعب مع صاحباتها (الفتيات)، وفي مكان خاص بهن، وهنا

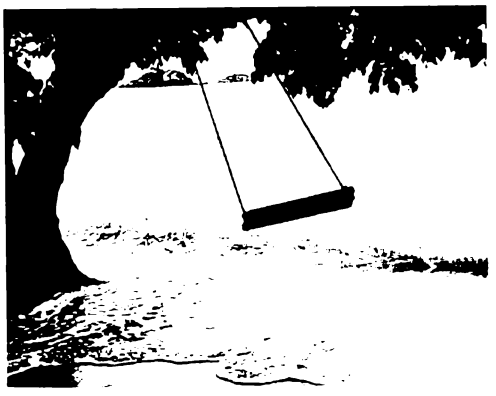
---

(١) تزوج النبي ﷺ السيدة عائشة وعمرها تسع سنوات، وتوفي النبي وعمرها ثماني عشرة سنة، وعندما تزوجت السيدة عائشة بالنبي ﷺ وعمرها تسع سنوات كانت قد شبت شبابًا حسنًا رضي الله عنها، ولقد قال الإمام مالك والشافعي وأبو حنيفة رحمهم الله: حد زواج البنت أن تطيق الجماع، ويختلف ذلك باختلافهن، ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح، وليس في حديث عائشة تحديد، ولا المنع من ذلك فيمن أطاقته قبل تسع، ولا الإذن فيه لمن لم تطقه وقد بلغت تسعًا.

ندرك أن من حق الفتيات أن يكون لهن مكان خاص بهن يلعبن فيه، والجميل أن العلماء بحثوا في نوع المراجيح التي كانت موجودة في المدينة المنورة، فكان هناك نوعان من المراجيح:



النوع الأول: يذكره الإمام النووي رحمه الله فيقول: و(الأرجوحة) بضم الهمزة هي خشبة يلعب عليها الصبيان والجواري الصغار، يكون وسطها على مكان مرتفع، ويجلسون على طرفها ويحركونها فيرتفع جانب منها وينزل جانب... ومن هنا يتضح أن هذه الأرجوحة كانت عبارة عن خشبة عرضها ٣٠ سنتيمتر وطولها ٦ أمتار، يكون وسطها على مكان مرتفع، ويجلس الأطفال على طرفيها، ويحركونها، فيرتفع طرف وينخفض الطرف الآخر.



النوع الثاني: تذكره السيدة عائشة -رضي الله عنها- فتقول: «إني لعلى أرجوحةٍ بينَ عِذْقَيْنِ، فجاءَتْني أمي، فأَنْزَلَتْني، وساقت الحديث»[1]...

ومن وصف السيدة عائشة يتضح أن هذا النوع من الأرجوحة عبارة عن حبل مربوط بين عذقين (نخلتين)، وتجلس الفتاة في وسطها وتحركها ذهابا وإيابا...

---

(١) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٤٩٣٧.

يقول أحد الآباء:

لما قرأت قول النبي ﷺ: «وفرقوا بينهم في المضاجع»، قلت في نفسي: إذا كان التفريق بين الذكور والإناث (الأشقاء) في أماكن النوم يكون بحد أقصى عندما يتمون عشر سنوات؛ وذلك حتى لا يحدث بينهم احتكاك جسدي، وللحفاظ عليهم من إثارة الشهوات وهم نائمون، فمن باب أولى التفريق بين الأولاد والبنات (غير الأشقاء) بعد سن العاشرة أثناء اليقظة في أنشطة الحياة المختلفة، وخاصة خلال اللعب، حتى لا يحدث خلال نوع من الاحتكاك البدني والقلبي بين الأولاد والبنات، وحفاظًا عليهم من إثارة الشهوات، ومن هنا بدأت أعلم أولادي وبناتي أنهم عندما يتمون عشر سنوات، سيتوقف الولد عن اللعب مع البنات، والبنت لن تلعب إلا مع البنات...

ويقول أب آخر:

إذا تعلم الطفل في الثامنة من عمره أنه بدأ يكبر، وفي هذه المرحلة العمرية عليه ان يترك اللعب مع البنات، ويلعب مع الأولاد فقط، فإنه بمرور الوقت وصبر والديه سيتعود على ذلك، فإذا بلغ العاشرة من عمره يصبح الابتعاد عن اللعب مع البنات أمرًا طبيعيًّا، وقد يعترض أحيانًا على منعه من اللعب مع البنات، وقد تحدث بعض استثناءات، لكن هذه القاعدة ستظل أصلاً في حياته بعد ذلك.



أما إذا تركنا الولد يلعب مع البنات حتى بداية المراهقة، ثم قلنا له الآن عليك

ألا تلعب مع البنات؛ فهذا سيكون صعبًا عليه، وسيعترض ويتمرد، وهذا بالضبط هو ما حدث مع ابني، فقد تركته يلعب مع البنات حتى بلغ الثالثة عشرة من عمره، واكتشفت فجأة أنه على وشك البلوغ، فخفت عليه من اللعب مع البنات، وبدأت أنهاه عن اللعب معهن، ووعدني أن يفعل ذلك، لكنه وجد صعوبة كبيرة في الابتعاد عنهن؛ لأنه تعود لسنوات طويلة أن يلعب معهن دون قيد أو شرط...

وذات يوم كنت مع ابني عند جده وجدته، وكان يلعب مع أولاد عمه الصغار يلعبون أمامنا، وفجأة جاء ضيوف ومعهم بنت مراهقة (١٦ سنة)، وهذه البنت كانت تلبس بنطلون جينز وبلوزة، وبدأت البنت تشترك مع الأولاد في اللعب، فخفت على ابني من الاحتكاك بهذه الفتاة (الجريئة)، فناديت عليه وقلت له همسًا في أذنه: لا تلعب مع هذه البنت، فأنت كبير.

فقال معترضًا (بصوت منخفض وغاضب): أنا لا أحضنها، ولا أقبلها، نحن نلعب أمام الجميع، وليس هناك شيء خاطئ في لعبنا.

فقلت له: توقف عن اللعب معها فورًا، وهيا اصعد معي إلى شقتنا.

فقال معترضًا أمام الجميع: لا، لن أصعد.

فكظمت غيظي حتى لا تتفاقم المشكلة، وتركته، وصعدت لشقتنا، وانتظرته.

وبعد نصف ساعة جاء ابني معتذرًا، وقال: والله كان لعبًا جميلاً، ولم نفعل شيئًا خاطئًا، وكنا نلعب بلعبة أوراق أمام الجميع في صالة البيت.

فقلت له: من الواجب على الولد أن يبتعد عن اللعب مع البنات في سن عشر سنوات، لكنني تركتك حتى وصلت ١٣ سنة؛ لأنني لم أكن أعلم أنه ينبغي الفصل بين الأولاد والبنات في اللعب عند سن العاشرة، بل وقبل ذلك.

فاعترض الولد وقال: ولم تحرمون الولد والبنت من لذة اللعب معًا؟

فقلت له: إن التفريق بين الولد والبنت في اللعب لمصلحة الجميع، فالأولاد لعبهم عنيف (كرة – مصارعة – جري...)، أما البنات فلعبهن رقيق (عروسة - تمثيل...)، وعندما يلعب الولد مع البنات قد يضرب إحداهن - رغمًا عنه - وهي ضعيفة فيصيبها ويؤذيها، فيتعرض الولد للعقاب والبنت للإصابة، والسبب الثاني أن الولد قد يقوم بحركة طبيعية تفهمها البنت خطأً، وتظن أنه يتحرش بها أو يفعل معها شيئًا غير مؤدب، فتشكوه لأهلها أو للمعلمين في المدرسة، وطبعًا سيصدقون البنت ويعاقبون الولد رغم أنه مظلوم، وهناك سبب ثالث وهو حماية الولد والبنت من الوقوع في الحب المبكر، فتتعب قلوبهما لأنهم لن يستطيعا الزواج في مثل هذه السن المبكرة...

وبعد حوار جميل وصبر كبير؛ تفهّم ابني الأمر، ووعدني أن يبدأ في الابتعاد - قدر المستطاع - عن اللعب مع البنات، لكنه ختم كلامه بقوله: ليتك يا بابا علمتني هذا الأمر في سن مبكرة، لو فعلت ذلك كان الأمر سيصبح سهلا، أما الآن فالأمر صعب على نفسي لأنني أحببت اللعب معهن، لكنني أعدك أنني سأحاول...

وفي اليوم التالي ذهب ابني إلى المدرسة، ولما رجع جاء وجلس بجواري وقال: عندي سؤال؛ لو كنت ألعب مع أبناء عمي، وجاءت هذه البنت

وأرادت الاشتراك معنا في اللعب، فماذا أفعل؟

فعلمت أنه يفكر فيما حدث بيننا ليلاً، وظل يفكر فيه خلال تواجده بالمدرسة، وأدركت أنه يفكر فعليًّا في الابتعاد عن اللعب مع البنات، فقلت له: أنا سعيد أنك تفكر في الأمر، فهذا يعني أنك ولد مؤدب وتنوي فعلاً الابتعاد عن اللعب مع البنات، وسأقول لك ماذا تفعل؛ أخبرها أنه لا يصح لها أن تلعب معكم لأنها بنت.

فقال: هذا لا يمكن لأنني بذلك سأحرجها.

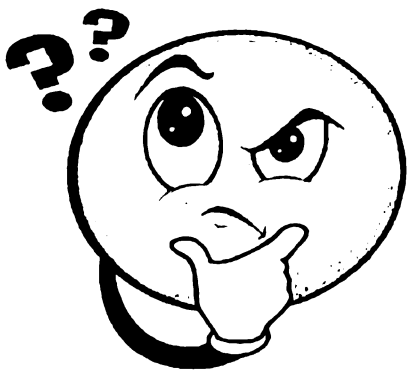
قلت له: جميل، هناك حل آخر، يمكنك أن تطيل دور اللعب مع أبناء عمك الذكور، وتماطلها حتى تمل وتنصرف.

قال: وإن لم يفلح ذلك؟

فقلت له: عندها تترك أنت اللعب معهم لله، وتأكد أن الله -تعالى- سيسعدك لأنك تركت شيئًا حرامًا من أجل رضاه...

فابتسم ابني وسكت، ثم انصرف وهو راضٍ بما قلته له... والحمد لله.

☺ كيف تقول لابنك لا تلعب مع البنات؟ وكيف تقولها لابنتك؟



لا تصرخ في وجه ابنك وابنتك...

واستخدم معهما المدح، فقل لابنك:« أنت ما شاء الله كبرت، فلا تلعب مع البنات »، وقل لابنتك: «أنتِ يا ابنتي كبرت، وأصبحت

عروسة؛ فلا تلعبي مع الأولاد »...

وعندما يسمع الولد أو البنت هذه الكلمات - الممزوجة بالمدح - كثيرًا، وعلى مدار شهور أو أكثر، بداية من عمر ثماني سنوات وحتى نهاية العاشرة من العمر، يصبح اللعب بعيدا عن الجنس الآخر جزءًا من تركيبه النفسي؛ لأن ما تكرر تقرر، ما تكرر سماعه تقرر في النفس العمل به...

وبعد أن توصي ابنك بهذا الأمر كثيرًا، فمن الوارد أن تراه أحيانًا يكسر هذه القاعدة، وهنا عليك أن تتعامل معه بهدوء، فإذا رأيت ابنتك مثلاً تلعب مع الأولاد، فلا تصرخ فيها أمامهم حتى لا تهينها وتدفعها للعناد، اكظم غيظك، ونادِ عليها بعيدًا عنهم، وربِّت علي كتفها - بحب - لأنها ربما تأتي خائفة، وقل لها: هل هذا ما اتفقنا عليه؟ هيا بنا بعيدًا عن الأولاد... وهكذا تنجح بإذن الله في إقناع ابنتك بالابتعاد عن اللعب مع الأولاد؛ لأنه لا يكون الرفق في شيء إلا زانه...

☺ اضبط ابنك (ابنتك) متلبسًا بحسن السلوك

كثير من الآباء والأمهات ينتبه لأبنائه فقط عندما يخطئون، فيضبطهم متلبسين بسوء السلوك، فإذا رأى أحدهم ابنته (التي تبلغ عشر سنوات) تلعب وسط الأولاد؛ فإنه ينهرها وقد يعاقبها...

لكن هذا الأب نفسه حين يرى ابنته تلعب وسط البنات بعيدًا عن الأولاد؛ فإنه للأسف لا ينتبه لها، ولا يكافئها، مع أن المطلوب أن يضبط ابنته متلبسة بحسن السلوك ويمدحها ويكافئها، فيقول لها: أنا سعيد لأنك تلعبين

مع البنات بعيدًا عن الأولاد، أو يقول لها: لك مني مكافاة لأنني رأيت البنات يلعبن لعبة سيئة وأنت رفضت مشاركتهم هذه اللعبة...

وهذه الطريقة (ضبط الأبناء متلبسين بحسن السلوك) تجعلهم يركزون على الأفعال الإيجابية، ويفعلونها أكثر حتى يتلقوا من والديهم مزيدًا من المدح والمكافأة، وهذه الطريقة تجعل الأبناء يشعرون أنهم ناجحون وأهل للثقة، أما حين نركز فقط على سلبياتهم، ولا نضبطهم إلا متلبسين بسوء السلوك، فإنهم سيعتقدون أنهم سيئون، ولا يفعلون إلا ما هو خاطئ، فيستسلمون للخطأ ويصبح فعل الصواب ثقيلاً على نفوسهم...

يقول أحد الآباء:

ذات يوم كنت جالسًا في بيت أبي (جد الأولاد)، وكنت أجلس في الصالة مع أمي وابنة أخي التي تبلغ من العمر ١٠ سنوات، وكان اثنان من أولاد عمها يلعبان في غرفة الصالون، أحدهما ١٣ سنة والآخر ١١ سنة، وبينما نحن كذلك نادى أحد الولدين على البنت قائلًا: تعالي لتشاهدي ما لدينا من ألعاب... فقلت في نفسي: هذا الولد يستدرجها للعب معهما، فيا ترى ماذا ستفعل هذه البنت؟ هل ستنتبه لحيلة الأولاد؟ أم ستقع في الفخ؟ كل هذا دار في ذهني للحظات، ثم قلت في نفسي: سأنتظر حتى أرى ما سيحدث...

وفوجئت بالبنت ترد على ابن عمها بكل ثقة وتقول: من يريد أن يريني شيئًا فليأتِ إلى هنا...

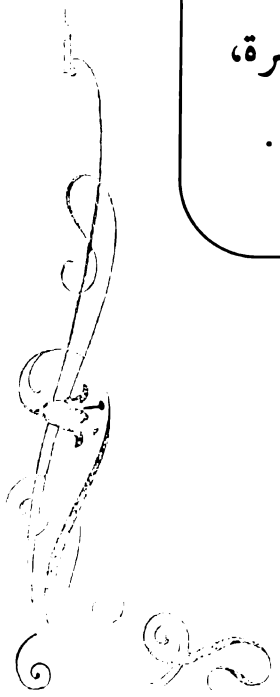
فأعجبني تصرفها وقلت لها: أنت بنت ممتازة وذكية...

ثم ناديت على الولدين وقلت لهما: يا شباب، لا أحد ينادي على (ابنة عمكم) لتلعب معكم، فهي قد أصبحت كبيرة، ولا تعلب مع الصبيان، ولا تجلس معهم في مكان بمفردهم...

وفي المساء جاءت البنت مع أبيها لزيارتنا، فأخبرت والدها بموقفها الجميل حين رفضت الذهاب للعب مع الأولاد، ومدحتها أمام أبيها، ففرحت البنت بذلك كثيرًا، وتأكدت أنها تسير في الطريق الصحيح حين تبتعد عن اللعب مع الأولاد، ولا تجلس معهم في مكان بمفردهم بعيدًا عن أعين الكبار، حتى لو كان هؤلاء الأولاد هم أبناء عمها، ولقد فرح أبوها كثيرًا بتصرف ابنته الذكي، ومدحها بكلمات رقيقة وجميلة...

وطبعًا لم نسئ الظن بالولدين (أبناء عمها) اللذين كانا يريدان اللعب معها، ولم نتكلم عنهما بسوء...

السن المناسبة للفصل بين الأولاد والبنات في اللعب والنوم وغيره هو من ٧ إلى ١٠ سنوات، من تمام السبع وحتى تمام العشر، فنبدأ عند تمام السابعة، وبشيء من التدرج والرفق نصل إلى تمام السنة العاشرة، وقد أصبح الفصل بين الجنسين واقعًا طبيعيًّا في حياة أولادنا وبناتنا...



هل تسمح لابنك أن ينام في بيت فيه اختلاط؟

عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال:

بعثني (أبي) العباسُ إلى النبيِّ ﷺ، وهو في بيتِ خالتي ميمونةَ (زوج النبي ﷺ)، فبِتُّ معه تلك الليلةَ[١]، فجاءَ رسولُ الله ﷺ بعدَما أمسى فقالَ: أصلَّى الغلامُ؟ (يعني أصلى العشاء؟)، قالوا: نعَم[٢]، فتحدث النبي ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد[٣]...



فقُلْتُ (في نفسي): لأَنْظُرَنَّ (الليلة) إلى صلاةِ رسولِ الله (في قيام الليل)، وقلتُ لخالتي: إذا قام رسولُ الله ﷺ (لقيام الليل) فأيقظِيني[٤]...

واضطجَعْتُ في عَرْضِ الوِسادَةِ، واضطجَعَ رسولُ الله ﷺ وأهلُه في طولِها.

---

(١) صحيح مسلم ح ر ٧٦٣.

(٢) صحيح أبي داود ح ر ١٣٥٦.

(٣) صحيح البخاري ح ر ٤٥٦٩.

(٤) صحيح البخاري ح ر ٤٥٧٠، و صحيح مسلم ٧٦٣.

فلما كان ثلثُ الليلِ الآخرِ قَعَدَ رسول الله (استيقظ)، فجَعَلَ يَمْسَحُ النومَ عن وجهِه بيديه، ثم نَظَرَ إلى السماءِ فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وقرَأَ العشرَ الآياتِ الخواتمَ مِن سورةِ آلِ عمرانَ، ثم قام إلى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ (قربة ماء معلقة)، فتسوَّك ﷺ وتوضأ، وأسبغ الوضوءَ ولم يُهرِقْ من الماءِ إلا قليلًا[١]...

ثم حرَّكني ﷺ فقمتُ، وتَوضَّأتُ معَهُ، وصنعت مثلما صنع رسول الله ﷺ[٢]...



ثم قام يُصَلِّي (من الليلِ)، فقمتُ أُصلِّي معهُ، وقمتُ (ووقفت) عن يسارِهِ، فأخذ بأُذني؛ فأخلفَني (أدارني من خلفه للناحية الأخرى) فجعلني عن يمينِه[٣]...

فوضَعَ رسولُ الله ﷺ يدَه اليمنى على رأسي، ثم أخَذَ بأُذُني اليمنى يَفْتِلُها، فجعلتُ إذا أغفَيتُ (خلال الصلاة بجوراه) يأخذ بشحمةِ أُذُني (يفتلها) كأنَّهُ يوقظُني[٤]...

فصلَّى رسول الله ﷺ ركعتين ثم ركعتين (حتى أتم اثنتي عشرة ركعة)، ثم

---

(١) صحيح البخاري ح ر ٤٥٦٩، ح ر ٤٥٧١.

(٢) صحيح مسلم ح ر ٧٦٣، و صحيح أبي داود للألباني ح ر ١٣٦٤.

(٣) صحيح البخاري ح ر ٦٩٩، ح ر ٧٦٣، ح ر ٦٣١٦ ، وصحيح مسلم ح ر ٧٦٣.

(٤) صحيح البخاري ح ر ٤٥٧٢، وصحيح مسلم ح ر ٧٦٣، وصحيح أبي داود للألباني ح ر ١٣٦٤.

أَوْتَرَ (صلى الوتر)، فتكاملتْ صلاةُ رسولُ الله ﷺ ثلاثَ عشرةَ ركعةً.

ثم نام ﷺ حتى جاءه بلال (المؤذن)، فقالَ: الصَّلاةَ يا رسولَ الله، فقام ﷺ فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرَجَ فصلى الصبحَ (الفجر)، فجعل يقول في صلاتِه أو في سجودِه: « اللهمَّ اجعلْ في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، واجعلْ لي نورًا، أو قال واجعلْني نورًا »[1].

أيها المربي الكريم...

قصة مبيت عبدالله بن عباس عند خالته ميمونة - زوج النبي ﷺ - لها أهمية كبيرة عند علماء الحديث؛ حيث تعددت رواياته وكثرت شروحه، أما الفقهاء، فقد اهتموا بهذا الحديث كثيرًا، واستنبطوا منه أكثر من مائة فائدة في فقه قيام الليل وصلاة الفجر وإكرام الضيف وإيقاظه للصلاة وغيرها، أما علماء التربية فقد أخذوا من هذا الحديث فوائد تربوية كثيرة، يحتاجها الآباء والأمهات قبل أن يرسلوا ابنهم (ابنتهم) للمبيت عند أحد الأقارب، وقبل أن يستضيفوا أحد الأقارب الصغار للمبيت عندهم....

وهنا سؤال مهم: كم كان عمر عبدالله بن عباس حين نام في بيت خالته ميمونة؟

لقد كان عبدالله بن عباس طفلاً صغيرًا لم يبلغ الحلم بعد، فقد كانت ولادة ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين وبنو هاشم محاصرون في شعب أبي طالب،

---

(١) صحيح البخاري ح ر ٤٥٧١، و صحيح مسلم ح ر ٧٦٣، و صحيح أبي داود للألباني ح ر ١٣٦٤.

وتوفي النبي ﷺ وعبدالله بن عباس ١٣ سنة [١]، ويحكي لنا عبدالله بن عباس أنه كان في حجة الوداع غلامًا لم يبلغ الحلم، روى الإمام مسلم عن ابن عباس قال: أقبلتُ راكبًا على أتانٍ (أنثى حمار) ، وأنا يومئذٍ قد ناهزتُ الاحتلامَ (قارب البلوغ ولم يبلغ بعد) ، ورسولُ الله ﷺ يصلي بالناسِ بمنًى، فمررتُ بين يديِ الصف، فنزلتُ فأرسلتُ الأتانَ ترتَعُ ، ودخلتُ في الصف، فلم يُنكِرْ ذلك عليَّ أحدٌ... وحجة الوداع كانت في العام العاشر للهجرة، وتوفي النبي بعدها بعدة أشهر، وهكذا يكون كل ما حدث بين النبي ﷺ وابن عباس كان قبل بلوغه، وقبل أن يصل إلى سن ١٣ سنة.

ومن هنا ندرك أن عبدالله بن عباس كان غلامًا صغيرًا - أقل من ١٣ سنة - عندما كان ينام في بيت خالته ميمونة، ولقد أخذ العلماء من ذلك جواز مبيت الصغير عند محارمه...

* * *

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣ / ٧٠٣.

ما مواصفات البيت الذي تسمح لابنك (وابنتك) بالمبيت فيه؟

يقول عبدالله بن عباس في بداية قصة نومه في بيت خالته: بعثني (أبي) العباسُ إلى النبيِّ ﷺ، وهو في بيتِ خالتي ميمونةَ (زوج النبي ﷺ)، فبِتُّ معه تلك الليلةَ...

وهنا نلاحظ أن الأب (العباس رضي الله عنه) هو من أرسل ابنه للمبيت في بيت خالته؛ لأنه بيت النبي ﷺ، ومن نام فيه ليلة كان من أسعد الناس، ومن نام فيه ليلة تعلم خيرًا كثيرًا...



ولبيت النبي ﷺ مواصفات مهمة جعلت العباس يرسل ابنه للمبيت فيه...

☺ في بيت النبي ﷺ حرص على الصلوات

لما دخل النبي ﷺ بيته - ووجد ابن عباس نائمًا عنده - سأل عن ثلاثة أشياء تخص الصبي الذي نزل ببيته ضيفًا...

فسأل النبي ﷺ السيدة ميمونة رضي

الله عنها: أنام الغليم[١]؟

ثم سألها ﷺ: أفلا عشيته إن كان عندك شيء؟ قالت: قد فعلت[٢].

وفي الثالثة سأل ﷺ: أصلى الغلام؟ فقالت له: نعم.

لقد دخل النبي ﷺ إلى بيته وهو يعلم أن عبدالله بن عباس سينام هذه الليلة عند خالته ميمونة رضي الله عنها، فقال لها ﷺ حين دخل حجرتها: يا ميمونة؛ أتاك ابن أختك؟ فقالت: بلى، هو ذا نائم (وعبدالله بن عباس مضطجع وليس بنائم ويسمع الحوار كله)...

وهنا سأل النبي ﷺ سؤاله الأول: أنام الغليم؟

والغليم تصغير للغلام، وفيه تلطف مع الغلام ومع خالته، وإشعار لها بأن ابن أختها مرحب به، وهذا من حسن خلق النبي ﷺ، ولِمَ لا وهو الذي قال ﷺ: «إنما الخالة أم[٣]»، فهو ﷺ يعرف محبة السيدة ميمونة لابن أختها، ويقدر مدى سعادتها بنومه عندها هذه الليلة، فيشعرها ﷺ أنه مثلها سعيد بمبيت ابن أختها عندهم الليلة، ويسألها ﷺ: أعشيته؟ وهذا من كرم النبي ﷺ، فهو يعلم أن الخالة المحبة لن تتأخر عن عشاء ابن اختها، لكنه يسأل زيادة في الاطمئنان، وليعبر عن محبته لزوجته وابن أختها الصغير.

---

(١) روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: «بتُّ عندَ خالتي مَيمونةَ بنتِ الحارثِ فصلَّى رسولُ الله ﷺ العِشاءَ، ثمَّ رجعَ إليها، وَكانت ليلتَها، فصلَّى رَكْعتينِ، ثم قالَ: أنامَ الغليم؟ أو أنام الغلام؟ وأنا أسمعُهُ» قال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر: مسند أحمد ٥ / ١٠٢، و ٥ / ٦٤.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢ / ١٣١، وإسناده ضعيف.

(٣) صحيح أبي داود للألباني ح ر ٢٢٧٨.

ثم يسأل النبي ﷺ عن صلاة الصغير فيقول: أصلى الغلام؟ يعني أصلى العشاء قبل أن ينام؟

فتجيبه السيدة ميمونة رضي الله عنها: نعم...

فالسيدة ميمونة راجعت صلاة ابن اختها الصغير، وسألته عنها قبل أن ينام، والنبي ﷺ يرجع من المسجد فيسأل عن صلاة الصغير الذي نزل ببيته ضيفا، وفي هذا دليل على أن صاحب البيت مسئول عن صلاة الصغير الذي ينزل في بيته ضيفا، بل ومسئول عن جميع فروضه، فإن كنا في رمضان فهو مسئول عن صيامه، وإن كنا في يوم الجمعة فهو مسئول عن حضوره للجمعة مبكرًا ويشجعه على سماع الخطبة ويكافئه على ذلك...

يقول أحد الشباب:

مع أن أبي وأمي لا يصليان، إلا أنني أصلي، والسبب في محبتي للصلاة هي خالتي، فكيف حدث ذلك؟

لقد كنا نسكن في المدينة، بينما تسكن خالتي في القرية، وكانت أمي ترسلني كل عام - في الإجازة الصيفية - لأقضي عند خالتي قرابة الشهر، وكان بيت خالتي مختلفًا تمامًا عن بيتنا، فالصلاة عندهم كانت رقم واحد في حياتهم، بينما لا أحد في بيتنا يصلي، ولقد كانت خالتي تحبني كثيرًا، وتكرمني هي وزوجها، وتعاملني كواحد من أبنائها، وتشجعني على الصلاة بلطف؛ ولذلك أحببت بيت خالتي وأحببت الصلاة، وفي نهاية الشهر كانت خالتي تودعني قائلة: سأحزن كثيرًا لأنك ستعود إلى بيتكم ولن أراك إلا في العام القادم، لكن الصلاة ستبقى صلة بيننا، فأنا سأدعو لك في سجودي، وأنت ستدعو لي في سجودك...

كانت كلمات خالتي تقلل من حزني على فراقهم، فقد كنت أحبهم كثيرًا، وأشعر عند فراقهم أنني سأترك في بيتهم قطعة من قلبي، وهكذا أعود إلى بيتنا حزينًا، لكن ما إن أسمع الأذان حتى تعود الحياة إلى قلبي، وأتذكر ما اتفقت عليه مع خالتي، فأسرع نحو الصلاة لأدعو لخالتي في السجود، وأنا على يقين أنها في الوقت تدعو لي في سجودها، وكم كانت خالتي صادقة في حبها؛ ومبدعة في تربية ابن أختها حين يزورها، وحين يغيب عنها...

وتقول إحدى الأمهات:



منذ صغري أعشق صلاة الفجر وتلاوة الأذكار بعدها، والسبب في ذلك خالتي، فقد كانت أمي ترسلني لأقضي عندها عدة أيام، وخاصة أن لديها بنتًا في مثل عمري، كنت أنام مع ابنة خالتي في مكان خاص بنا، وقبيل الفجر كانت خالتي توقظ أهل البيت جميعًا، ويذهب الأولاد مع أبيهم للصلاة في المسجد، بينما أصلي مع خالتي وابنته في البيت، وبعد الصلاة يجلس الجميع لتلاوة الأذكار، ثم نتناول الإفطار وكان دائمًا عبارة عن فول وبيض وجبن، لا زلت أذكر هذا، رغم أنه حدث منذ ما يزيد على ثلاثين سنة، لكن حلاوة صلاة الفجر في بيت خالتي لا يمكن أن تنسى، واليوم أجتهد مع زوجي وأولادي لنستمتع معًا بصلاة الفجر وما بعده من أذكار وإفطار...

ما الجديد (والجميل) الذي يجده الأطفال في بيتك عند زيارتك؟

يا صاحب البيت، عندما يأتيك ضيف صغير من أبناء أقاربك، فإنه فرصة ذهبية لتربح أكبر قدر ممكن من الحسنات، فإن علمته خيرًا سيحافظ عليه عشرات السنين، وإن رأى خيرًا في بيتك وطبقه في بيته مستقبلاً كان الأجر لك أنت، واعلم أن والد الطفل وأمه لما أرسلا طفلهما إلى بيتك للزيارة أو المبيت، فمعنى هذا أنهم يحبونك ويثقون فيك؛ ولذلك أرسلوا إليك أغلى ما يملكون في هذه الحياة .

☺ وفي بيت النبي ﷺ لا يوجد اختلاط ولا كشف للعورات

كان بيت السيدة ميمونة -رضي الله عنها- عبارة عن حجرة واحدة فقط، ومع ذلك استقبلت ابن اختها بمحبة، وهي تعلم أن النبي ﷺ يحب زيارته، وكان الإبداع النبوي في طريقة نوم الثلاثة في نفس الحجرة وعلى نفس السرير؛ دون اختلاط أو كشف للعورات، ويصف لنا عبدالله بن عباس طريقة نومه تلك الليلة فيقول: واضطجَعْتُ في عَرْضِ الوِسادَةِ، واضطجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ وأهلُه في طولِها.

هكذا نام عبدالله بن عباس على نفس الوسادة مع النبي ﷺ، لكن في اتجاه آخر، وفي مكان منفصل عن مكان نوم النبي ﷺ وزوجته، فالوسادة واحدة، لكن عبدالله بن عباس يضع رأسه على طرفها وينام بالعرض، بينما ينام النبي ﷺ وزوجته على الوسادة نفسها ولكن بالطول، إنه الأدب النبوي الكريم،

نعم ينام الصغير في بيت خالته، والبيت عبارة عن غرفة واحدة، لكن لا اختلاط فيه ولا كشف للعورات؛ لأن هناك إبداعًا في استخدام أقل الإمكانات لستر العورات ومنع الاختلاط...

يقول أحد الشباب:

عندما كنت في مرحلة المراهقة، كان بيتنا ملتزمًا ليس فيه اختلاط، فكنت أشعر بالهدوء والسكينة؛ لأنه لا توجد في بيتنا مثيرات، لكن أبي كان يخطئ خطأ كبيرًا عندما كان يتركني للمبيت عند جدي، حيث كنت ألعب هناك مع بنات عمتي دون أن يراقبنا أحد، وخلال اللعب يحدث احتكاك بيني وبين البنات، فكانت شهوتي تشتعل، وبدأت للأسف أتحرش بهن؛ وشيئًا فشيئًا وصلنا إلى مرحلة القبلات والأحضان، ومن شدة تأجج الشهوة كنت أحيانًا أنزل المنيّ خلال هذا اللعب والأحضان، وظللت ألعب معهن لعبًا جنسيًّا لسنوات دون أن ينتبه أحد، فلا أبي انتبه حين تركني دون رقابة في بيت فيه اختلاط، ولا عمتي انتبهت لبناتها وهن يلعبن معي...

☺ وفي بيت النبي ﷺ علاقات أسرية جميلة

إن الصغير عندما يذهب إلى بيت خالته، ويبيت عندهم، تكون عيناه مثل الرادار يلتقط كل صغيرة وكبيرة تحدث حوله، ورغم صغر سنه يكتشف نوع العلاقة بين الزوجين، ويكتشف مدى المحبة بينهما، وهذا ما فعله عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حين نام تلك الليلة في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها، فيصف لنا حال النبي ﷺ مع زوجته فيقول: فتحدث النبي ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد...

فبعد أن سأل النبي ﷺ عن صلاة الغلام الضيف، ورأى أن الصغير قد

نام، جلس ﷺ يتكلم مع زوجته السيدة ميمونة ساعة قبل أن ينام، وفي هذا أدب نبوي جميل، فالنبي ﷺ يؤنس زوجته بالحوار معها، ويستمع لها وهي تتحدث رغم أنه يأتيه الوحي من السماء، وقد كان النبي يستمع لزوجاته وهن يسردن الأحاديث الطوال، كما في حديث السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن أم زرع وزوجها أبي زرع، إن الحوار الراقي بين الزوجين يظهر من خلاله - لمن يسمعهما - درجة حبهما لبعضهما، ومدى تأدب كل منهما مع الآخر...

وهناك ملاحظة أخرى جميلة، وهي أن النبي ﷺ اكتفى في هذه الليلة بالكلام مع زوجته وفقط، فلم يداعبها أبدًا بأي درجة من المداعبة التي تحدث بين الزوجين، سواء باللفظ أو اليد أو غيرهما، وذلك مراعاة لنوم الصغير بالقرب منهما، وهذه رسالة مهمة للآباء والأمهات، وهي ألا يكشفوا عوراتهم، ولا يمارسوا أي نوع من العلاقات الحميمة عندما ينام أحد أطفالهم (أو ضيوفهم) معهم في الغرفة...

تقول إحدى الفتيات:

كان بيتنا عبارة عن حلبة مصارعة، لا تمر ساعة دون صراخ وسباب وضرب، وكان أبي يضرب أمي ويهينها، وكانت أمي مسكينة بين يديه، فلا تستطيع أن ترد عليه كلمة، أو تمسك له يدًا، وكان أبي يهينها بطريقة بشعة، وهذا جعلني أكره الزواج تمامًا، خوفًا من أن أكون يومًا مثل أمي مقهورة ومضروبة ومهانة، فعدم الزواج أرحم من هذا كله، ويوما بعد يوم كنت أكره الزواج أكثر...

وذات يوم ذهبت للمبيت في بيت خالتي، وكنت أتوقع أن أجد خالتي

تهان مثل أمي، لكنني فوجئت أن زوجها يكرمها، فإن وضعت له الطعام قال لها: سلمت يداك، وإن صنعت له كوب شاي قال لها: جزاك الله خيرًا... ولم أسمعه - خلال إقامتي عندهم - يشتمها أو يهينها، فقلت في نفسي: ما هذا؟ هل هناك بيوت تكرم فيها المرأة؟ لم أكن أتخيل ذلك، فقد كنت أعتقد أن البيوت كلها مثل بيتنا، لكنني اكتشفت أن هناك أملاً، ومن يومها بدأت أدعو الله كثيرًا ألا يرزقني زوجا مثل أبي...

☺ وفي بيت النبي ﷺ مكافأة للصغير حين يُحسن

لقد تكررت زيارة عبدالله بن عباس لبيت خالته ميمونة، وبات عندها أكثر من مرة، وفي إحدى الليالي كان له مع النبي ﷺ قصة أخرى...

ويحكي لنا عبدالله بن عباس ما حدث في هذه الليلة فيقول:

دخل النبي ﷺ الخلاء (الحمام) من الليل، فوضعتُ له وَضوءًا (وضعت للنبي ﷺ الماء الذي سيتوضأ به بعد خروجه الحمام).

فقال ﷺ (بعد أن خرج من الخلاء): من وضع هذا؟

فقالت ميمونة: يا رسول الله، وضع لك هذا ابن عباس.

فقال ﷺ: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»[(١)].

وفي رواية قال ابن عباس: فضَمَّنِي رسولُ الله ﷺ: (إلى صدره) وقال: «اللهم عَلِّمْهُ الكتابَ»[(٢)].

---

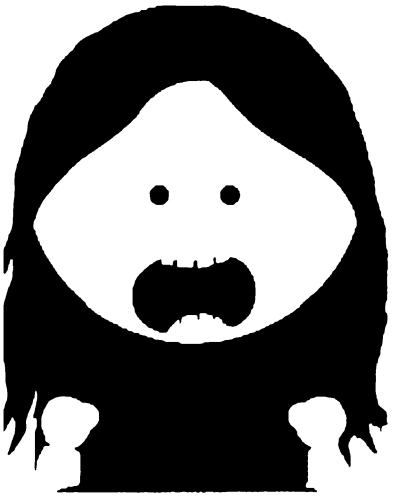
(١) صحيح البخاري ح ر ١٤٣، ومسند الإمام أحمد ٥ / ١٥، وصحيح دلائل النبوة للألباني ح ر ٢٤٥.

(٢) صحيح البخاري ح ر ٧٥، وفي رواية أخرى للبخاري يقول ابن عباس: ضَمَّنِي النبيُّ ﷺ إلى صدرِه وقال: «اللهمَّ، عَلِّمْه الحكمةَ» صحيح البخاري ح ر ١٢٩، والحكمة هي القرآن وفهمه والعمل به.

فهذا عبدالله بن عباس يبيت للمرة الثانية في بيت خالته ميمونة، وهذه المرة يرى النبي يدخل الخلاء (الحمام) ليلاً ليقضي حاجته، فأسرع بتجهيز الماء الذي سيتوضأ به النبي ﷺ عقب خروجه، ووضعه أمام باب الحمام، وهذا من فقه عبدالله بن عباس، فلقد رأى ما يحتاجه النبي ﷺ وأسرع في تجهيزه دون أن يطلب منه أحد، وهنا كافأه النبي ﷺ بضمه إلى صدره، ودعا له بأن يفقهه الله في الدين ويعلمه تأويل القرآن وتفسير آياته...

ولقد أخذ العلماء من هذا الحديث جواز احتضان الصبي القريب على سبيل العطف عليه وشكره على خير فعله؛ إذ كان ابن عباس يومئذٍ غلامًا صغيرًا...

وهنا رسالة مهمة جدًّا للآباء والأمهات: قد يتطوع ابنك يومًا ويفعل خيرًا في البيت دون أن يطلب منه أحد، فلا تجعل هذا الموقف يمرّ دون أن تشكره، ويكون الشكر بنفس طريقة حبيبك النبي ﷺ، فتشكره بضمه إلى صدرك، وتدعو له بكل خير، فالدعاء مكافأة، وضم الطفل إلى صدرك مكافأة، وكلها أجمل بكثير من المكافآت المالية الأخرى...



وهناك رسالة ثانية للآباء والأمهات: قد يرفض الطفل فعل أشياء في بيته، لكنه يقبل فعلها في بيت عمه أو خالته، وقد تطلب منه أمه شيئًا ويرفضه، بينما ينفذه حين تطلبه من خالته، فماذا تفعل حين يذهب ابنك لزيارة خالته، ويفعل هناك أشياء طيبة، فتفرح به خالته

وتتصل بأمه قائلة: ابنك رجل فعل كذا وكذا، فماذا تفعل أمه؟ هل ترد عليها قائلة: والله لا يفعل شيئًا من هذا عندنا، لماذا يسمع كلامك ولا يسمع كلامي؟ هذا ولد لئيم...

إن فعلت الأم ذلك فإنها تفضح ابنها، وتشوه صورته أمام أقاربه، وهذا لن يفيدها في شيء، والأفضل من ذلك أن تعتبر شكر خالة الطفل في الولد علامة حسن تربية أمه له، فهي حين تمدح الولد تمدح أمه التي ربته، وعلى الأم ألا تلوم الولد حين يفعل خيرًا في بيت خالته أو عمته، بل تخبره أنها سعيدة لأنه يشرفها ويرفع رأسها، لأنه بأفعاله الطيبة يخبر الجميع أن أمه قد أحسنت تربيته، فتقول له أمه: أنا سعيدة لأنك فعلت كذا لخالتك، لكن لا تنس أمك من هذا الخير، فهي أولى الناس ببرك...

كم فائدة اكتسبها عبدالله بن عباس من نومه - ليلة واحدة - في بيت خالته؟

هذا السؤال يمكنك أن تفكر فيه مع شريك حياتك، وأقاربك، وزملائك في العمل، ثم تسألهم: ما الذي يتعلمه الأطفال عند زيارتك؟ وعندما يبيت أحدهم عندك؟

ويمكنك أن تعطي حديث - نوم ابن عباس في بيت خالته - لأولادك مكتوبًا في ورقة، وتقيم بينهم سباقًا فيمن يستخرج أكبر قدر ممكن من الأشياء التي تعلمها عبدالله بن عباس في بيت النبي ﷺ، ولا تنس الجوائز، ثم تسأل أبناءك: ماذا تستفيد عندما تبيت في بيت خالك؟ عمك؟ جدك؟ ما أكثر بيت تحب أن تبيت فيه؟

☺ وفي بيت النبي ﷺ قيام الليل يحبه الصغار

مع أن عبدالله بن عباس كان غلامًا صغيرًا حين نزل ضيفًا عند رسول الله ﷺ، إلا أنه ﷺ لم يكتف بالاطمئنان على صلاته للفريضة بقوله للسيدة ميمونة: أصلى الغلام (العشاء)؟ بل أيقظ النبي ﷺ عبدالله بن عباس لقيام الليل، ولم يفعل النبي ﷺ ذلك إلا لأنه يعلم أن الضيف الصغير يحب ذلك، ولعله ﷺ قد علم أن عبدالله بن عباس قد أوصى خالته قبل أن ينام قائلًا: إذا قام رسولُ الله ﷺ (لقيام الليل) فأيقظِيني..

ولقد أيقظه النبي ﷺ برفق شديد، حتى قال ابن عباس عن إيقاظ النبي ﷺ له: فحرّكني رسول الله ﷺ... هذا كل ما فعله النبي ﷺ لإيقاظ الصغير، فلم يقل له: استيقظ، ولم يرش وجهه بالماء، فقط حركه بلطف، فإذا استجاب الصغير وقام للصلاة فهذا خير، وإن لم يستجب فقد يكون متعبًا ويحتاج لمزيد من النوم، فتحريك النبي للصغير النائم نوع من الاختبار لقدرة الصغير على القيام، وانطلاقًا مما فعله النبي ﷺ مع ضيفه الصغير عبدالله بن عباس؛ قال العلماء: إنه يجوز إيقاظ الضيف الصغير لقيام الليل، لكن بشرط أن يكون الصغير قادرًا على قيام الليل، وأن يتم إيقاظه برفق وتشجيع ومحبة.

ولكي يشجع النبي ﷺ عبدالله بن عباس على الصلاة، جعله يتوضأ معه من إناء واحد، ولقد كان ابن عباس سعيدًا جدًّا بذلك حتى قال: فتوضأت معه، وصنعت مثلما يصنع...

ولم يكتفِ النبي ﷺ بذلك، بل إنه كلما وجد النوم يتسلل إلى عبدالله بن عباس خلال الصلاة، كان النبي ﷺ يضع يده الشريفة على رأس عبدالله بن

عباس، ويمسك بشحمة أذنه يحركها ويداعبها، وذلك لإيقاظ الغلام الصغير وإشعاره بالأنس، كان النبي يفعل ذلك وهو في صلاته، حتى قال ابن عباس: «فجعل يقرأ وهو يفتل أذني»[1]...

وهكذا يتلطف النبي مع ابن عباس حتى في صلاته، ومن هنا قال العلماء: إن الفعل اليسير في الصلاة لا يفسدها (كأن تربت الأم على طفلها، وغيره)، وأنه يجوز فتل أذن الصغير (وتحريكها بلطف) وإيقاظه خلال الصلاة، وخارج الصلاة، فإن فتل أذن المتعلم وحافظ القرآن (بلطف) - حين يشرد بذهنه - يكون أدعى لفهمه، وزيادة في تركيزه.

يقول إمام أحد المساجد:



ذات عام وفقنا الله - تعالى- للاعتكاف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، وشارك معنا عدد كبير من الآباء، والجميل أن كل واحد منهم أحضر أولاده ليعتكفوا معه، ولقد كان برنامج الاعتكاف المسائي صعبًا على بعض الأطفال؛ إذ إننا نصلي التهجد (في ثلث الليل الآخر) بثلاثة أجزاء، فكان بعض الآباء يشفقون على أبنائهم ويتركونهم نائمين، ولا يوقظونهم إلا وقت السحور، والبعض الآخر كان يوقظ أبناءه في آخر ركعتين من التهجد، لكن أحد الآباء

(١) المعجم الكبير للطبراني ح ر ١٢١٩٤.

كان يصمم على إيقاظ طفله البالغ من العمر ثمانية أعوام ليصلي التهجد كاملاً، وفي الليلة الأولى تعب الولد كثيرًا من كثرة الصلاة، لكن أباه لم يرحمه، ولم يسمح له بترك بعض الركعات ليرتاح، وفي اليوم التالي بينما نوقظ الجميع لصلاة التهجد، فوجئنا بهذا الطفل يصرخ: تهجج لأ، تهجج لأ... لقد نام خائفًا من التهجد، وعندما جاء أبوه يوقظه لصلاة التهجد، صرخ المسكين: تهجج لأ، وهو يقصد: تهجد لأ... لقد أصيب المسكين بما يشبه الصدمة العصبية، ورغم ذلك كان أبوه يصمم على إيقاظه لصلاة التهجد كاملاً، ويظن أنه بذلك يربي ابنه، وكانت النتيجة أن الولد هرب من الاعتكاف في آخر يومين، ولم يعد إليه مرة أخرى، وفي السنوات القادمة امتنع هذا الولد تمامًا عن الاعتكاف مع أبيه، بينما حضر بقية الأولاد مع آبائهم؛ لأنهم كانوا يترفقون بهم في قيام الليل...

ويقول أحد المعلمين:



كنت أدرّس للصف الرابع الابتدائي، وكان هناك ولد له حال عجيب، فقد كان ينام في أغلب الحصص، ويكون متكاسلاً طوال النهار، ورغم أن كثيرًا من المعلمين كانوا يصرخون فيه حتى يستيقظ، إلا أنه كان ينام رغمًا عنه، فجلست معه يومًا وتكلمت معه برفق ومحبة، وقلت له: لماذا تنام كثيرًا في الفصل؟

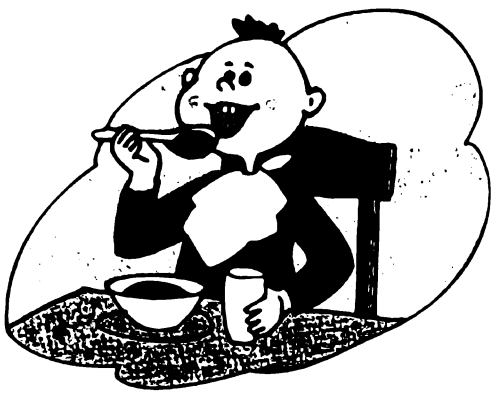
فدمعت عينا المسكين وقال: لأن أمي توقظني كل يوم في الساعة الثانية ليلاً، وتجعلني أصلي حتى الفجر، وكلما نمت خلال الصلاة نهرتني أمي بشدة، فأضطر للاستيقاظ خلال الليل لترضى أمي، وأنام في المدرسة فيغضب المعلمون.

فتكلمت مع المشرف التربوي وحكيت له قصة هذا الولد المسكين، فقرر أن يتصل بأمه، وأن يطلب منها أن تترفق بالولد، لكنها لم تستجب لكلامه، وبقيت على حالها مع ابنها، وظل الولد يصلي ليلاً حتى يرضي أمه، وينام في المدرسة فيوبخه المعلمون.

ومرت سنوات، ورحل هذا الولد إلى المرحلة الإعدادية (المتوسطة)، وظللت أتابع أخباره حتى وصل إلى المرحلة الثانوية، وهناك استطاع أن يتمرد على أمه، وترك قيام الليل؛ لأنه كان يصليه مكرها، بل إنه للأسف ترك الصلاة تمامًا، وسلك طريق الانحراف، ويعلم الله كم حزنت لحاله، ودعوت له كثيرًا حتى يكرمه الله تعالى أن يكرمه بمن يدله على طريق الخير برفق وهدوء...

☺ وفي بيت النبي ﷺ يأكلون الحلال ويتركون الشبهات

كان النبي ﷺ وأهل بيته في منزلة عالية؛ لذلك حرم الله -تعالى- عليهم الأكل من أموال الصدقة، وقد ذكر العلماء بعض الحكم التي لأجلها حرمت الصدقة على ﷺ محمد وأهل بيته، فقالوا: إن الله -تعالى- حرم الصدقة على النبي ﷺ وعلى أهل بيته حفظًا لمكانته من أن يرتفع عليه من هو أدنى منه بصدقة أو زكاة، وحتى لا يطعن فيه المشركون بأنه ينتفع من الصدقات.



وذات يوم كان الحسن بن علي -رضي الله عنهما- في منزل جده ﷺ، وأمسك الحسن تمرة من تمر الصدقة، ووضعها في فمه ليأكلها، فماذا فعل النبي ﷺ معه؟

روى البخاري ومسلم أن الحسنَ بنَ عِلِيٍّ أخذَ تمرَةً مِن تمرِ الصَّدَقة، فجعلها في فيهِ (في فمه)، فقال له النبيُّ ﷺ بالفارِسيَّةِ: «كِخْ، كِخْ، ارم بها»؛ ليطرحها (يعني ليخرجها الحسن من فمه)، ثم قال ﷺ للحسن: «أما تَعْرِفُ أنا لا نأْكُلُ الصدَقةَ»، وفي رواية: «إنا لا تحل لنا الصدقة»...

فرغم أن الحسن بن علي -رضي الله عنهما- طفل صغير، ولم يبلغ من العمر ثماني سنوات [1]، إلا أن جده ﷺ منعه من أكل تمرة حرامًا، وجعله يخرجها من فمه ويرمي بها، وأخبره ﷺ أنها من تمر الصدقة، وأن آل محمد لا يحل لهم أكل الصدقات...

ولم يكن بيت النبي ﷺ بعيدًا عن الحرام فقط، بل كان بعيدًا عن الشبهات، روى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأَنْقَلِبُ (أرجع) إلى أهلي، فأَجِدُ التمرةَ ساقطةً على فراشي، فأَرْفَعُها لآكُلُهَا، ثم أَخْشَى أن تكونَ من (تمر) الصدقةً؛ فأُلْقِيها»...

---

(١) توفي النبي ﷺ والحسن بن علي - رضي الله عنهما - ثماني سنوات، وأخوه الحسين - رضي الله عنه - سبع سنوات.

سألت عددًا من الآباء والأمهات:

ما أهم شرط يجب أن يتوفر في البيت الذي تترك ابنك (ابنتك) يبيت فيه؟

فقال أحدهم: أهم شرط في هذا البيت أن يكون طعامهم حلالاً، فأنا أجتهد في إطعام أبنائي من حلال، وأبتعد عن الشبهات، فلا يذهب لبيت أحدهم يومًا، ويكون طعامهم حرامًا أو فيه شبهة، فيأكل ابني هناك لقمة؛ تفسد تربيتي له، وتضيع تعبي معه...

ما مواصفات البيت
الذي تسمح لابنك (وابنتك) بالمبيت فيه؟

لا بد وأن يكون أصحاب هذا البيت محارم (خالته – عمته – جده...)، ويكون أصحاب هذا البيت محبًا للطفل ومرحبًا باستقباله، ولا يأكلون غير الحلال، ونأمن فيه على الطفل من الحرام؛ فلا يذهب الطفل إليهم فيعود إلى بيته مكتسبًا معصية ما، ويحافظ هناك على الصلوات، وليس فيه اختلاط ولا كشف عورات، ويعود من عندهم وقد كسب خيرًا...

الفهـــرس

المقدمـــــــة ٣
الأصل الأول: ثلاث عورات لكم ١١
عندما يقوم المعلم الحكيم بالتربية الجنسية ١٦
ماما.. هل أنا شاذ جنسيًّا؟ ١٦
كيف نتعامل مع غرفة نوم الوالدين؟ ١٨
هذا ما سيحدث لابنك عندما يرى مشهدًا جنسيًّا داخل البيت ٢٣
الأصل الثاني: فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ٢٧
الوقفة الأولى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ ٢٨
☺ يا ابنتي.. أنت لست كبقية البنات ٢٨
الوقفة الثانية: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ ٣٦
☺ بالفيديو المنزلي يتضح الفرق بين الحزم والخضوع ٣٧
☺ الضحكة الجريئة خضوع بالقول ٣٩
☺ الحوار الخاص بين فتاتين قد يكون خضوعًا بالقول ٤١
☺ كيف ترد ابنتك على الهاتف وعلى من يطرق الباب؟ ٤٢
الوقفة الثالثة: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ ٤٥
☺ علّم ابنتك كيف تحمي نفسها من صاحب القلب المريض ٤٧
☺ هل تعرف ابنتك أن هناك من يطمع فيها؟ ٥٢

☺ كيف تحمي ابنتك ممن في قلبه مرض؟ ٥٤
☺ علم ابنك أن يحذر ممن تخضع بالقول..... ٥٧
الوقفة الرابعة: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ ٦٠
☺ علم ابنتك كيف تجيب عن سؤال الرجل الغريب؟ ٦٢
☺ كيف تتعامل الفتاة مع زملاء أبيها وأمها في العمل؟ ٦٧
☺ كيف تتكلم الفتاة مع البائعين في السوق؟ ٦٩
☺ لا تشكري الرجل وتمدحيه فيظن أنك تحبينه ٧٠
علّم ابنك كيف يرى حقيقة من تخضع بالقول ٧٣
٤ أشياء تحدد الصورة الذهنية لشريك الحياة المستقبلي ٨٣
☺ الخلفية الدينية ٨٣
☺ العلاقات الأسرية ٨٥
☺ التعليقات العفوية ٨٧
☺ الإعلانات التلفزيونية ٩٠
كيف تحمي الفتاة نفسها من صاحب القلب المريض؟ ٩٢
الأصل الثالث: ليستاذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات . ١٠٥
ما الهدف من الاستئذان؟ ١٠٧
الاستئذان العام والاستئذان الخاص ١٠٩
☺ يا بُنيّ.. كيف تقف على الباب؟ وأين تنظر؟ ١١٠
☺ هل كل الأولاد يحتاجون لتعلم الاستئذان المنزلي؟ ١١٤
كيف تعلم أطفالك الاستئذان المنزلي؟ ١١٦

الأصل الرابع: «وفرقوا بينهم في المضاجع» ١٢٩
متى نفرق بين أولادنا وبناتنا في أماكن النوم؟ ١٣٣
هل ينام الولد بجوار أمه عندما يبلغ عشر سنوات؟ وهل تنام البنت بجوار أبيها عندما تبلغ عشر سنوات؟ ١٣٥
الأصل الخامس: لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء ١٤٣
كيف تساعد الأم ابنتها في تعلّم فقه الحيض؟ ١٥٠
هل للأب دور في تعليم ابنته فقه الحيض؟ ١٥٦
الأصل السادس: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ١٦٣
كيف استجاب النبي ﷺ للأمر الرباني؟ ١٦٥
ماذا تفعل حين ترى ابنك ينظر للحرام؟ ١٧٢
هل تدريب الأبناء على غض البصر واجب على الآباء والأمهات؟ ١٧٥
الأصل السابع: ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ١٧٩
﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾.. عورة ١٨١
ما حدود لبس الأم أمام ابنها؟ والأخت أمام أخيها؟ ١٨٣
ما حدود الزينة التي تظهرها الأم أمام أبنائها؟ ١٨٥
متى تسمح لطفلك بالجلوس بين النساء (الأجنبيات – غير المحارم)؟ ١٨٩
الأصل الثامن: ما بين السرة والركبة عورة ١٩٧
ما فائدة تربية الولد على حفظ عورته؟ ١٩٩
يا بُنيّ.. هل تعلم أن فخذ الرجل عورة؟ ٢٠٤
عورات أسرية يجب سترها ٢٠٧
☺ هل تقوم الأم بمساعدة المراهق في الاستحمام؟ ٢٠٧

☺ متى تترك الأم طفلها يستحم بمفرده؟ ٢٠٨
☺ هل تستحم البنت مع أبيها؟ ٢١٠
☺ هل تنظف الأم شعر العانة أمام ابنتها؟ ٢١٢
☺ هل نترك الطفل يستحم مع أخيه؟ ٢١٣
☺ متى نمنع الأولاد من الاستحمام معًا؟ ٢١٤
الأصل التاسع: فمنْ اتَّقَى الشبهَاتِ فقد استَبرَأَ لدينِهِ وعِرضِهِ ٢١٩
☺ هل يفهم الطفل الفرق بين الحلال والحرام والشبهات؟ ٢١٩
كيف تكلم أطفالك عن الشبهات؟ ٢٢٥
كيف تشرح لأطفالك الشبهات عن طريق الألعاب؟ ٢٢٧
شبهات جنسية لا يعلمها كثيرٌ من الناس ٢٣١
علّم ابنك كيف يتعامل مع الشبهات الجنسية ٢٣٣
يا بُنيّ.. إذا وقعت في شبهة فكيف تبرئ نفسك؟ ٢٤٩
لا تضع نفسك في شبهة أمام أبنائك ٢٥٤
الأصل العاشر: خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ٢٥٩
الاجتماع مباح، والاختلاط ممنوع، والخلوة حرام ٢٦٥
☺ الاختلاط بين الأقارب (في العائلة) ٢٦٧
علّم ابنك (ابنتك) كيف يتعامل مع الاختلاط ٢٧٠
كيف تشرح لأطفالك معنى الاختلاط؟ ٢٧٣
ضع في بيتك قانونًا يمنع الاختلاط ٢٧٦
يا بني (يا ابنتي).. ماذا تفعل حين تُضطر للاختلاط؟ ٢٨٠
كيف تجعل أبناءك يرون الاختلاط على حقيقته؟ ٢٨٨

الاختلاط الإلكتروني هل يشبه الاختلاط الواقعي؟ ٢٩٥

☺ يا ابنتي.. هل تسمحين لنفسك بالاختلاط على الإنترنت؟ ٢٩٧

متى نمنع الاختلاط بين الأولاد والبنات خلال اللعب؟ ٣٠٠

☺ كيف تقول لابنك لا تلعب مع البنات؟ وكيف تقولها لابنتك؟ ٣٠٨

☺ اضبط ابنك (ابنتك) متلبسًا بحسن السلوك..... ٣٠٩

هل تسمح لابنك أن ينام في بيت فيه اختلاط؟ ٣١٢

ما مواصفات البيت الذي تسمح لابنك (وابنتك) بالمبيت فيه؟ ٣١٦

☺ في بيت النبي ﷺ حرص على الصلوات ٣١٦

☺ وفي بيت النبي ﷺ لا يوجد اختلاط ولا كشف للعورات ٣٢٠

☺ وفي بيت النبي ﷺ علاقات أسرية جميلة ٣٢١

☺ وفي بيت النبي ﷺ مكافأة للصغير حين يُحسن ٣٢٣

☺ وفي بيت النبي ﷺ قيام الليل يحبه الصغار ٣٢٦

☺ وفي بيت النبي ﷺ يأكلون الحلال ويتركون الشبهات ٣٢٩

الفهـــــرس ٣٣٢

❊ ❊ ❊